القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10901 الأحد 19 شباط (فبراير) 2023 – 28 رجب 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10901 Sunday 19 February 2023

المستشار اللبناني في التنمية ومكافحة الفقر أديب نعمة

قصبة الجزائر: معقل ثورة ومعرض تاريخ

كيف اغتال غواردیولا حلم تلميذه آرتيتا؟

سؤال السنة الثامنة حرب: كيف يُستعاد اليمن
06

سوريا: الملف الإنساني خضع للتسييس والانحياز
18

الفلسطيني مأمون الشايب: ريشة تحن إلى وطن
27

أوكرانيا: سنة على الغزو

في 24 شباط (فبراير) 2022 أطلقت موسكو ما أسماه الكرملين «عملية عسكرية» في أوكرانيا، اتضح سريعاً أنها اجتياح صريح انطوى على نشر قوات كبيرة بأعداد هائلة وتطور سريعاً إلى معارك كر وفر بين الجيشين الروسي والأوكراني، فتسبب في وقوع عشرات الآلاف من الضحايا وتشريد الملايين مما خلق مشكلات إنسانية صعبة، كما أسفر عن اختلالات عالمية حادة في توريد الطاقة والحبوب والمواد الغذائية. وفي خريف العام المنصرم ضمت موسكو أربع مناطق أوكرانية، وأوحت مراراً باحتمال اللجوء إلى السلاح النووي رداً على تدفق الأسلحة إلى أوكرانيا بمبادرات من الحلف الأطلسي، في حين أن مفاوضات السلام المحدودة تعثرت أو توقفت تماماً.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

الأمم المتحدة منزعجة بشدة بسبب انتقادها من المنظمات السورية المعارضة

نازحون سوريون يعودون إلى بلادهم من تركيا

حذت إدارة معبر باب السلامة وتل أبيض حذو معبر باب الهوى وسمحت للسوريين من حاملي بطاقة «الكمليك» بالدخول إلى سوريا بإجازة لا تزيد عن ستة أشهر.

منهل باريش

فتح قائد الدفاع المدني السوري «الخوذ البيضاء» رائد الصالح النار على الأمم المتحدة بشكل لافت، بعد أن كان انتقد استجابتها الإنسانية لشمال سوريا بعد زلزال كهرمان مرعش، الذي ضرب عشر ولايات تركية وست محافظات سورية.

وقال قائد «الخوذ البيضاء» كما تعرف دولياً، إن الأمم المتحدة لا تريد أن تسمع انتقادات، «تعودت على العمل ببيروقراطية تقتل الناس، هم لا يريدون أن يحاسبهم أحد». ووصف الصالح في لقاء تلفزيوني آليات عمل الأمم المتحدة وطرقها بأنها «بالية» لا تتأقلم مع حجم الكارثة في شمال غرب سوريا. وشرح المأساة «نموت تحت الإنقاض ولا يرسلون الفرق ولا يرسلون المساعدات ويتأخرون عن المساعدات 4 أيام وبعدها يقولون يجب أن تصمتوا كسوريين». واعتبر كلام فريق الأمم المتحدة الذي زار مقر الخوذ البيضاء في سرمدا قرب معبر باب الهوى، بانه «تهديد» للمؤسسات السورية المعارضة. وكشف الصالح أن الفريق الأممي رفض زيارة جندريس عندما كانوا في عفرين متذرعين «بعدم سماح الإدارة لهم بذلك» كذلك في سرمدا اجتمعوا على بعد 300 متر من مكان الدمار ولم يزوروه. وطالبت «الخوذ البيضاء» بالتحقيق في «سبب تقصير الأمم المتحدة» كما طالبت «بتغيير آلية العمل الإنساني في الأمم المتحدة لأنها تساهم في قتل الناس». كما اتهم الصالح الأمم المتحدة بـ «تسييس المساعدات، لأن أمينها لديه السلطة في فتح المعابر وإدخال المساعدات الإنسانية وهو لم يستخدم هذه السلطة لمدة سبعة أيام وانتظر موافقة بشار الأسد».

وكشف الصالح أن فريق استجابة الكوارث الذي أرسلته الأمم المتحدة إلى إدلب وعفرين قد أعرب عن انزعاجه الشديد من الانتقادات التي وجهت له، مشيراً إلى أن الفريق قال: «على المنظمات السورية أن تختار مكانها الصحيح. أي لكي تحصل على التمويل يجب أن تصمت».

وشدد «وكالات الأمم المتحدة أثبتت فشلها الذريع في الاستجابة للكارثة في سوريا». وحول وصول المساعدات إلى مدينة حلب التي يسيطر عليها النظام، عبر عن سعادته بوصول المساعدات لمدينة حلب، سائلاً: «لكن من دمر حلب قبل أن يدمرها الزلزال؟».

وأعلنت رئيسة وكالة التنمية الدولية الأمريكية، السفيرة سامانثا باور، الجمعة، رصد الوكالة مبلغ 5 مليون دولار لصالح منظمة «الخوذ البيضاء» بهدف مساعدة فرق الدفاع المدني السورية على شراء الآليات والوقود وتطوير منظومة الإسعاف وسد احتياجاتهم الأخرى.

في سياق منفصل، نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية تقريرا قالت فيه إن بشار الأسد يستخدم «دبلوماسية الكارثة» ليعود إلى المسرح العالمي من جديد. وقال كاتب التقرير، أن الزلزال القوي قذف «الديكتاتور السوري إلى دائرة الضوء العالمية ومنحه فرصة للتقدم خطوة إلى المسرح العالمي عبر دبلوماسية الكارثة». ومع زيادة أعداد الضحايا بسبب أقوى زلزال يضرب المنطقة منذ مئة عام «تلقى الأسد المنبوذ بسبب قصفه وتعذيبه شعبه سيلا من رسائل العزاء والتعاطف من دول أخرى». وتدفق المسؤولون البارزون في الأمم المتحدة إلى «مكتبه وعرضوا المساعدة وأخذوا معه الصور. وهبطت الطائرات المحملة بالملابس والمساعدات من دول أخرى، بينها السعودية أيضا التي أرسلت في الماضي كانت تحاول الإطاحة به».

وفي الإطار، عبر كبير الجمهوريين في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي السيناتور جيم ريش عن اشمئزازه من استخدام الأسد «مأساة الزلزال في سوريا فرصةً لإعادة الانضمام إلى المجتمع الدولي».

في حين بقيت المعارضة السورية دون دور جدير بالذكر، فقد عجزت عن المطالبة بفتح الحدود خشية إثارة غضب تركيا، ولم يتمكن الائتلاف الوطني المعارض من تغيير صورته أمام أربعة ملايين من السوريين في مناطق سيطرة المعارضة، فقد فشل في اتخاذ قرار بالسماح بإدخال صهاريج الوقود التي أرسلتها الإدارة الذاتية لشرق سوريا، التي يسيطر عليها حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، بسبب اشتراط الإدارة تعليق اسم الإدارة الذاتية على تلك الصهاريج. فخرجت الإدارة رابحة من تلك الجدولة. الا أن ربحها الحقيقي كان سيصبح أكبر لو أنها فعلا تنازلت قليلا وفكرت بالمدنيين العالقين تحت الأنقاض أو لو عرضت مساعدة الخوذ البيضاء والعمل تحت رايتها وإرسال المعدات الثقيلة لجندريس وإدلب، والتصرف بمسؤولية إنسانية بعيدا عن تسجيل النقاط السياسية، وانتقد مؤسسات المعارضة الموالية لأنقرة، كان ذلك لو حصل، فإنه من المحتمل أن يخفف من غليان القلوب.

في إطار تدفق المساعدات، دخلت قافلة مساعدات قطرية ثانية بإشراف الهلال الأحمر القطري إلى منطقة عفرين من معبر الحمام، تحتوي على طحين وخيام ومواد إغاثية ومعدات طبية ثقيلة كأجهزة غسيل الكلى وأجهزة غرف العمليات، ومن المفترض أن تتبعها شحنات أخرى. ويعمل الهلال الأحمر القطري على 1000 خيمة كمساكن مؤقتة، ويقوم فريق المهندسين السوريين العاملين في الهلال بمسح عدة مواقع لاختيار أمكنة مناسبة للبدء ببناء 300 وحدة سكنية كدفعة أولى، حسب معلومات «القدس العربي».

من جهة أخرى، أدى الزلزال إلى نزوح 172 ألف شخص في مناطق غرب سوريا، حسب ما أعلن فريق «منسقو استجابة سوريا» من ضمن النازحين 36 ألفا يقطنون في مراكز ايواء ومخيمات في إدلب وريف حلب. في سياق منفصل، يستمر دخول اللاجئين السوريين، منذ يوم الأربعاء إلى شمال سوريا عبر معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا بعد الإعلان عن إجازة تستمر مدة ثلاثة شهور، أتت في محاولة تخفيف الضغط على مراكز الإيواء داخل تركيا، ويفضل الكثير من السوريين الدخول المؤقت إلى سوريا بسبب حجم الدمار الكبير في الولايات التركية، إضافة إلى تجنب تعرضهم للحملات العنصرية التي ظهرت في بعض المناطق، وعدم مقدرة القسم الأكبر منهم على تدبر تكاليف الحياة والتنقل أو تأسيس منازل جديدة. كل تلك الأسباب دفعتهم إلى الدخول للداخل السوري حتى تنجلي الغمامة التي أحدثها الزلزال في تركيا، في انتظار الانتهاء من عمليات انتشال الجثث وترحيل الأنقاض، ومعرفة ماذا سيقدم المجتمع الدولي والدول التي تدعم ملف اللاجئين السوريين في تركيا وسبل تعويضهم.

ورغم اقتصار الإجازات على حاملي بطاقة الحماية المؤقتة «كملبك» في الولايات العشر المتضررة، فإن الكثير من السوريين يناشد بفتح الإجازات لحاملي «كملبك» في باقي الولايات التركية، على اعتبار أن آثار الزلزال لا تقتصر على المقيمين في الولايات العشر فقط، فالأسر السورية موزعة بين الولايات والكثيرون يريدون أن يدخلوا إلى سوريا ليلتقوا بأهاليهم الذين لم يتمكنوا سابقا من رؤيتهم بسبب صعوبة الحصول على إذن سفر وتنقل داخل تركيا، إضافة إلى ان الكثير من المقيمين في الولايات الأخرى لديه الكثير من الأقارب والضحايا والجرحى من المتضررين داخل سوريا.

وحذت إدارة معبر باب السلامة وتل أبيض حذو معبر باب الهوى وسمحت للسوريين من حاملي بطاقة «الكمليك» بالدخول إلى سوريا ضمن إجازة لا تقل عن شهر ولا تزيد عن ستة أشهر. ومن الواضح أن كل من يتخلف عن مدة الستة أشهر ستلغى بطاقة حمايته التركية ولن يتمكن من العودة إلى تركيا.

إلى ذلك، ارتفع أعداد الضحايا في تركيا إلى ما يزيد عن 39 ألفا حسب ما أعلنت وزارة الداخلية التركية، مساء الجمعة، ويرجح ارتفاع الرقم خلال الأيام العشرة المقبلة مع استمرار عمليات التجريف، ومن غير الواضح فيما إذا كانت السلطات التركية ستعلن عن الرقم النهائي للضحايا واعتبار كل المفقودين في عداد القتلى أم انها ستتريث حتى الانتهاء من أعمال التجريف والمرجح انها ستستمر وقتا غير قريب.

كارثة زلزال تركيا: حصيلة القتلى تقترب من 40 ألفا والبحث متواصل عن آخر «المعجزات»

عمليات الإنقاذ اقتربت من نهايتها ما يعني أن الحصيلة الأخيرة باتت قريبة من الحصيلة النهائية لضحايا الزلزال المدمر الذي أدى إلى تهدم عشرات آلاف المنازل في 10 محافظات تركية رئيسية في جنوبي البلاد في كارثة اعتبرت الأكبر في تاريخ البلاد الحديث.

إسطنبول – «القدس العربي»: إسماعيل جمال

عقب مرور قرابة أسبوعين على كارثة زلزال تركيا، اقترب عدد الضحايا الذين جرى الوصول إليهم حتى الآن إلى قرابة 40 ألف قتيل وأكثر من 100 ألف جريح، فيما تتواصل عمليات البحث عن مزيد من الجثامين تحت الأنقاض وسط استمرار الآمال بالوصول إلى مزيد من «المعجزات» مع وصول فرق الإنقاذ إلى عدد من الأحياء صمدوا لأكثر من 280 ساعة تحت ركام المنازل المدمرة.

وحسب أحدث إحصائية رسمية أعلنها وزير الداخلية التركي سليمان صويلو فإن عدد ضحايا الزلزال وصل إلى 39 ألفا و672 قتيلاً، في حين وصل عدد المصابين حسب إعلانات سابقة لوزارة الصحة إلى أكثر من 100 ألف، وهي أرقام غير نهائية مع تواصل عمليات الإنقاذ في العديد من المناطق والبنايات الكبرى التي تهدمت بفعل الزلزال.

وتشير تقديرات مختلفة إلى أن عمليات الإنقاذ اقتربت من نهايتها وهو ما يعني أن الحصيلة الأخيرة المعلنة باتت قريبة من الحصيلة النهائية لضحايا الزلزال المدمر الذي تجاوزت قوته 7.7 درجات وتبعه مئات الهزات الارتدادية وأدى إلى تهدم عشرات آلاف المنازل في 10 محافظات تركية رئيسية في جنوبي البلاد في كارثة اعتبرت الأكبر في تاريخ البلاد الحديث.

وعلى الرغم من عدم وجود إعلان رسمي حتى الآن حول العدد المتوقع للمفقودين أو الذين ما زالوا تحت الأنقاض، إلا أن تصريحا لنائب الرئيس التركي فؤاد أقطاي أشار إلى أن عمليات البحث والإنقاذ متواصلة في أقل من 200 موقع بناء متهدم فقط وهو ما يعني اقتراب عمليات البحث من نهايتها الأمر الذي لا يتوقع أن يرفع الحصيلة الحالية بشكل كبير ويجعل منها حصيلة شبه نهائية للضحايا.

ورغم مرور قرابة 300 ساعة على وقوع الزلزال، يتواصل تسجيل بعض حالات الوصول إلى ناجين أحياء تحت أنقاض المنازل المدمرة حيث سجلت حالات انتشال بعض الأحياء بعد 280 ساعة على وقوع الزلزال وهو ما يبقي الأمل عند ذوي بعض المفقودين تحت الأنقاض بحصول معجزات جديدة والوصول إلى أحياء من أقاربهم وهو أمل يتضاءل تدريجياً مع مرور الوقت.

وفي تصريح سابق قال الرئيس التركي رجب طيب اردوغان إن عدد من جرى انتشالهم أحياء من تحت الأنقاض بلغ أكثر من 8 آلاف شخص، حيث عمل قرابة 250 من عناصر الإنقاذ والإسعاف من الطواقم المحلية والدولية التي وصلت من قرابة 100 دولة من حول العالم على مدى الأيام الماضية في عمليات الإنقاذ التي شارفت على نهايتها.

ومع اقتراب انتهاء المرحلة الأولى من أولويات الحكومة في معالجة آثار الزلزال والمتعلقة بإتمام عمليات الوصول لكافة المفقودين، بدأت أسئلة كبيرة تطرح حول عمليات الإسكان المؤقت للمتضررين من الزلزال والذين تقدر أعداد بالملايين في المحافظات العشر المنكوبة التي يبلغ إجمالي عدد سكانها قرابة 13 مليون نسمة.

ومنذ اليوم الأول للكارثة بدأت المنظمات الإغاثية الحكومية وغير الرسمية والدولية في بناء مدن من الخيام والكونتينرات المتنقلة في عشرات المواقع بالمحافظات المنكوبة لإيواء المشردين في ظروف جوية صعبة ودرجة حرارة وصلت إلى أقل من الصفر في بعض الليالي.

وبينما يجري الحديث عن حلول مختلقة تتواصل عمليات تسكين المشردين في سكن الطلاب وأماكن السكن الحكومي والتابعة للجيش وغيرها، وسط مطالبات شعبية بظروف إسكان أفضل وهو ما يضع الحكومة أمام تحديات كبيرة تتعلق بآليات إسكان هذا العدد الهائل من المشردين. وكان اردوغان قد كشف عن أن الحكومة أسكنت قرابة 890 ألف مشرد في سكن الطلاب، و50 ألفا بالفنادق، وآخرين في مناطق مختلفة، مؤكداً توفير السكن لـ1.6 مليون شخص تشرد بفعل الزلزال، في حين أشار تقرير لهيئة الإغاثة التركية «آفاد» أنه جرى إرسال أكثر من 387 ألف خيمة إلى المناطق المنكوبة.

وفي اتجاه آخر، تصب الحكومة أولوياتها نحو البدء الفوري في عمليات فحص المباني التي تضررت بفعل الزلزال وتحديد الصالح للسكن أو بحاجة إلى هدم عاجل وذلك من أجل تخفيف الأزمة بعد السماح لأصحاب المباني التي لم تتضرر بشكل خطير من الزلزال بالعودة إليها وهو ما من شأنه أن يقلل أعداد المشردين ولو جزئياً.

وفي اتجاه آخر، تكثف الحكومة مساعيها للبدء الفوري في عمليات إعادة البناء والإعمار حيث وعد الرئيس التركي بأن يتم استكمال كافة عمليات البناء وتسليم المباني الجديدة إلى أصحابها خلال أقل من عام واحد فقط وهو ما يضع الحكومة أمام تحد كبير جداً يتعلق بتوفير الإمكانيات المالية الهائلة التي تحتاجها هذه العملية إلى جانب العمل المكثف على مدار الساعة لبناء المناطق المدمرة في أقرب وقت ممكن.

وحسب وزير الإمكان التركي مراد قوروم فإنه تم فحص قرابة 700 ألف منزل في المناطق التي ضربها الزلزال والتأكد من أن قرابة 85 ألف منزل منها يتوجب هدمه على الفور بسبب تعرضها لأضرار بالغة، لافتاً إلى أنه يجري حالياً دراسة وتقييم المناطق التي يمكن ان تتم بها عمليات البناء الجديدة –بعيدة عن مناطق الصدع الزلزالي الذي ضرب المنطقة.

وعلى صعيد آخر، تتواصل عمليات التحقيق وملاحقة متعهدي البناء المتهمين بالغش في بناء مئات المباني التي تدمرت بفعل الزلزال حيث وصل عدد المعتقلين إلى أكثر من 130 شخصاً ما بين متعهدي بناء ومهندسين ورجال أعمال، اعتقل عدد منهم وهو يحاول الفرار خارج تركيا براً أو بحراً أو جواً.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10901 الأحد 19 شباط (فبراير) 2023 – 28 رجب 1444 هـ

هل تمثل ورشة شرق السودان بارقة أمل لتحقيق الاستقرار في الإقليم المضطرب؟

أوصت الورشة بضرورة عقد ملتقى جامع لأبناء الإقليم وصولا لحل نهائي ومقبول لكل قضايا الإقليم السياسية والتنموية والاجتماعية، على أن تكون تجربة الورشة الأخيرة سانحة لتطوير التجارب المستقبلية.

الخرطوم – «القدس العربي»: ميعاد مبارك

رغم تباين المواقف بين مكونات شرق السودان السياسية والاجتماعية، تمكنت الآلية الثلاثية المكونة من الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة وإيقاد، من جمعهم على مدى 4 أيام بالعاصمة الخرطوم، في ورشة (خريطة طريق الاستقرار السياسي والأمني والتنمية المستدامة في شرق السودان) للنقاش والخروج بحلول للأزمة التي تعصف بالإقليم الاستراتيجي والذي تطل بعض أجزائه على البحر الأحمر، بينما يجاور 4 دول.

يرى بعض المشاركين، أن الورشة، كانت خطوة كبيرة في اتجاه إيجاد حل للأزمة التي تفاقمت في السنوات الأربع الأخيرة.

وقال القيادي في القوى المدنية في شرق السودان، والي كسلا السابق صالح عمار، لـ«القدس العربي» إن ورشة الشرق واحدة من مقررات الاتفاق الإطاري والقضايا الخمس، التي تمس التداول حولها في المرحلة النهائية من العملية السياسية الجارية في البلاد. والتي تتضمن بالإضافة إلى وضع خريطة طريق لاستقرار شرق السودان، قضايا العدالة والعدالة الانتقالية والإصلاح العسكري، تقييم اتفاق السلام الموقع في 2020 وتفكيك النظام السابق.

واعتبر الورشة، أكبر تجمع لأهل شرق السودان خلال السنوات الماضية، وأنه أول وأكبر تجمع تشارك فيه كل الكيانات السياسية والاجتماعية والمدنية، بتمثيل يتناسب مع أحجامهم.

ورأى أن الورشة تنعقد في ظروف أفضل، وأنها من الممكن أن تقود نحو الحل، مبرراً ذلك، كون المكون العسكري كان جزءاً من أزمة الشرق والآن يبدو أن مواقفه بدأت تتجه نحو القبول بالوضع الجديد والسلطة المدنية. وقال «لذلك نؤمل أن يرفع يده من دعم المجموعات المحتجة، إذا حدث هذا الأمر، فإنه يجعل الإقليم يمضي نحو الاستقرار».

وحسب عمار، فإن أهل الإقليم اتضح لهم، بأن الخطاب الشعبوي والقبلي والعنصري الذي كان يسأق في فترة السنوات الثلاث الماضية، قنبلة دخانية ليس إلا، للتغطية على الديكتاتورية والانقلاب ونهب موارد الإقليم، والآن كل القوى في الإقليم باتت على قناعة بأنها في حاجة إلى سلام واستقرار. مضيفاً: «أيضاً هناك قناعة بأن وضع الإقليم الاقتصادي سيئ جدا. الجوع والبطالة والفساد. لا شيء يوقف هذا الوضع إلا الاتفاق بين كل المكونات في الإقليم». معتبرا أن هذا هو الطريق للحل.

وأبدى تفاؤله بأن يمضي الإقليم نحو وضع أفضل، مشيرا إلى إن كل إلى الآلية الثلاثية، التي تقوم بتيسير العملية السياسية في البلاد، كما لوح بإغلاق الطرق والموانئ في شرق السودان، إذا تشكلت حكومة لا تتسق مع مطالبهم التي من أبرزها تأسيس منبر منفصل لشرق السودان وإلغاء المسار الخاص بالإقليم في اتفاق السلام.

وعلى الرغم من ذلك، أكد ترك في تصريح لـ«القدس العربي» أنهم لا ينوون إغلاق الطرق في شرق السودان في الوقت الحالي.

وفي 3 تشرين الأول/اكتوبر 2020 وقعت الحكومة الانتقالية اتفاق سلام مع مكونات الجبهة الثورية– حركات مسلحة وتنظيمات معارضة– تضمن مسارات متعددة، قسمت وفق أقاليم السودان، بما فيها مسار شرق السودان، والذي وقعته مع الحكومة أحزاب من الإقليم، من ضمن مكونات الجبهة الثورية. الأمر الذي أثار حفيظة مكونات إثنية وسياسية أخرى، بينها المجلس الأعلى لنظارات البجا، الذي يتزعمه ترك، اعتبرت أن الموقعين لا يمثلون شرق السودان.

ومع ذلك، يرى ممثلون لمجموعات أخرى، أن الورشة تمثل خطوة للأمام، لحل أزمة الشرق. حيث قال ناظر قبائل الجميلاب بولاية كسلا والبحر الأحمر، محمد طاهر محمد حسين، لـ«القدس العربي» إنه انخرط ضمن مشاركة واسعة للقادة الأهليين في الورشة، مشيرا إلى أنهم تداولوا في قضايا شرق السودان، منذ الاستقلال وحتى الآن.

وأضاف: هناك اجتهادات معتبرة من الذين شاركوا في المجالات الستة التي تضمنت الحكم والثروة والتنمية والزراعة والإدارة الأهلية وقضايا المرأة، كلها قتلت بحثاً، هي خطوة نحو الأمام، لم نصل لمبتغانا لكن هي خطوة جيدة جداً.

وأضاف: يمكن في المؤتمر الجامع القادم أن نضع النقاط على الحروف ونضع أطرا معينة وزمنية للوصول إلى حلول نهائية تزيل كل قضايانا التي نحن في حاجة إليها.

ورأى أنه بالنسبة لغير المشاركين سيكون المؤتمر الجامع هو المحك، على الأقل وضعنا خطة عمل يمكن طرحها بإجماع الحاضرين في الملتقى والذي سيتم خلاله التداول حول قضايا المسار والقضايا الأخرى.

وتابع: المجموعات الممانعة ستنضم لأن الحاضرين ليس كلهم من الذين آمنوا أو وقعوا على الاتفاق الإطاري، وإنما 30 في المئة من الذين حضروا هم الموقعون، أما البقية لم يوقعوا على الاتفاق الإطاري لكن هموم الشرق وقضيته هي التي أتت بهم.

وأكد أن ولايات الشرق الثلاث (البحر الأحمر، كسلا، القضارف) شاركت بكثافة عالية جدا، بينما لم يتجاوز المشاركين من القوى السياسية من المركز 100 شخص مقابل أكثر من 500 شخص اتوا من مناطق الريف، داعيا الذين لم يشاركوا للحاق بهم والمشاركة في المرحلة المقبلة.

وأكمل: تم التأمين على مسار الشرق في اتفاق السلام وفي ذات الوقت هناك مطالب بمنبر تفاوضي منفصل، لذلك ارجئ الأمر، للملتقى الجامع الذي ستتولى الحكومة الانتقالية القادمة تنظيمه في مدى أقصاه 3 أشهر من تشكيلها.

وقال: الورشة خطوة للأمام وجمعت كل ألوان الطيف في الشرق المختلفين سياسيا ومن ناحية إثنية أو قبلية كانوا تحت قبة القاعة وهذا تقدم كبير. الذين كانوا لا يجلسون معا، الآن جلسوا على مستوى اللجان وعلى مستوى التداول العام.

من جانبه، قال رئيس مسار شرق السودان في اتفاق السلام، خالد جاويش، لـ«القدس العربي» إن 60 في المئة من المشاركين في الورشة، من خارج الاتفاق الإطاري وأكثرهم كانوا رافضين للمسار، مضيفا: كانت هناك نقاشات شفافة ولم يكن هناك تدخل من أي جهة، الجميع قالوا آرائهم بدون ضغوط، وكانت النتائج جيدة.

وأضاف: لم نقم بإثارة موضوع مسار الشرق لأن هناك داعمين ورافضين في الورشة، قرابة الخمسمئة شخص شاركوا من أنحاء الإقليم من كل المكونات، مع المسار وضد المسار ومن القوى السياسية.

وتابع: تركنا الحرية لأي شخص داخل الورشة لإبداء رأيه، وفي النهاية نص البيان الختامي على كل الناس وأعتقد انه حل وسطي للجميع.

وأشار إلى أن الملتقى سيكون بشكل كامل لأهل الشرق يناقش القضايا التي لم يناقشها المسار، ويدفع ربما من أجل زيادة نسب الشرق في الثروة والسلطة لأن المسار حصل على نسبة 30 في المئة منها لثماني سنوات بالإضافة إلى 40 في المئة من الخدمة المدنية في الإقليم، مبديا طموحهم لأن تزيد تلك النسب عبر الملتقى وان يضيف المزيد لمكاسب الإقليم.

وأكمل: نتمنى ألا يعيق شيء التحول الديمقراطي والانتقال وندعوا جميع الذين لم يشاركوا للحضور لمصلحة الإقليم، الأهم أن تجتمع كلمتنا لصالح الإقليم وإنسانه».

وزاد «ليس لدينا مانع في فتح اتفاق مسار شرق السودان لمشاركة الآخرين، المادة 34 من الاتفاق نصت على قيام مؤتمر تشاوري مكمل للاتفاق، الممانعون لو اطلعوا على الاتفاق لن يكون هناك أي رفض من جانبهم لأنه مكسب للإقليم، كلمتي للرافضين أن يقرأوا الاتفاق وينظروا إلى أي مدى هو مكسب للإقليم».

الأمين السياسي لحزب التواصل، من الأحزاب الناشطة في شرق السودان– صالح أحمد، قال لـ«القدس العربي» إن الورشة تعتبر خطوة متقدمة من أجل تقديم الحلول للأوضاع في شرق السودان، مشيرا إلى أنها جاءت في وقتها المناسب وحظيت بمشاركة واسعة وجمعت لأول مرة أطرافا متباينة المواقف في مكان واحد مؤكدا أن تنفيذ توصياتها قد يقود إلى استقرار الإقليم.

وقطع بأن تنفيذ توصيات الورشة يتوقف على الإرادة السياسية وإنسان الشرق نفسه ومدى استعداده لذلك، مضيفا: ليس هناك أي صراعات بين مكونات الشرق أو خلافات لأسباب جوهرية لكن هناك مجموعات دعمها النظام أو جهات معينة من أجل تنفيذ أجندة معينة، واستخدمت شرق السودان لخدمة تلك الأجندة.

وأشار إلى أن هذه الضغوط في ظل دعم المجموعات أو النظام أو جهة معينة أثرت على الأوضاع في شرق السودان.

وبين أن مكونات الشرق المختلفة تجمعت في الورشة للتداول حول قضاياها بنفسها وأن ذلك بداية وخطوة صحيحة، مضيفا: «نحن متفائلون، كان هناك خوف من عدم نجاح الورشة ولكن النتائج كانت جيدة واستطعنا التداول حول جميع القضايا» مؤكدا أن مواطني شرق السودان داعمين للتحول المدني الديمقراطي في البلاد وأن الغالب الأعم مساند للاتفاق الإطاري.

واعتبر حزب التحالف الوطني السوداني– هيئة كسلا– في بيان، الورشة اختراقا هاما للمشهد السياسي المعقد في الإقليم الذي تسبب في تأزيمه الانقلاب العسكري، متهما إياه باستغلال الشرق قبل وبعد حدوثه.

في المقابل، أصدرت الورشة في ختام أعمالها توصيات مثلت خريطة طريق للحكومة المدنية الانتقالية المقبلة المقرر تشكيلها بعد التوقيع على الاتفاق النهائي، بوضع ملامح الخطط الإسعافية لاحتياجات إقليم شرق السودان، خاصة القضايا ذات الأولوية في مجالات الأمن والتعليم والخدمات الأساسية والمصالحات الاجتماعية.

وأوصت الورشة بضرورة عقد ملتقى جامع لأبناء الإقليم لا يستثني أي جهة وصولا لحل نهائي ومقبول لكل قضايا الإقليم السياسية والتنموية والاجتماعية، على أن تكون تجربة الورشة الأخيرة سانحة لتطوير التجارب المستقبلية خاصة عند انعقاد الملتقى الجامع لشرق السودان خلال 3 أشهر كحد أقصى من تشكيل الحكومة الانتقالية.

ووفق بيان الورشة الختامي، فإن الورشة، التي اختتمت أعمالها الأسبوع الماضي بحثت فرص الوصول إلى توافق واسع بين مختلف كيانات وتنظيمات شرق السودان حول الأزمات التي يواجهها الإقليم، وذلك ضمن عملية الوصول إلى اتفاق سياسي نهائي وعادل، وترتيبات دستورية جديدة تلبي طموحات ومطالب إنسان الشرق في المواطنة المتساوية وفي الحكم المدني الديمقراطي الكامل.

Volume 34 - Issue 10901 Sunday 19 February 2023

العراق: أربيل تقترب من حسم حصتها في الموازنة الاتحادية وقانون النفط والغاز أبرز العقبات

يصرّ الأكراد على الالتزام بالاتفاقات السياسية التي أدت إلى تشكيل الحكومة العراقية، برئاسة محمد شياع السوداني، وتنفيذ بنودها.

بغداد – «القدس العربي»: مشرق ريسان

من المقرر أن يزور وفد حكومي كردي يمثّل إقليم كردستان العراق، العاصمة الاتحادية بغداد، هذا الأسبوع، لاستكمال المفاوضات بشأن القضايا العالقة منذ عام 2003 وأبرزها حصّة الإقليم من الموازنة المالية الاتحادية لعام 2023 بالإضافة إلى استكمال حوارات تشريع قانون النفط والغاز وحسّم تنفيذ المادة 140 الدستورية المتعلقة بإدارة المناطق المتنازع عليها بين بغداد وأربيل.

وقال المتحدث باسم حكومة الإقليم جوتيار عادل، في مؤتمر صحافي نهاية الأسبوع الماضي، إن «اجتماعات وفد الإقليم المفاوض الذي زار بغداد مؤخرا كانت مع وزارة النفط، ووزارة التخطيط باعتبار أن رئيس وفد الحكومة الاتحادية هو وزير التخطيط محمد الثالث كان مع وزارة التخطيط وقد ناقشنا عددا من المواضيع المتعلقة بمسودة مشروع قانون الموازنة المالية للعام 2023» منوها إلى أن «بعضا من المواضيع تم حسمها، وأخرى ما تزال باقية وسيتم بحثها أيضاً».

وفقاً للمسؤول الكردي فإن «هناك اتفاقاً مبدئيا بين رئيس حكومة الإقليم مسرور بارزاني، ورئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني حول كيفية كتابة مشروع قانون الموازنة، وتحديد الحقوق والاستحقاقات والواجبات الملقاة على عاتق الطرفين، وخاصة حقوق إقليم كردستان في هذا القانون» لافتا إلى أنه «بقي بعض التفاصيل الجزئية تتعلق بالموازنة ستتم مناقشتها في الزيارة المقبلة».

ووفق مصادر كردية رفيعة، فإن بارزاني والسوداني توصلا إلى اتفاق بشأن مشروع قانون الموازنة المالية الاتحادية، وقانون النفط والغاز الاتحادي.

ويذكر أيضا أن رئيس ممثلية حكومة إقليم كردستان في بغداد، فارس عيسى، انه «خلال زيارة وفد إقليم كردستان إلى بغداد عُقدت مجموعة اجتماعات مهمة، وقدم وفد حكومة الإقليم ملاحظاته واقتراحاته، ومن المقرر ان يعود وفد الإقليم إلى بغداد (هذا الأسبوع) واستئناف الحوار والتفاوض مع الحكومة الاتحادية بهدف التوصل إلى اتفاق مرض».

ويضيف في تصريح للموقع الرسمي للحزب الديمقراطي الكردستاني، أن «الحوار والتفاوض مستمر بين إقليم كردستان وبغداد بشأن المشاكل ولم يتوصل الطرفان إلى الاتفاق النهائي، لكن الحوار سيستمر بناء على توصية رئيس حكومة إقليم كردستان حول جميع المسائل كالموازنة والنفط والغاز وكل المسائل الأخرى، عليه سيعود وفد لمناقشته، ونحن من جانبنا أبدينا ملاحظاتنا حول المشروع وهم أيضاً سيقدمون مقترحاتهم وملاحظاتهم لذا نسعى إلى ان نصل إلى اتفاق، والحوار مستمر بشأن الموازنة ونحن نصر على ان لا تبقى حصة إقليم كردستان كما كانت في السابق أي 12.67 في المئة، لأن هذه النسبة ليست حصة إقليم كردستان ويجب زيادتها حسب نسبة السكان».

ويصرّ الأكراد على الالتزام بالاتفاقات السياسية التي أدت إلى تشكيل الحكومة العراقية، برئاسة محمد شياع السوداني، وتنفيذ بنودها.

النائبة في مجلس النواب العراقي عن محافظة السليمانية، نرمين معروف، ذكرت في مؤتمر صحافي أن «النواب الكرد ومن مختلف التوجهات السياسية نية رئيس الوزراء العراقي معالجة المشاكل العالقة مع إقليم كردستان وهو شخصياً يرعى تنفيذ برنامج حكومته وخاصة فيما يتعلق بإقليم كردستان والتي تم الاتفاق السياسي بشأنها، وبسبب ذلك فإن زيارات وفد حكومة الإقليم مستمرة إلى بغداد لحين حل ومعالجة المشاكل».

وأشار إلى أن «سقفاً زمنياً قد وضع لإرسال مشروع قانون النفط والغاز إلى مجلس النواب خلال مدة أقصاها 60 يوماً لمناقشته، ونحن من جانبنا أبدينا ملاحظاتنا حول المشروع وهم أيضاً سيقدمون مقترحاتهم وملاحظاتهم لذا نسعى إلى ان نصل إلى اتفاق، والحوار مستمر بشأن الموازنة ونحن نصر على ان لا تبقى حصة إقليم كردستان كما كانت في السابق أي 12.67 في المئة، لأن هذه النسبة ليست حصة إقليم كردستان ويجب زيادتها حسب نسبة السكان».

وأكد عيسى أن «رئيس حكومة إقليم كردستان مسرور بارزاني ورئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني توصلا إلى اتفاق بشأن عدد من المسائل على عدد من الأسس وخاصة بشأن مشروعي قانوني النفط والغاز والموازنة العامة، وأصبح ذلك أساساً رئيسياً للحوار بالنسبة لوفد حكومة الإقليم مع الحكومة الاتحادية، وقد قدمنا ملاحظاتنا واقتراحاتنا بشأن مشروعي قانوني الموازنة والنفط والغاز وسنبدأ جولة أخرى من الحوار الأحد المقبل».

وأوضح رئيس ممثلية حكومة إقليم كردستان في بغداد بأنه «في الزموا حكومة السوداني بالالتزام بحل كل المشاكل العالقة بين المركز والإقليم».

وبشأن القضايا المتعلقة بتنفيذ المادة 140 من الدستور، تقول معروف إن «النواب الكرد ومن كل الأحزاب أكدوا على تضمينها بالبرنامج الحكومي الحالي، وخصوصا أراضي الفلاحين الكرد في مناطق النزاع».

وأشارت إلى أن «جهود جميع الكتل الكردستانية وبدون استثناء واضحة ومستمرة من أجل تطبيق المادة 140 من الدستور العراقي التي تم تطبق منذ اعتماد هذا الدستور».

وفي الأسبوع الماضي، عقد وفد حكومة إقليم اجتماعات مهمة في بغداد تمخضت عنها «نتائج جيدة» حسب المتحدث باسم حكومة إقليم كردستان جوتيار عادل، الذي أفاد بأن الوفد بانتظار التوصل إلى تفاهم مشترك مع الحكومة الاتحادية العراقية بشأن النقاط الخلافية.

ووفقاً لتصريح أورده الموقع الرسمي لحكومة الإقليم، ذكر عادل أن «وفد حكومة إقليم كردستان عقد (الأحد والاثنين الماضيين) اجتماعات مهمة، أولها مع وزارة النفط العراقية وجرى فيه بحث المبادئ الرئيسية بالنسبة لقانون النفط والغاز، إذ عرض الوفد المفاوض وجهات نظر حكومة إقليم كردستان بالالتزام بحل كل المشاكل العالقة بين المركز والإقليم، وهذا يشمل المادة 140 من الدستور، وبعد ذلك تمت مناقشة تلك المبادئ التي ستدرج وتضمّن في قانون النفط العراقي».

وأضاف المتحدث باسم حكومة إقليم كردستان: «عقد وفد حكومة إقليم كردستان اجتماعاً مع الجهات المعنية لصياغة النقاط الأخيرة فيما يتعلق بالموازنة العراقية الاتحادية لسنة 2023، إذ أجريتا مناقشات بشأن المحاور الرئيسية، وكان هناك تفاهم مشترك بهذا الصدد، وبعد ذلك تناقشنا حول النقاط التي يتعين إدراجها ضمن الموازنة».

وأشار عادل إلى أن «وفد حكومة إقليم كردستان زار هيئة المنافذ الحدودية الاتحادية العراقية لبحث رفع مستوى التنسيق بين الجانبين بخصوص التعرفة الجمركية وتعزيز التعاون بين الجانبين، وقد حققت الاجتماعات نتائج جيدة، لكننا مرة أخرى ما زلنا ننتظر ما يخص النقاط المختلف عليها الآن، بهدف مناقشتها والتوصل إلى تفاهم مشترك بشأنها».

والاثنين الماضي، عاد الوفد الحكومي الكردي إلى أربيل، عاصمة إقليم كردستان العراق، فيما حدد الأسبوع المقبل موعدا لإجراء جولة مفاوضات جديدة في بغداد.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10901 الأحد 19 شباط (فبراير) 2023 – 28 رجب 1444 هـ

الأردن: ندوة مهمة تناقش المخرج قبل الانفجار

توصيات بالتركيز على عنصرية إسرائيل وتمكين الجبهة الداخلية على أساس المواطنة، والتذكير بان فرض دور على الأردن هو تجاوز لخط شديد الاحمرار.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

ماذا لو وقع الانفجار؟ بناء سيناريو بحجم الأردن الحقيقي ثم «صندوق» الخيارات المتاحة. تلك كانت المقترحات البحثية الأساسية في عناوين عريضة لندوة مغلقة ناقشت في البحر الميت كل الخيارات وتخللها بعض المفاجآت في تثبيت بعض قواعد اللعبة عندما شارك أكثر من 25 خبيرا من مختلف المكونات السياسية والاجتماعية بعض الميسرين والخبراء الألمان في إطار عصف ذهني نادر استمر لثلاثة أيام بهدف البحث عن أفضل خيارات سيناريو لخيار الأردن في ظل التصعيد الشديد على الأرض الفلسطينية المحتلة وبمبادرة من مركز القدس للدراسات السياسية وبدعم من مؤسسة كونراد أديناور الألمانية.

البحث في محور خيارات الأردن لمواجهة سيناريوهات المستقبل الفلسطيني ومحاولة بناء سيناريو «المخرج» والنقاشات كانت حيوية لا بل غير مسبوقة وشاركت «القدس العربي» في معظمها ضمن استعراض شمولي لكل أوراق القوة بيد الدولة الأردنية وأوراق الضعف بالمقابل.

برزت في النقاشات من المشاركين الأوروبيين تحديدا ملاحظات مرصودة انطوت على رسائل أهمها وجود نظرية تفترض بان توسيع المشاركة الشعبية في الأردن قد يضعف قوة النظام والدولة وان الأولوية الأوروبية هي للاستقرار في الأردن.

وبالمقابل برز الرأي القائل بان دعم الغرب للديمقراطية في بلدان مثل الأردن مرسوم على قدر الاستمرار في خدمة إسرائيل فقط وأخرى تقترح بان الضغط الغربي على الأردن في مسارات التكيف والتعايش مع اليمين الإسرائيلي يأخذ المملكة إلى مناطق خطرة للغاية عنوان مخاوفها الأعرض هو حل مشكلات إسرائيل على حساب الأردن.

واحدة من تلك المشكلات برزت في النقاش بعنوان حاجة إسرائيل لجهة تصرف جوازات السفر يقترح الأردن الرسمي ان تكون الدولة الفلسطينية فيما ثمة من يرى من الإسرائيليين انها يمكن ان تكون الدولة الأردنية.

وبرز نقاش مهم وعميق حول الانطلاق في سيناريو المخرج من الإجابة مجددا على السؤال الأساسي: هل إسرائيل بحالتها اليوم عدو يستحق مرونة من جهة الأردنيين تحت عنوان تحسين موقفه من عملية السلام أم انه خصم ينهش الأردن وجوديا؟

في المقاربات والنقاشات كلام كبير وغير مسبوق تحت عنوان اتباع خطوات تنسجم مع حجم الأردن، لكن الإجماع كان شبه متحقق على خطوات متلازمة أردنيا بكل الأحوال مطلوبة بعيدا حتى عن مزالق ونهايات سيناريو التفجير نفسه وتحريك الشارع الأردني والاستثمار فيه أساس لقواعد اللعبة الجديدة إضافة إلى تخفيف حدة الاعتماد في المشاريع إستراتيجية أردنية على إسرائيل مثل الطاقة والمياه.

وبرز سؤال غير مسبوق: هل يمكن للأردن المؤمن بالسلام إيجاد تسوية أو حل مع الصهيونية المتشددة؟ في الإجابة استعراض للخيارات ومن بينها توقف الاعتماد فقط على ما يسميه الرسميون بالشرعية الفلسطينية واحتضان منظمة التحرير والتواصل مع فصائل المقاومة والانفتاح أكثر على دول مثل إيران وتركيا وسوريا والعراق وأيضا قطر وتخفيف الاعتماد الإستراتيجي على دولة الإمارات والسعي وبأسرع وقت لإصلاح العلاقات مع دولة مهمة مثل السعودية وعدم الاكتفاء بعلاقات متقدمة مع مصر.

في المحليات ضمن سيناريو المخرج تركيز كبير ومن جميع الأطراف على منهجية المواطنة وتكريسها وحماية الصف الوطني وتعزيز الديمقراطية والانتخابات الحرة واستبدال هندسة الإصلاح بإصلاحات جذرية وحقيقية إضافة لاتخاذ موقف صلب في بناء القدرات المعلوماتية وإعادة النظر ببروتوكولات باريس، والعزف على وتر المقاطعة الاقتصادية مع الأخذ بالاعتبار ان سياسة التكيف على أمل تغيير الوضع في إسرائيل فرضية ساقطة حيث لا توجد حكومة إسرائيلية أفضل للأردنيين، وحيث لا توجد معارضة داخلية في إسرائيل والحديث الأردني هنا مع أشخاص في الحكم الإسرائيلي لا يؤمنون بالأردن.

محليا اقترحت وصفات تجنب كلفة الانفجار التركيز على حقوق الإنسان الفلسطيني بدلا من شكل الحل والتلويح بإلغاء الاتفاقية وتشكيل لجان حق العودة في المكون الخياماتي الأردني وإعادة النظر بالعقيدة البيروقراطية والأمنية، والتشبيك مع الشتات الفلسطيني ووقف صرف جوازات سفر أردنية واستخدام أسلوب التأثير بالعسكر الإسرائيليين لتخفيف حدة انجراف كيانهم، ثم ربط الالتزام بالمعاهدة وحتى التهدئة بالحلول النهائية للصراع وبصورة مرجحة إجماع وسط المشاركين على عدم المشاركة في مؤتمر النقب 2.

في الأثناء تركيز على ان الأردن في سيناريو المخرج يتعامل مع نطاق إيديولوجي إسرائيلي لا يبدل في رأيه بمجرد التعامل براغماتيا معه، وتوصيات بالتركيز على عنصرية إسرائيل وتمكين الجبهة الداخلية على أساس المواطنة والتذكير بان فرض دور على الأردن هو تجاوز لخط شديد الاحمرار، وبان الثابت الأردني الأساسي هو دولة فلسطينية قابلة للحياة وقادرة على منح الجنسية وتقوية المعارضة الإسرائيلية وتقديم المساعدة تحت عنوان الصمود للفلسطينيين تجنبا لتفريغ الأرض، والحرص والسهر على كسب معركة الرأي العام الدولي لان إسرائيل اليوم أصبحت قضية إشكالية إضافة إلى أفكارها بان تستثمر الشرعية الدولية أوراقها في فلسطين مثل الوصاية والقدس.

سؤال السنة الثامنة حرب: كيف يمكن استعادة اليمن؟

البلد محكوم بميليشيات متعددة في كل مكان، في صنعاء وتعز ومأرب وعدن وشبوة وتهامة، لا يحكمها نظام أو قانون أو أي قيمة من القيم الإنسانية.

صنعاء ـ «القدس العربي»: أحمد الأغبري

مَن يقرأ البيان الفرنسي البريطاني الأمريكي الصادر الخميس بشأن اليمن يشعر وكان الطريق إلى السلام ما زال طويلا، لهذا ننطلق من فحوى البيان لنسأل: متى وكيف يمكن استعادة اليمن الذي كان؟ لكن هذا السؤال يستدعي أن نسأل أولا: كيف يمكن إعادة قراءة حيثيات كل هذا الموت والخراب وإمكانية تجاوزه والبدء من جديد بعد ثمان سنوات من الحرب؟

يقول نقيب الصحافيين اليمنيين الأسبق، الكاتب والمفكر عبدالباري طاهر، إن اليمن بعد ثمان سنوات حرب بات مدمرًا بشكل لا يتخيله عقل، «اليمن مدمر تمامًا، يُنبِه التحتية الهشة والضعيفة دُمرت، فيما البلد تحت الحصار الخارجي البري والجوي والبحري، والحصار الداخلي مستمر؛ فالمدينة تحاصر المدينة، والقرية تحاصر القرية، بمعنى أن اليمن، الآن، محاصر خارجيًا وداخليًا، والقتلى أكثر من نصف مليون، والمشردون أكثر من ثلاثة ملايين؛ هؤلاء نازحون داخل وطنهم، أما الأوبئة فتكاد تنافس القتلى في الحرب، فيما يخص المجاعة فحسب الإحصاءات الدولية فهناك نحو 82 في المئة بحاجة للمساعدات. إلى ذلك توقفت التجارة والأعمال، والتعليم تعطل، والتطبيب يكاد يكون متوقفا. اليمن يعيش حالة بؤس شامل شمالا وجنوبا».

ويضيف لـ«القدس العربي» أن «الوضع الآن هُدنة، لكن لا يزال اليمنيون يشعرون أنهم تحت وطأة التهديد بعودة الحرب؛ لأنه لن تكون هناك هدنة ما دام لا توجد معالجة جذرية لأي قضية من قضايا البلد، كالمعيشة أو التطبيب أو التعليم والأسرى والمختطفين وقضايا المعتقلين السياسيين. اليمن في متاهة وتحت وطأة التهديد بالحرب، وإذا وقفت الحرب ستظل آثارها موجودة، والبلد، الآن، محكوم بميليشيات متعددة في كل مكان، في صنعاء وتعز ومأرب وعدن وشبوة وتهامة، هذه الميليشيات لا يحكمها نظام أو قانون أو أي قيمة من القيم الإنسانية».

صراع الإقليم

لكن، مَن انتصر في هذه الحرب؟ يقول طاهر «الجميع في هذه الحرب تحت وطأة الكارثة، الجميع فيها مهزوم، اليمني يقتل اليمني، لا يمكن أن يكون هناك منتصر، عندما يقتل هابيل قابيل لا يكون هناك منتصر. مسألة قتل اليمني لليمني هي الكارثة. تحول اليمن لميدان حرب، واليمنيون أُجراء لحرب بالوكالة، والممولون هم دول الإقليم، وصراع الإقليم والقوى الدولية أوصل البلاد إلى هذه الكارثة التي نعيشها».

وحمّل طاهر «التحالف المسؤولية المباشرة عما شهده اليمن؛ فعلى الرغم من الأخوة الدينية والثقافية والقومية، ومع ذلك لعب التحالف الدور الأساس في اشعال الحرب، وفي الاستقواء بالرباعية الدولية. هم اللاعبون الأساسيون وهم الذين يفترض أن يتحملوا مسؤولية ما وصلت إليه البلاد؛ لأن السعودية والإمارات ودول الإقليم كانت تستطيع أن تلعب دورا آخر بدلاً من تأجيج الصراع، وتحويل البلد إلى صراع إقليمي بين الخليج وإيران، لكن للأسف هذا الصراع انتقل من الخليج إلى اليمن، وتحول اليمن إلى ساحة حرب مأجورة، وحرب بين أطراف، واليمنيون هم الذين يُقتلون لا مصلحة لهم من هذه الحرب».

الهيمنة الإسرائيلية

لكن عندما نسأل: من الذي استفاد من هذه الحرب؟ سنجد أنفسنا أمام إجابة ثقيلة الوطأة، يقول عبدالباري طاهر: «الذي استفاد من الحرب هو الذي يريد تدمير اليمن وتدمير الأمة العربية لصالح أن تصبح إسرائيل هي المركز والمسيطرة على المنطقة. التطبيع الإبراهيمي للتطبيع. الأميركان هم المستفيدون من هذه الحرب؛ لأن إدراتهم تقضي أن يكون النفط وإسرائيل الثابت الوحيد في المنطقة كلها، حتى الحكام العرب المطبعين مع إسرائيل لا وزن لهم الوزن الحقيقي للإيديولوجية الصهيونية ولدولة إسرائيل».

كيف يمكن استعادة اليمن؟

وهذا يمثل السؤال المرير الذي يواجه اليمني به نفسه. يجيب عليه طاهر تحت عنوان توحد إرادة اليمنيين، قائلا: «طبعا للأسف الشديد هذا السؤال هو الأهم: كيف نستعيد اليمن الذي كان؟ هذا يتطلب بالدرجة الأولى الإرادة اليمنيّة، إذا توفرت إرادة قوية تتخلص من أوزار التفرد بالحكم أو السيطرة والامتلاك الوحيد للثروة أو ادعاء الولاية أو الوصاية، والخلاص من الصراع الإقليمي، والابتعاد عن الصراع الدولي الكارثي».

واستطرد: «توحد الإرادة اليمنية يبدأ من تحاور اليمني مع اليمني، يعني البديل للحوار بين اليمنيين هو الحرب، وحتى نتخلص من الحرب لابد من الحوار، ويقبل اليمني باليمني، ويتحاور اليمني مع اليمني، المدينة مع المدينة، والقرية مع القرية، الأطراف المختلفة ومؤسسات المجتمع المدني، لابد من نشاط دائب لتقوية إرادة يمنية وانفتاح اليمنيين على بعض، وشعور اليمنيين أنهم كلهم ضحايا، وإذا ما أردنا الدقة فالعرب كلهم ضحايا. بدون أن تتفاهم المنطقة والأمة كلها ستكون الكارثة المقبلة التسيّد الإسرائيلي».

وتابع: «طبعا هذا تصنعه إرادة اليمنيين. أهم شيء استعادة الأمن والسلام والاستقرار، وتوافق إرادة اليمنيين على خيارات تجنب بلدهم الكارثة، أما صيغة الحكم لتكن دولة واحدة أو دولة فيدرالية، هذه تصنعها إرادة يمنية واحدة ومختارة بدون ضغط أجنبي وبدون هوس الاحتكام للقوة والغلبة».

Volume 34 - Issue 10901 Sunday 19 February 2023

في الذكرى الـ13 لانتفاضة 17 فبراير: مازالت ليبيا في قبضة أمراء الحرب

يتزايد الطلب على الأسلحة النارية والذخيرة، في ليبيا، مع تزايد أعداد الجماعات شبه العسكرية، ما يمنح المزيد من الفرص التجارية لمهربي الأسلحة إلى دول الساحل والصحراء، انطلاقا من ليبيا.

رشيد خشانة

اختزل نائب رئيسة الوزراء وزير الخارجية والتعاون الدولي الإيطالي أنطونيو تاياني المخارج السياسية من الأزمة الليبية، بأن تجلس تركيا ومصر على مائدة واحدة، لأن لدى الأولى نفوذا على طرابلس ولدى الثانية نفوذا على برقة (الشرق) مُضيفا جملة مهمة بقوله «نحتاج أيضًا إلى إشراك قطر والإمارات». ولا ريب في أن المعارك التي خيضت في ليبيا، على مدى اثني عشر عاما، يُغذيها الصراع بين القوى الإقليمية والدولية على ثروات البلد ومناطق النفوذ.

ومن الواضح أن استمرار تدفق الغاز الليبي على جنوب إيطاليا في مقدم أولويات روما، في الحاضر والمستقبل. وهذا ما يُفسر تصريحات تاياني في طرابلس، عندما أكد أن على إيطاليا حماية مصالحها، مُستدركا «ولكن أيضا أن تلعب دورا لصالح الاستقرار والنمو». وكانت إيطاليا توصلت إلى عقود مهمة مع ليبيا لتطوير أعمال التفتيش عن الغاز، بين مجموعة «إيني» و«المؤسسة الوطنية للنفط» في 28 الشهر الماضي.

ويراوح حجم الغاز المصدر من ليبيا إلى إيطاليا سنويا، بما بين 12 و14 مليار قدم مكعب، حسب رئيس مجموعة «إيني» كلاوديو ديسكالزي. غير أن تدفقات الغاز تتسم بالتذبذب. كما أنّ حجم الصادرات تراجع جراء عدم استقرار الوضع الأمني والسياسي وارتفاع الطلب الداخلي الليبي على الغاز.

في هذا السياق تعهد الإيطاليون بالعمل على جعل الفرقاء الليبيين يتحاورون مع بعضهم البعض. وأكد رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة أن إيطاليا «تعمل على استقرار ليبيا، من خلال جهودها مع دول الجوار». ويستمد هذا الموقف أهميته من التطابق بين الموقفين الإيطالي والأميركي من مجريات الأزمة الليبية، فقد عهدت واشنطن باللملف الليبي إلى روما، بعد انسحابها المؤقت من ليبيا، في أعقاب مقتل سفيرها في مقر القنصلية الأمريكية ببنغازي العام 2012 وقبل عودتها إليها تدريجا اعتبارا من 2017.

وغير بعيد عن هذا الموقف أتى تصريح عضو المجلس الرئاسي الليبي موسى الكوني، الذي عبر عن «سعادة» المجلس بأن تقود أمريكا المسار السياسي في ليبيا، «لأنها الدولة الوحيدة التي ينصاع لها الجميع» طبقا لما قال، مُستدلا بزيارة مدير المخابرات المركزية الأمريكية، وليام بيرنز الأخيرة، إلى كل من طرابلس وبنغازي، مع تأكيد الكوني أن أمريكا لن تتدخل عسكريا في ليبيا، تحت أي ظرف. وعزا ذلك إلى كونها «تحظى بنفوذ واسع تعتمد عليه في إدارتها للأزمات».

كتائب بدل الجيش

ويُعتبر تدفق الأسلحة المتوسطة والثقيلة على ليبيا أحد العوائق الكبرى في طريق الحل السياسي، إذ أن تخلي الزعيم الراحل معمر القذافي عن الجيش الليبي، بعد حربه في تشاد، والاستعاضة عنه بكتائب يقودها أبناؤه، أفسحا المجال لتكوّن جماعات مسلحة تفرض سلطتها على جزر أمنية متنافسة في مختلف المناطق والمدن.

وحسب خبراء الأمم المتحدة، في تقرير أصدره أخيرا مكتبها المعني بمكافحة المخدرات والجريمة، يتزايد الطلب على الأسلحة النارية والذخيرة، في ليبيا، مع تزايد أعداد الجماعات شبه العسكرية، ما يمنح المزيد من الفرص التجارية لمهربي الأسلحة إلى دول الساحل والصحراء، انطلاقا من ليبيا. وتكون وجهة تلك الأسلحة، غالبا، بوركينا فاسو ومالي والنيجر وتشاد.

من هنا تأتي مُطالبة «مجموعة الأزمات الدولية» للدول الأعضاء في الاتحاد الأفريقي بدعم خيار إجراء الانتخابات مباشرة، أي من دون الذهاب إلى تشكيل حكومة أخرى، معتبرة أن هذا الخيار يحمل أملا أكبر لحل الأزمة. ومن ضمن التوصيات الأخرى، التي اتخذها الاتحاد الأفريقي، قبل عقد قمته، التي افتُتحت أمس في أديس أبيبا، ضرورة تجاوز الانقسام بين الدول الغربية، التي تريد إجراء الانتخابات مباشرة، وبين مصر التي تفضل تشكيل حكومة جديدة موالية لها، أكثر من الحكومة الحالية. وظهر ذلك مثلا في إصرار الخارجية المصرية على مقاطعة وزيرة الخارجية في حكومة الوحدة نجلاء المنقوش.

مهمة وحيدة للدبيبة

من المهم الإشارة هنا إلى أن أمريكا من أشد المطالبين بالمرور مباشرة إلى الانتخابات، فقد خاطب موفدُها وليام بيرنز رئيس حكومة الوحدة الدبيبة بقوله «أمامك مهمة وحيدة هي إجراء الانتخابات ولا شيء غيرها» حسب ما يُتداول في طرابلس. كما طالبت «مجموعة الأزمات» بدعم المبعوث الأممي عبد الله باثيلي وتشجيعه على وضع خريطة طريق لحل الأزمة، بدلا من إطلاق مبادرة جديدة. وفي تطور لافت حققت العلاقات الليبية الإماراتية انعطافا كبيرا بعد الزيارة التي أداها رئيس حكومة الوحدة الدبيبة لأبو ظبي، الأربعاء الماضي، مرفوقا بوفد رفيع المستوى، بعدما كانت الإمارات الحلقة الأقوى في تحالف استهدف حكومة الوفاق الوطني السابقة في طرابلس، برئاسة فائز السراج. وضم الحلف كلا من مصر وروسيا والإمارات، بالإضافة لفرنسا. وما من شك بأن زيارة الدبيبة للإمارات كانت علامة على وجود مسعى إماراتي للتقريب بين الإخوة الأعداء في الصراع الليبي.

أكثر من ذلك حملت الزيارة مؤشرات إلى نقلة في العلاقات الثنائية، بعدما كانت المُمول الرئيس لقوات حفتر، التي هاجمت طرابلس في الرابع من أبريل/نيسان العام 2019. وكان واضحا من كلام الدبيبة في أبو ظبي، حرص طرابلس على فتح آفاق التعاون الاقتصادي بين البلدين، في المجالات الاقتصادية والاستثمارية المختلفة. وأكد الدبيبة بأنه اتفق مع رئيس الإمارات محمد بن زايد على تسيير رحلات جوية مباشرة بين البلدين، وفتح التأشيرات للمواطنين الليبيين وعودة السفارة الإماراتية إلى العمل من طرابلس. وشدد سفير الإمارات لدى ليبيا، محمد الشامسي، الذي قدم أوراق اعتماده أخيرا إلى رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي، على تفعيل اللجنة العليا المشتركة بين البلدين، ومنح الليبيين تأشيرات الدخول لدولة الإمارات إلكترونيا، من دون الحاجة إلى السفر لدولة ثالثة للحصول عليها.

تفكك الحلف الرباعي؟

وشكل استئناف العلاقات الليبية الإماراتية واحدا من المُتغيرات الاستراتيجية البارزة في المنطقة، لأنه أمارة على تفكك الحلف الرباعي المصري الروسي الإماراتي الفرنسي، وهو أيضا تهميشٌ للواء حفتر، الذي كان يصفه الإعلام الإماراتي بـ«المشير خليفة حفتر القائد العام للقوات المسلحة الليبية». ويتزامن هذا الانعطاف مع احتفال الليبيين بالذكرى الثانية عشر لانتفاضة 2011 التي أطاحت بنظام الزعيم الراحل معمر القذافي. وقد احتضنت الإمارات عددا مهما من رجال النظام السابق وساعدتهم سياسيا وماليا. وهذا ما يُفسر دفاعها على إشراك بعض رموز النظام السابق في الحكم، بتعلة أن مؤيدي شباط/فبراير، أو من كانوا يُنعتون بـ«الثوار» ليست لديهم الخبرة الكافية لإدارة شؤون الدولة.

والأرجح أن كسر الجليد بين طرابلس وأبو ظبي تم بناء على عدد من التسويات والمقايضات بين العاصمتين، التي انطلقت منذ مدة. وظهرت بعض ملامح التسويات من خلال موافقة الدبيبة على إقالة الرئيس السابق للمؤسسة الوطنية للنفط مصطفى صنع الله، وتسمية فرحات بن قدارة في مكانه، وهو الاسم الذي رشحه خليفة حفتر ووافقت عليه الإمارات. كما تشمل المقايضة أيضا إجراء تعديل وزاري في حكومة الدبيبة، بالاتفاق مع خليفة حفتر، وتحت رعاية الإمارات، يُرجح أن يُمنح بموجبها معسكر حفتر إمكانية تعيين وزراء المالية والتخطيط والدفاع، وربما الخارجية، إلى جانب نائبي رئيس الوزراء عن الجنوب والشرق.

مُقايضات

نظريا ستُساهم هذه المقايضات في إنضاج الشروط اللازمة لإجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، لكن في الواقع هناك عراقيل متنوعة مازالت تُعطل المسار، من بينها أن الموقف الدولي مازال غير موحد في عدة قضايا، من بينها طبيعة الانتخابات، هل تكون نيابية فقط، لإحداث مجلس تشريعي ينتخب بدوره رئيسا للدولة، أم تكون رئاسية لاختيار رئيس يسمي رئيسا للحكومة؟ وهنا يرى عضو المجلس الرئاسي موسى الكوني أن ليبيا بحاجة إلى رئيس منتخب وليس إلى برلمان أو مجلس رئاسي. ويعتقد الكوني، أن حكومة الوحدة الوطنية لديها مهمة مركزية هي تأمين الانتخابات وحمايتها، «لكن الجميع يعرقل إجراء الانتخابات» وفق قوله. ورجح الكوني احتمال عدم فوز أي من الأسماء الحاضرة في المشهد الحالي في الانتخابات.

والأرجح أن المبعوث الأممي عبد الله باثيلي يحمل في حقيبته هذه الخيارات في إطار سلسلة المشاورات مع الأطراف المحلية والدولية، قبيل إحاطته أمام مجلس الأمن المقررة للسابع والعشرين من الشهر الجاري. وعلى سبيل المثال يتمسك الألمان بالجمع بين الانتخابات النيابية والرئاسية، طبقا لما قالته وزيرة الخارجية الألمانية أنالينا بربوك لباثيلي، كما يُصر الألمان على إجراء الانتخابات قبل نهاية العام الجاري، وليس في السنة المقبلة مثلما يقترح البعض.

مدرعات جديدة

أكثر من ذلك، تستعد الحكومة الليبية لتسلم مركبات مدرعة من الإمارات، إذ قدم رئيسها الدبيبة (وهو في الوقت نفسه وزير الدفاع) خطابا إلى لجنة الجزاءات المفروضة على ليبيا، التابعة للأمم المتحدة، طالبا منها السماح باستلام 45 مركبة مدرعة من الإمارات، بالرغم من حظر الأسلحة المفروض على ليبيا. لكن الخبراء المتابعين للملف الليبي يؤكدون أن طموحات حفتر أكثر مما يمكن للدبيبة أن يقدمه. وهم يرون أن حجم الاتفاقات لا يحقق حتى الآن تسوية، إذ أن حفتر، الذي يريد الاستحواذ على كل شيء، مازال يريد المزيد، أكثر بكثير مما يمكن للدبيبة أن يعطيه، مخافة استعداء الجماعات المسلحة في غرب ليبيا، التي تدافع عنه وعن أعضاء حكومته. كما يواصل حفتر استخدام وجود حكومة باشاغا للضغط على الدبيبة، وفتح آليات تمويل موازية، من خلال إجبار البنوك، الموجودة في شرق ليبيا، على مراكمة الديون. والنتيجة الطبيعية لهذا التكتيك هي ترسيخ الانقسام المؤسسي بين شرق ليبيا وغربها.

حدث الأسبوع

عام على الحرب في أوكرانيا:
موسكو لم تكسبها ولم تخسرها وضبابية مسارها مشكلة عالمية

باريس – «القدس العربي»:
آدم جابر

قبل 360 يوماً، وتحديداً يوم الـ 24 من شباط/فبراير عام 2022 عند السّاعة الخامسة والنصف صباحاً بتوقيت موسكو، شنّ الجيش الروسي هجوماً على أوكرانيا المجاورة، البالغ عدد سكانها 43 مليون نسمة، وذلك بأمر الكرملين الذي قال سيده فلاديمير بوتين وهو يصف الهجوم بأنه «عملية عسكرية خاصة» من أجل «نزع السّلاح» من أوكرانيا و«اجتثاث النازية» منها. اليوم، وبعد عام تقريباً من الحرب الضّارية، التي قلبت حياة الأوكرانيين رأساً على عقب، يتعثّر الصراع، وسط فشل روسيا في تحقيق أهدافها الأولية المتمثّلة في السيطرة على كييف واستبدال الحكومة فيها بأخرى مؤيدة لموسكو، بل إن جيشها اضطر إلى التراجع على عدة جبهات وتكبد خسائر فادحة. بينما يعاني الأوكرانيون من الدمار والخسائر البشرية وفرار الملايين منهم خارج الوطن، ويخيم عليهم القلق من هجوم روسي جديد واسع النطاق مع بداية العام الثاني لهذه الحرب المستعرة.

مدن أوكرانية روجت لها الحرب

خيرسون، خاركيف، ماريوبول، زابوريجيا، سوليدار، باخموت، وغيرها، هي مدنٌ ومواقع استراتيجية بأوكرانيا كانت على مدى الأشهر الأخيرة الاثني عشر مسارح لقتال شرس بين القوات الأوكرانية ونظيرتها الروسية التي تمكنتْ من إحكام سيطرتها على معظمها في نهاية المطاف. لكن خلافاً لكل التوقعات تراجعت قوات موسكو، إذ انسحبت من مدينة بوتشا التي سينتشر اسمها في جميع أنحاء العالم. وفي نهاية آذار/مارس ارتكزت الحرب في الشرق، مع اشتعال القتال في خاركيف، ثاني المدن الأوكرانية أو أيضا مدينة ماريوبول الاستراتيجية. وخلال الصيف، تعرضت محطة زابوريجيا لتوليد الطاقة لنيران المدفعية، ما ضاعف من مخاوف العالم من وقوع حادث نووي. في غضون ذلك، قادت كييف، في يوم السّابع من أيلول/سبتمبر الماضي، هجومًا مضادًا ضد روسيا، قبل أن يُعلن الجيش الأوكراني، في غضون أيام قليلة، أنه استعاد آلاف الكيلومترات المربعة، بما في ذلك مدينة الطاقة النووية، في مقدمتها محطة خيرسون الاستراتيجية. ويُعدُّ ذلك نجاحا عسكريا مبنياً على التعاون الوثيق بين المخابرات الأوكرانية والأمريكية، الذي سمح، طوال الصيف، لأوكرانيا بالحصول على بيانات دقيقة حول نقاط ضعف الجيش الروسي على الأرض.

ردت روسيا على الانتكاسات التي تعرضت لها قواتها، لتباشر اعتباراً من تشرين الأول/اكتوبر هجوماً مكثفاً ضد البنى التحتية الأوكرانية للطاقة، أدى إلى تدمير حوالي أربعين في المئة من قدرة توليد الطاقة في أوكرانيا. كما تم استهداف البنى التحتية للطاقة الأخرى، بما في ذلك محطات الطاقة النووية، في مقدمتها محطة زابوريجيا. وكشفت موسكو مؤخرًا من جهودها العسكرية في الشرق، بما في ذلك من خلال مجموعة فاغنر شبه العسكرية. الأمر الذي دفع كييف إلى الاقرار بـ«تعقيد الوضع» حول مدينة باخموت مركز القتال في المنطقة. فبعد عدة أشهر من القتال المدفعي دون تحقيق مكاسب كبيرة على الأرض، أحرزت القوات الروسية تقدمًا في الأسابيع الأخيرة، حيث استولت على بلدة سوليدار في كانون الثاني/يناير، ثم على قرية كراسنا جورا في المنطقة المجاورة مباشرة لباراسكوفيتشفكا. كما تخوض موسكو هجومًا جنوب باخموت حول بلدة فوهليدار الصغيرة –الاستراتيجية.

خسائر الطرفين البشرية جسيمة

منذ بداية الغزو الروسي لأوكرانيا وحتى معركة باخموت الحالية، كانت الخسائر كبيرة، مع الحديث عن 180 ألف قتيل أو مصاب بجروح بين الجنود الروس، و100 ألف على الجانب الأوكراني، كأحدث حصيلة عسكرية للصراع، صدرت عن حكومة النرويج هذا الأسبوع. وتشير مصادر غربية أخرى إلى سقوط 150 ألف ضحية من كل جانب. بالنسبة إلى الجانب الروسي، فإن هذا العدد يفوق كثيراً الـ 15 ألف جندي من الجيش الأحمر الذين قتلوا خلال عشر سنوات من الحرب في أفغانستان (1979–1989). لكن موسكو أكدت، في نهاية تموز/يوليو أن حوالي 15 ألفاً فقط من جنودها قتلوا في المعارك، وأصيب 45 ألفاً آخرين، في وقت قدرت فيه الاستخبارات الأمريكية أن «أكثر من 75 ألف جندي روسي قتلوا أو جرحوا».

علاوة على الحصيلة العسكرية، سقط عشرات آلاف المدنيين، أيضاً ضحية لهذه الحرب التي تستعد لدخول عامها الثاني، حيث تتحدث مصادر غربية حتى الآن عن حصيلة تتراوح بين 30 و40 ألفاً. وقدرت الأمم المتحدة، في نهاية كانون الثاني/يناير الماضي، عدد القتلى والجرحى بـ 18 ألفاً، مع الإقرار بأن «الأرقام الفعلية أعلى بكثير». وحسب كييف فإن أكثر من 400 طفل من بين القتلى. ففي مدينة ماريوبول الساحلية لوحدها، حيث تناثرت الجثث في الشوارع بعد ثلاثة أشهر من القصف الروسي، أكدت سلطات كييف أن أكثر من 20 ألف مدني أوكراني لقوا حتفهم في المعركة التي انتهت في أيار/مايو.

إلى جانب ذلك، تم الإبلاغ عن نحو65 ألف حالة تم تصنيفها ضمن «جرائم الحرب» وفقًا لمفوض العدل بالاتحاد الأوروبي. ونُسبت عمليات الإعدام والاغتصاب والتعذيب واختطاف 16 ألف طفل إلى روسيا أو إلى منطقة خاضعة للسيطرة الروسية، حسب كييف – إلى القوات الروسية، التي اتهمها محققو الأمم المتحدة في أيلول/سبتمبر الماضي بارتكاب جرائم حرب واسعة النطاق. واتهمت أوكرانيا بدورها في عدة مناسبات بارتكاب جرائم حرب ضد سجناء روس. وستظل هذه الحرب مرتبطة بصور جثث لمدنيين، بعضهم مقيد الأيدي خلف ظهورهم، متناثرة في أحد شوارع بوتشا، بالقرب من كييف، بعد انسحاب القوات الروسية منها في نيسان/ابريل. وقد فتحت المحكمة الجنائية الدولية تحقيقا في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في أوكرانيا منذ بداية آذار/مارس الماضي.

من جهة أخرى، أكدت الأمم المتحدة أن حوالي 10 ملايين شخص اضطروا بالفعل إلى الفرار من بيوتهم في أوكرانيا منذ بداية الحرب، تم الترحيب بغالبيتهم في دول الاتحاد الأوروبي، في مقدمتها بولندا المجاورة.

أسلحة ثقيلة وطائرات مقاتلة

في ظل التطورات الميدانية الأخيرة، وبينما يشتعل القتال هذه الأيام، لاسيما على الجبهة الشرقية مع معركة باخموت، تزداد مخاوف الأوكرانيين من هجوم روسي جديد واسع النطاق من أجل استعادة السيطرة على الصراع، وذلك بالتزامن مع الذكرى السنوية الأولى لاندلاع الحرب، الأمر الذي دفع كييف إلى تكثيف ضغوطها على حلفائها الغربيين للحصول على ذخائر وأسلحة ثقيلة وطائرات مقاتلة أبدوا حتى الآن حذراً وتحفظاً بخصوص الطائرات والصواريخ بعيدة المدى التي طلبها زيلينسكي منهم لقصف أهداف عسكرية ومدنية داخل روسيا، خشية أن يحوّل ذلك الحرب إلى مواجهة مباشرة بينهم وبين موسكو. وإن كان الرئيسُ الفرنسي إيمانويل ماكرون وعد قبل ذلك بتسليم كييف مدرعات خفيفة لتكون المرة الأولى التي ستتزود فيها القوات الأوكرانية بمدرعات غربية الصنع (حتّى الآن اقتصرت الدبّابات التي حصلت عليها أوكرانيا من حلفائها الغربيين على دبّابات سوفييتية التصميم).

علاوة على الأسلحة الثقيلة والطائرات المقاتلة غربية الصنع التي باتت مطلباً أوكرانيا ملحاً في ظل المخاوف، تتواصل حركة الدعم الدولية غير المسبوقة لكييف، حيث وصلت المساعدة العسكرية المقدمة إليها إلى نحو 84 مليار دولار، من نحو أربعين بلداً، وفقًا لبيانات من معهد كايل للاقتصاد العالمي. وتعد الولايات المتحدة المساهم الأكبر إلى حد بعيد، إذ أنفقت في المجموع أكثر من 40 مليار دولار. ويبدو أن قاذفات الصواريخ الامريكية «هيمارس» ساهمت في التقدم الكبير للقوات الأوكرانية في مناطق خاركيف في الشمال الشرقي، وخيرسون جنوباً. وفي تشرين الثاني/نوفمبر، قرر الغرب تسليم دروع ثقيلة إلى كييف، متجاوزًا خط أصفر روسيا. بالتزامن مع ذلك، تعد واشنطن وحلفاؤها في مجموعة السبع والاتحاد الأوروبي بمواصلة العقوبات غير المسبوقة ضد موسكو رداً على حرب يعتبرها الغرب «غير مبررة». وثمة اليوم حديث لدى حلفاء كييف عن اعتماد حزمة جديدة من العقوبات تزامناً مع الذكرى السنوية الأولى لهذا الغزو، الذي أحدث اضطرابات جيوسياسية كبرى على الصعيد العالمي.

أزمتا الطاقة وإمدادات الحبوب

غير أن هذا الصراع المستمر منذ عام والعقوبات الاقتصادية التي فرضت على موسكو تسببا في تغيير عميق وأزمة حادة على مستوى سوق الغاز والنفط، لاسيما بالنسبة إلى الأوربيين، بصفتهم أكثر المعتمدين على الغاز والنفط الروسيين. وضاعف من أزمة النفط فشل الرئيس الأمريكي ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون وقادة غربيون آخرون في اقناع البلدان النفطية الخليجية، لاسيما المملكة العربية السعودية، برفع إنتاجها من الذهب الأسود للحيلولة دون ارتفاع أسعاره في هذه البلدان، بعد العقوبات الغربية ضد موسكو، وحتى لا تستفيد هذه الأخيرة من هذا الارتفاع في أسعار المحروقات لتمويل حربها على أوكرانيا. كما أدى إغلاق الموانئ الأوكرانية جراء هذه الحرب، إلى ترك حوالي 20 مليون طن من الحبوب عالقة في الصوامع، الأمر الذي أدى إلى أزمة غير مسبوقة في إمدادات الحبوب العالمية. وفي الـ22 من تموز/يوليو عام 2022 مكن اتفاق إسطنبول لتصدير الحبوب بين روسيا وأوكرانيا بإشراف الأمم المتحدة ووساطة تركية من الحد من أزمة الغذاء العالمية الخطيرة هذه والناجمة عن الغزو الروسي لأوكرانيا. لكن اليوم، وبعد نحو سنة، وعلى بعد خمسة أيام من استدال الستار على العام الأول للحرب في أوكرانيا، تؤكد الأمم المتحدة أن اتفاق الحبوب «في وضع صعب» آملة في أن يتم تجديده في منتصف آذار/مارس المقبل.

والحقيقة أن الاقتصاد الروسي ما يزال صامداً بعد نحو عام من العقوبات غير المسبوقة من واشنطن وحلفائها الأوروبيين، بل إنه يبدو أفضل حالا أكثر مما توقعت المنظمات قبل أشهر، إذ يُظهر ركوداً طفيفاً (– 2 في المئة فقط) في عام 2002 يتوقع أن يكون في المنطقة الخضراء هذا العام أي عام 2023.

اليوم، مع مرور عام على بدء الغزو الروسي لأوكرانيا، لا يخفي الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، قلقه حيال الوضع وما قد تحمله الأيام والأسابيع المقبلة، فيما تبدو الدول الغربية الداعمة لأوكرانيا منقسمة أكثر من أي وقت مضى حيال مستقبل الحرب في هذا البلد. فبعضها، على غرار المملكة المتحدة ودول وسط أوروبا وشمالها وشرقها، تقف بشكل تام خلف كييف بينما يبدو الحذر سيد الموقف لدى دول أخرى في مقدمتها ألمانيا، ومعها تقريبا غالبية دول الجنوب الأوروبي، وذلك بسبب مزيج من التقاليد السلمية والمصالح الاقتصادية. وبين هذين المعسكرين، هناك مجموعة ثالثة من الدول، في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، تشدد على ضرورة تقديم المساعدة لأوكرانيا لكن دون المخاطرة بالتصعيد، وإن كانت باريس تعطي انطباعاً أحياناً بأنها تتموضع بين موقفي واشنطن وبرلين.

وبالرغم من عودة شيء من الثقة إلى الأسرة الدولية بعد تجاوز جائحة كورونا التي ألقت بثقلها على العالم كله طوال قرابة ثلاثة أعوام، فإن عدم اتضاح الرؤية بالنسبة إلى مسار الحرب الروسية الأوكرانية من شأنه إضعاف هذه الثقة وجعلها هشة لعدة أسباب واعتبارات منها أن هذه الحرب يمكن أن تقود أكثر من جديد سباقا محموما نحو التسلح بين القوى العظمى والقوى المتوسطة. زد على ذلك أنها تعرقل إلى حد كبير جهود هذه القوى تجاه بلدان الجنوب فيما يخص المساعدات التنموية.

من جورجيا إلى أوكرانيا: مُستجار الرمضاء بالنار

صبحي حديدي

ثمة، في المصير الراهن الذي انتهى إليه الرئيس الجورجي الأسبق ميخائيل ساكاشفيلي، ما يستوجب استخلاص بعض الدروس في مناسبة دخول الاجتياح الروسي لأوكرانيا سنته الأوّلى، والوضع العالق الذي انتهت إليه معارك الكرّ والفرّ بين الجيشين الروسي والأوكراني؛ وقبل هذا وذاك، مآل الخيارات الأمريكية في أوكرانيا، وقبلها جورجيا، وشبه جزيرة القرم، وربما منطقة القوقاز بأسرها. ساكاشفيلي، رجل البيت الأبيض والحلف الأطلسي ماضياً والمتعاون لاحقاً (من منطلق جنسيته الأخرى الأوكرانية) مع كييف تحت رئاسة فولوديمير زيلينسكي، هو حالياً نزيل سجن روستاي لأنّ القضاء الجورجي يلاحقه في قضايا جنائية عديدة بينها استغلال السلطة؛ وخلفه الرئيس الجورجي الحالي يعتبره تهديداً لاستقرار البلاد، وقد تسلل إليها بطريقة غير قانونية، ولا يمكن لمواطن يسمي نفسه أوكرانياً أن يتدخل في شؤون جورجيا الداخلية.

وقد يكون الدرس الأوّل الأهمّ هو خطل النهج الإجمالي الذي اعتمده الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وجاء أقرب إلى ردّ فعل تصعيدي إزاء نهج إجمالي موازٍ استقرت عليه واشنطن منذ مطلع العام 2004، حين ربت الرئيس الأمريكي جورج بوش على كتف ساكاشفيلي، وهنأه على النتيجة الجارفة التي أسفرت عنها انتخابات (كانت، في أكثر من وجه، جديرة بأنظمة الاستبداد العربية وحدها!). يومها لم يغب عن بال بوش، وهو الابن البارّ للاحتكارات النفطية الكونية العابرة للقارّات، أن يذكّر الرئيس الشاب هكذا: «نعلّق الكثير من الآمال على جورجيا الجديدة»، و«ننتظركم بفارغ الصبر في واشنطن، من أجل الشدّ على أيديكم».

لم لا، فالرئيس الشاب كان ابن الولايات المتحدة وربيب الثقافة الأمريكية في نهاية الأمر، والحمقى وحدهم أغفلوا حقيقة الدور الأمريكي في صعوده، على أنقاض إدوارد شيفارنادزة... حليف أمريكا السابق في عهد الـ«بيريسترويكا»، وكذلك خلال السنوات اللاحقة كافة. وإذا كان الأخير قد صار طريد الجماهير الجورجية، فلأنّ ساكاشفيلي اتخذ صورة الوليد السعيد للحلم الأمريكي في ناظر جموع بلغ بها السيل الزبى، ليس ضدّ المافيات والنهب المنظّم والفساد العميم فحسب، بل أساساً من أجل لقمة خبز يومية نظيفة.

وكان محتماً أن تسير التساؤلات على المنوال التالي، مثلاً: حتام ستبقى آمال الجورجيين الفقراء معلّقة على الحلم الذي احتكر ساكاشفيلي تجسيده؟ وهل ستطول آجال الانتظار، بالنظر إلى أنّ المعطيات كانت تقول إنّ هذه الجمهورية لن تكون أفضل من أخواتها الجارات، جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابقة في البلطيق والقوقاز، المنخرطات في اقتصاد السوق، والذي بات مجرّد تنويع لفظي على التعبير الآخر الأدقّ: «الليبرالية الوحشية»؟ وهل ستكون جورجيا الجديدة محض بيدق جديد ينضمّ إلى الشطرنج الكبير الذي يشهد «اللعبة الكبرى» العتيقة، لعبة الأمم والمصالح دون سواها... ودون تبديل كبير؟ وهل الصلة واضحة، كما عين الشمس، بين أوضاع جورجيا غير المستقرّة، وعراقيل تنفيذ أنبوب النفط العملاق «باكو – تبليسي – سيحان»، القادم من حقول نفط أذربيجان وكازاخستان وبحر قزوين إجمالاً، المارّ في جورجيا بالضرورة، والواصل إلى ميناء سيحان التركي على شواطئ المتوسط؟

خلال الحقبة ذاتها كان بوتين يجتمع مع أركان القيادة العسكرية الروسية، ليبشّر العالم بأنّ روسيا سوف تنشر في الأعوام القليلة القادمة أنظمة صواريخ نووية جديدة متفوّقة على كلّ ما تمتلكه جميع القوى النووية الأخرى في العالم. وتابع، في تصريحات نُقلت على شاشات التلفزة الرئيسية، أنّ بلاده لا تكتفي بالأبحاث النووية والاختبارات الناجحة للأنظمة الجديدة، بل هي ستتسلّح بها فعلياً خلال السنوات القليلة القادمة: «أنا واثق أنّ هذه التطوّرات والأنظمة غير متوفرة لدى الدول النووية الأخرى، ولن تكون متوفرة في المستقبل القريب».

اليوم يربت الرئيس الأمريكي جو بايدن على كتف زيلينسكي، ويصبّ الأطلسي الزيت على نيران الاجتياح الروسي، ويجأر ساكاشفيلي بالشكوى من شروط زنزانته، ويستعيد بوتين معزوفات أنظمته الصاروخية النووية الفتاكة؛ وأمّا شعوب القوقاز والبلقان فإنها تواصل التقلّب في حال المستجير من الرمضاء بالنار...

عام على الحرب في أوكرانيا: حسابات الأرباح والخسائر

صادق الطائي

نعيش هذه الأيام ذكرى مرور عام على بدء الحملة العسكرية الروسية على أوكرانيا، إذ انطلقت ما أسمته وسائل الإعلام الروسية الرسمية «العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا» في 24 شباط/فبراير 2022 والتي أعلنت أسبابها على لسان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عندما أعلن نيته «تطهير أوكرانيا من النازيين الجدد». وكان توقع الكرملين أنها ستكون عملية خاطفة لإطاحة حكومة فولوديمير زيلينسكي في كييف، وتشكيل حكومة موالية لموسكو لإغلاق باب مطالبة كييف الانضمام للاتحاد الأوروبي، أو تفكيرها بالانضمام لحلف شمال الأطلسي «الناتو». وقد أشار عدد من الباحثين السياسيين والعسكريين إلى أن حكومة بوتين توقعت أن الفارق في الحجم والقوة والقدرات العسكرية سيجعل من (العملية العسكرية الخاصة) نوعا من الرحلة واستعراض القوة التي يتبجح بها فلاديمير بوتين ليثبت قدرته على الوقوف بوجه خصومه الغربيين متحديا حزم العقوبات التي فرضت على بلاده نتيجة إقدامه على غزو دولة مستقلة.

جرد حساب

قبل الحرب، كانت موسكو تسيطر على حوالي 17000 ميل مربع من أراضي أوكرانيا، مقسمة إلى شبه جزيرة القرم (احتلتها عام 2014) والمناطق التي يسيطر عليها الانفصاليون في دونيتسك ولوهانسك. وبحلول نهاية الأسبوع الرابع من الحرب، سيطرت روسيا على معظم الأراضي التي كسبتها في عمليتها العسكرية، وفي أب/اغسطس كانت روسيا قد سيطرت على أكثر من 50000 ميل مربع، أو ما يعادل 22 في المئة من مساحة أوكرانيا.

ربما كان هدف الكرملين المبكر المتمثل في الاستيلاء بسرعة على كل أوكرانيا طموحًا للغاية، وفقًا لما قاله ماكس بيرغمان، مدير برنامج أوروبا في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية. وقال بيرغمان «الآن ما تحاول روسيا فعله ليس بالضرورة كسب المزيد من الأراضي». وعلى مدى أسابيع كافحت روسيا لتحقيق أي تقدم إقليمي في أوكرانيا، لكن في النهاية انسحبت قواتها من مناطق رئيسية في الشرق والجنوب.

لقد توقع مسؤولون بالإدارة الأمريكية أن تنتهي الحرب في غضون أيام، ولم تتوقع روسيا أن يستمر الصراع طويلًا أيضًا، وكانت تلك «الخطيئة الأصلية» للكرملين، وفقًا لماسون كلارك، كبير المحللين في معهد دراسة الحرب الأمريكي. إذ قال «ما أعاق التقدم الروسي هو أنهم لم يستعدوا للقتال لفترة طويلة». ويُظهر تحليل «واشنطن بوست» للبيانات الصادرة من معهد دراسة الحرب الأمريكي أنه بعد التقدم العدواني في الأسابيع الأولى من الحرب، لم تكسب روسيا أكثر من 1000 ميل مربع في أسبوع منذ نيسان/أبريل.

بعد التقدم السريع في شمال شرق، وشرق، وجنوب أوكرانيا، سيطرت روسيا على أكثر من 50000 ميل مربع في نهاية الأسبوع الرابع من الحرب. وبعد محاولة فاشلة للسيطرة على كييف، سحبت قواتها من شمال أوكرانيا، وتنازلت عن أكثر من 10000 ميل مربع في ذلك الأسبوع. وكافحت القوات الروسية، التي افتقرت للتجهيزات والمقاتلين المدربين تدريبا عاليا، لتحقيق مكاسب إقليمية كبيرة بين أيار/مايو وآب/أغسطس. وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزته في منطقة الدونباس في أواخر حزيران/يونيو، إلا أن مكاسبها الأسبوعية في الصيف لم تتجاوز 815 ميلًا مربعًا، أي ضعف مساحة ناشفيل.

تميزت نهاية الصيف بخسائر روسية كبيرة في منطقة خاركيف، بعد أن دفعت الهجمات الأوكرانية المضادة القوات الروسية إلى الشرق. وبعد احتلال خيرسون لما يقرب من تسعة أشهر، سحبت روسيا قواتها من المدينة الجنوبية، وهو ما يمثل نكسة كبيرة لموسكو، إذ استعاد الأوكرانيون منطقة خيرسون بعد انسحاب موسكو في 11 تشرين الثاني/نوفمبر، ما يمثل أكبر انتصار لأوكرانيا في الحرب حتى الآن وثالث ضربة قاصمة لروسيا، بعد انسحاب قواتها من الشمال في أبريل ثم من خاركيف في أيلول/سبتمبر.

الخسائر البشرية وشركات المرتزقة

تجدر الإشارة إلى عدم وجود إحصائيات دقيقة عن خسائر طرفي الحرب، بالمقابل كانت التصريحات الروسية والأوكرانية على حد سواء تضخم خسائر العدو وتبالغ في الأرقام التي تعلنها جهات رسمية أو شبه رسمية. إذ قدر ميخايلو بودولاك، مستشار الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، في أوائل كانون الأول/ديسمبر الماضي أن ما يصل إلى 13000 جندي أوكراني قتلوا منذ بدء الحرب. من جانبه، علق رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة، الجنرال مارك ميلي على الأمر قائلا: إن «كلا الجانبين قد شهدا مقتل أو إصابة حوالي 100 ألف جندي من كل طرف». كما قدر القائد الأعلى للدفاع النرويجي الجنرال إيريك كريستوفرسن خسائر الجانب الأوكراني من القتلى والجرحى بأكثر من 100000.

منذ الأيام الأولى للحرب، تباينت أعداد الخسائر في صفوف الجنود الروس على نطاق واسع – اعتمادًا على المصدر. ورفعت أوكرانيا تقديراتها للجنود الروس الذين قتلوا في الصراع إلى أكثر من 134 ألفا. وقد تم تحديث هذه الأرقام بشكل متكرر في صفحة الفيسبوك الخاصة بهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة في البلاد. في أول تحديث لها عن الخسائر البشرية، زعمت روسيا في أواخر ايلول/سبتمبر الماضي أنها تكبدت خسائر بشرية تقدر بـ 5937 عسكريًا روسيًا. بينما قال المتحدث باسم الكرملين ديمتري بيسكوف إن هناك «خسائر كبيرة في القوات العسكرية، وهي مأساة كبيرة لنا».

وأكد تقرير صادر عن «Meduza» وهي وسيلة إعلامية روسية مستقلة، وتمثل الفرع الروسي لهيئة الإذاعة البريطانية «BBC» مقتل ما لا يقل عن 10000 جندي روسي حتى 9 كانون الأول/ديسمبر الماضي. ونقلت صحيفة «نيويورك تايمز» عن مسؤولين أمريكيين تقديرهم للخسائر الروسية بأنها «تقترب من 200 ألف مقاتل بين قتيل وجريح ومفقود». لكن المحللين في فريق استخبارات الصراع يعتقدون أن الخسائر الروسية قد تكون أقرب إلى 270 ألفًا. بينما يشير تحليل «BBC» الخاص الذي يتابع نعي الروس لوفاة أبنائهم إلى أن العائلات الروسية منذ شباط/فبراير 2022 دفنت ما يصل إلى 33000 جندي. كما عانت روسيا من ارتفاع معدل الخسائر في صفوف كبار الضباط، إذ قتل 13 جنرالا روسيا، وفقا للسلطات الأوكرانية، بينما قدرت وكالة المخابرات الدفاعية الأمريكية الرقم من ثمانية إلى عشرة.

ولتعويض الخسائر الكبيرة في صفوف المقاتلين الروس، وتراجع الروح المعنوية للمقاتلين بعد مرور عام على الحرب، لجأت حكومة بوتين إلى شركات توفير المقاتلين المرتزقة لاستخدامهم في الحرب، إذ تشير التقديرات إلى أن أكثر من أربعين ألفاً من عناصر مجموعة «فاغنر» من المرتزقة يقاتلون في أوكرانيا. وهم يشكلون رأس الحربة في القوات الروسية الضاربة. وأشارت بعض التقارير الصحافية إلى أن أكثر مقاتلي «فاغنر» الحاليين هم من أصحاب السوابق الذين تم إطلاق سراحهم بشكل مشروط في مقابل القتال في أوكرانيا لمدة ستة أشهر على الأقل، يحصلون بعدها على عفو نهائي ومكافآت مالية.

وقد ظهر يفغيني بريغوجين، الرجل المقرب من بوتين أو «طباخه» كما يوصف إعلاميا، وهو صاحب مجموعة «فاغنر» في مقطع فيديو في أيلول/سبتمبر الماضي وهو يتحدث إلى سجناء في باحة سجن روسي ويعدهم بمكاسب القتال في أوكرانيا، وشجع السجناء على الانضمام للقتال قائلاً: «إن المجتمع سوف يحترمكم» وسوف تتحولون إلى «أبطال» وحذرهم من ارتكاب جرائم جديدة مثل الاغتصاب «لا تشربوا الكحول، لا تتعاطوا المخدرات، لا تغتصبوا... كونوا منضبطين وستعودون بعدها إلى الوطن أبطالاً بسجلات نظيفة». ودافع رئيس مجموعة «فاغنر» أخيراً عن فكرة إرسال سجناء للقتال في أوكرانيا، وهاجم منتقديه بقوة داعياً «الذين لا يرغبون في إرسال المدانين إلى القتال، أن يرسلوا أبناءهم إلى الجبهة بدلاً من ذلك».

النتائج

أشار المراقبون والمحللون إلى أن الفترة الأخيرة شهدت تصريحات من طرفي النزاع حول إمكانية التوجه للتفاوض لتسوية الأزمة. وكان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قد أعرب عن استعداد بلاده للاتفاق مع جميع أطراف النزاع في أوكرانيا على حلول مقبولة، مشيرا إلى أن تلك الأطراف ترفض ذلك. وتسعى روسيا إلى التفاوض على أساس الأمر الواقع حيث أنها تعتبر المناطق التي سيطرت عليها منذ شباط/فبراير الماضي أراض روسية بعد أن ضمتها بشكل رسمي إلى الاتحاد الروسي ولا تتقبل موسكو التراجع عن هذه الخطوة من أجل إقرار السلام.

على الجانب الآخر، تطالب كييف بالانسحاب الكامل للقوات الروسية من الأراضي الأوكرانية حتى التي استولت عليها موسكو عام 2014 مثل شبه جزيرة القرم كشرط مسبق للتفاوض. وفي هذا الإطار، قال دميترو كوليبا وزير الخارجية الأوكراني «لإنهاء الحرب في أوكرانيا، يجب على روسيا سحب قواتها من كامل أراضي أوكرانيا» مشيرا إلى رغبة بلاده في عقد «قمة سلام» بحلول نهاية شباط/فبراير الجاري، ويُفضل أن تكون على منصة الأمم المتحدة بحضور الأمين العام للمنظمة أنطونيو غوتيريش كوسيط محتمل. والنتيجة بقاء الحرب مشتعلة إلى أمد غير معروف.

ماذا فعلت العقوبات الغربية في روسيا وما هي تداعياتها على الدول الأوروبية؟

إبراهيم نوار

تستعد المفوضية الأوروبية لإصدار حزمة العقوبات العاشرة ضد روسيا، بهدف إضعاف قدرتها على الاستمرار في الحرب، وذلك على التوازي مع تكثيف إمداد أوكرانيا بالسلاح، لمساعدتها على هزيمة روسيا في ساحة الحرب. العقوبات الأوروبية، التي تتبناها أيضا مجموعة الدول السبع الصناعية الكبرى، ودول حلف الأطلنطي بقيادة الولايات المتحدة، ليس لها أساس قانوني لأنها اتخذت خارج نطاق القانون الدولي، وخارج منظمات الأمم المتحدة، لكن منطق القوة يعزز وجودها واستمرارها. وقد ابتكرت الولايات المتحدة سياسة العقوبات خارج نطاق الأمم المتحدة بعد انتصارها في الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو. كما أن لجوء الاتحاد الأوروبي إلى استخدام سياسة العقوبات ضد روسيا يمثل خضوعا لابتزاز أمريكي لأوروبا منذ حروب البلقان في تسعينيات القرن الماضي، عندما حاولت أوروبا إبعاد الولايات المتحدة عن التدخل فيها، لكنها لم تتمكن من كبح القوة الأمريكية، خصوصا بعد مذبحة سبرينيتسا عام 1995. ومع وقوع حرب القرم عام 2014 أرادت أوروبا أن تثبت لنفسها أنها تستطيع أن تطور سياسة خاصة بها ضد روسيا؛ فاقتفت طريق الولايات المتحدة في استخدام سلاح العقوبات الاقتصادية، كوسيلة من الوسائل الرئيسية للدفاع عن الهوية الأوروبية ضد التدخل الروسي. لكن مع دخول القوات الروسية إلى أوكرانيا في العام الماضي، فإن دول الاتحاد الأوروبي وجدت نفسها تعود مرة أخرى إلى أحضان الدبلوماسية الأمريكية، التي استعادت مكانتها في أوروبا بعد أن كانت تفقدها تدريجيا خلال السنوات العشر الأخيرة.

مجالات العقوبات

تتضمن العقوبات الأوروبية المفروضة على روسيا منذ حرب القرم عام 2014 مجموعة من الحزم العقابية، في ثلاثة مجالات رئيسية: المجال الأول، هو عقوبات تستهدف أشخاصا وهيئات بعينها تشمل مصادرة الأملاك وتصفية الشركات ومنع التعامل معها. والمجال الثاني، هو عقوبات اقتصادية تشمل قطاعات العملات والتسويات النقدية، والتجارة، والتمويل، والنقل، بما في ذلك النقل الجوي وإغلاق المجال الجوي الأوروبي ضد طائرات الشحن والركاب الروسية، والتأمين والخدمات وغيرها. أما المجال الثالث للعقوبات فهو فرض قيود على تأشيرات الدخول للأفراد بشكل عام. وتنطبق هذه العقوبات على تأشيرات السفر للدراسة أو المشاركة في المؤتمرات العلمية أو المسابقات الرياضية والفنية وغيرها.

وقد تم توسيع العقوبات المفروضة على روسيا لتشمل كلا من بيلاروسيا وإيران بسبب تأييدهما للحرب الروسية في أوكرانيا. وتقول بيانات الاتحاد الأوروبي أن العقوبات ضد هذه الدول بما فيها روسيا، لا تسري على تجارة المواد الغذائية والسلع الزراعية والأسمدة، خارج دول الاتحاد الأوروبي. ومع ذلك فإن القيود المفروضة على واحدة من أكبر الدول المنتجة للأسمدة والحبوب وزيوت الطعام في العالم ترك آثاره السلبية على سوق المواد الغذائية الأوروبية والعالمية، بما في ذلك الدول النامية والفقيرة، التي تعاني من انعدام الأمن الغذائي. وقد كان ارتفاع أسعار الغذاء واحدا من المحركات الرئيسية لارتفاع التضخم في أوروبا، ومن ثم للسياسة النقدية المتشددة التي ما يزال يطبقها مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، وهي السياسة التي أضعفت اليورو والاسترليني والين الياباني وعملات الدول النامية.

وفيما يتعلق بالعقوبات المفروضة ضد الأفراد الطبيعيين والاعتباريين والشركات والبنوك، فقد بلغ عدد الأفراد الخاضعين للعقوبات حتى الآن 1386 فردا، في حين بلغ عدد الهيئات والشركات والبنوك 171 كيانا، تشمل أهم شركات النفط والغاز، والبنوك، والنقل الجوي والبحري، والإعلام، والأحزاب الروسية. ويتصدر قائمة العقوبات على الأفراد أسماء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وأركان حكومته، وأعضاء مجلس الدوما، وكبار رجال الأعمال الروس، بمن فيهم من يعيشون في الخارج.

وعلى الصعيد الاقتصادي تشمل العقوبات فرض حصار تجاري ومالي وتكنولوجي، يحرم روسيا من الحصول على أي تسهيلات تساعدها في حربها ضد أوكرانيا. وتشمل قائمة السلع المحظورة: أجهزة الكمبيوتر الفائقة السرعة، والرقائق الإلكترونية المتقدمة، والآلات، ووسائل النقل الحديثة المستخدمة في صناعات رئيسية مثل التنقيب عن البترول واستخراجه وتكريره، والطائرات ومكوناتها وقطع غيارها، وأجهزة ووسائل الملاحة البحرية، والرقائق الإلكترونية وأشباه الموصلات المستخدمة في صناعة الطائرات المسيرة، وكافة الآلات والاجهزة الكهربائية والالكترونية ذات الاستخدام الثنائي المدني/العسكري.

عزل روسيا عن أسواق العالم

ومع أن الهدف الرئيسي من العقوبات هو حرمان روسيا من القدرة على تمويل الحرب والاستمرار فيها، فإن قائمة العقوبات تظهر أن الاتحاد الأوروبي يهدف إلى ما هو أكثر من ذلك، ويسعى إلى استخدام العقوبات لإرجاع روسيا إلى الوراء اقتصاديا وحضاريا إلى ما كانت عليه قبل أكثر من 100 عام. ومن ثم فإن العقوبات تهدف إلى قطع روسيا عن أسواق رأس المال والطاقة والسلع التكنولوجية المتقدمة. كما تهدف إلى حظر وصول الصادرات الروسية الرئيسية، مثل النفط والغاز والفحم والذهب والألومنيوم والصلب والأسمنت والأخشاب والورق والبلاستيك إلى الأسواق العالمية.

وقرر الاتحاد الأوروبي في حزيران/يونيو من العام الماضي فرض الحزمة السادسة من العقوبات على روسيا، التي تضمنت حظر استيراد النفط الروسي المحمول بحرا أو نقله أو السماح بعبوره في موانئها أو مياهها الإقليمية، اعتبارا من 5 كانون الأول/ديسمبر 2022. كما تضمنت حزمة العقوبات فرض حظر مماثل على المشتقات النفطية اعتبارا من 5 شباط/فبراير 2023. وقد تم استثناء شحنات النفط الروسية التي تدخل أوروبا بواسطة الأنابيب، نظرا لاعتماد عدد من الدول الأوروبية عليها مثل بلغاريا وكرواتيا. ويقدر الاتحاد الأوروبي أن حظر استيراد البترول المنقول بحرا يصيب ما يقرب من 90 في المئة من مبيعات روسيا النفطية في الأسواق الأوروبية، ومن ثم حرمانها من إيرادات التصدير. ثم أضافت أوروبا للحظر، وضع سقف لأسعار النفط الروسي المباع عالميا، بما يحد من المكاسب التجارية التي يمكن أن تحصل عليها روسيا. وتم تحديد سقف السعر بما يغطي تكاليف استمرار الإنتاج، حتى لا يتعرض العالم لأزمة نفطية، بسبب نقص الإمدادات. وتم تحديد سعر خام الأورال العادي (خام القياس الروسي) بمقدار 60 دولارا للبرميل، وتحديد سعر المنتجات الخفيفة المتميزة بحوالي 100 دولار للبرميل. بهذا التدخل ضد حرية التجارة، فإن دول الاتحاد الأوروبي تسببت في حدوث تشوهات حادة في السوق وتقلبات في الأسعار، تربحت منها شركات التجارة النقل والتأمين، في حين أن الخسارة كانت من نصيب روسيا والمستهلكين الأوروبيين، بمن فيهم الأفراد والشركات. ولجأت دول مثل الهند إلى استيراد النفط الروسي الخام وإعادة تصديره بالأسعار العالمية، أو تكريره في مصافيها المحلية وتصدير المنتجات إلى أوروبا بالأسعار العالمية.

خريطة جديدة لسوق الطاقة

تسببت العقوبات ضد صادرات النفط الخام والوقود والغاز بواسطة الدول السبع الصناعية الكبرى في تحول الصادرات الروسية إلى دول الدول الآسيوية، خصوصا الهند والصين وباكستان وتركيا. وأدى هذا التحول إلى نقص الإمدادات في أوروبا، وارتفاع أسعار الوقود والطاقة بشكل عام. الذين استفادوا من هذا الارتفاع في الأسعار هي الشركات العاملة في تجارة النفط، وشركات النقل والتأمين وإعادة التأمين. فقد ارتفعت أسعار النفط الخام والغاز في الأشهر التالية لحرب أوكرانيا، ووصلت إلى ذروتها في شهر آب/أغسطس الماضي حيث سجلت أسعار الغاز مستويات تاريخية تقترب من 95 دولارا للمليون وحدة حرارية بريطانية، وتجاوز النفط 120 دولارا للبرميل. وفي الأسبوع الماضي قفزت تكلفة النقل البحري إلى أربعة أمثال ما كانت عليه. ومن المتوقع أن ترتفع أسعار النفط الخام الروسي في السوق، بعد قرار روسيا تخفيض إنتاجها بمقدار 500 ألف برميل يوميا اعتبارا من الشهر المقبل، وذلك على الرغم من لجوء الولايات المتحدة إلى بيع جزء من الاحتياطي الاستراتيجي لإعادة التوازن للسوق.

خسائر روسيا

تظهر بيانات شركة غازبروم الروسية أن إيرادات التصدير في الشهر الماضي انخفضت إلى حوالي 3.4 مليار دولار، مقابل 6.3 مليار دولار في كانون الثاني/يناير من العام الماضي. هذا يعني أن الإيرادات السنوية للشركة في العام الحالي ستنخفض عما كانت عليه في العام الماضي (حوالي 80 مليار دولار). أي انخفاض في إيرادات تصدير النفط والغاز ينعكس بصورة قوية في زيادة عجز الميزانية الروسية. وقد ارتفع العجز في الشهر الأول من العام الحالي إلى 25 مليار دولار، نظرا لأن نصيب الدولة من الإيرادات والضرائب يشكل أحد المكونات الرئيسية في تمويل الإنفاق الحكومي. وقد جاء هذا العجز نتيجة لمفعول انخفاض الإيرادات بنسبة 46 في المئة، وزيادة الإنفاق العسكري بنسبة 59 في المئة طبقا لتقرير نشرته صحيفة «فاينانشال تايمز» في 6 من الشهر الحالي.

الخسائر الأوروبية

تلعب الآثار المؤجلة للعقوبات أو تداعياتها دورا مهما في الضغط على معدلات النمو والتضخم في دول الاتحاد الأوروبي والدول الصناعية السبع الكبرى. وعلى الرغم من أن هذه الدول حققت في العام الماضي نموا بنسبة 2.7 في المئة مقابل انكماش اقتصادي في روسيا بنسبة (– 2.2 في المئة) حسب تقدير صندوق النقد الدولي، فإن روسيا ستتمكن من تحقيق معدل نمو إيجابي ضئيل في العام الحالي بنسبة 0.3 في المئة، في حين أن معدل النمو في الدول الصناعية الرئيسية سيهبط إلى 1.2 في المئة فقط، أي أقل من نصف ما حققه في العام الماضي. وفي داخل منطقة اليورو سيهبط النمو إلى 0.1 في المئة في ألمانيا، وإلى 0.7 في المئة في فرنسا، وهو المتوسط العام للنمو في دول المنطقة خلال العام. وفي الوقت نفسه فإن دول الاتحاد الأوروبي ستظل تعاني من ارتفاع معدل التضخم الذي كان قد ارتفع إلى 11.9 في المئة في المتوسط في العام الماضي. ويتوقع صندوق النقد الدولي أن يستمر التضخم مرتفعا في الأعوام الثلاثة المقبلة فوق المعدل المستهدف الذي يبلغ 2 في المئة فقط. ويقدر صندوق النقد الدولي أن التضخم في منطقة اليورو سيبلغ 9.2 في المئة في العام الحالي، كما سيصل إلى 9 في المئة في بريطانيا، مقابل 5 في المئة في روسيا. ويتوقع الصندوق أن يتراجع التضخم في روسيا بسرعة أكبر في السنوات المقبلة. ويخبرنا ارتفاع التضخم في دول اليورو عنه في روسيا أن العقوبات فشلت في إضعاف الروبل، وأن عجز الميزانية الروسية لم يخرج عن نطاق السيطرة، ولا يحتاج إلى سياسة نقدية متشددة، كتلك التي يتبعها بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي أو البنك المركزي الأوروبي. وقد تسببت هذه السياسة حتى الآن في اضطراب قيمة اليورو، حتى هبطت إلى ما يقرب من دولار واحد، كما تراجعت معدلات النمو، وارتفعت تكاليف المعيشة إلى الدرجة التي أصبحت تهدد الاستقرار الاجتماعي والسياسي في دول الاتحاد.

لقد أدت العقوبات فعلا إلى إصابة روسيا بخسائر كثيرة، لكنها أصابت أوروبا أيضا بأضرار وتداعيات واسعة النطاق. كما أدت إلى تحول في التجارة العالمية للطاقة، وبلورت محورا جيوستراتيجيا جديدا في سوق الطاقة يعززه تحالف «أوبك +» على جانب العرض، كما تسانده قوى اقتصادية مهمة على جانب الطلب تشمل الصين والهند وباكستان وتركيا، وهي دول لا تلتزم بالعقوبات ضد روسيا. هذا يعني من الناحية العملية ظهور حالة انقسام في النظام التجاري العالمي، توازيها بالضرورة حالة انقسام نراه يتبلور يوما بعد يوم لنظام نقدي عالمي جديد، تلعب فيه التكنولوجيا الرقمية وتكنولوجيا البلوك تشين دورا كبيرا، كما يضم قوى اقتصادية صاعدة إلى جانب الصين، مثل الهند وجنوب أفريقيا وتركيا وإيران. النظام الذي يتبلور الآن، يتراجع فيه دور الدولار، لصالح كل من اليوان واليورو.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10901 الأحد 19 شباط (فبراير) 2023 – 28 رجب 1444 هـ

مخاوف من تقليص المساعدات الأمريكية مع بدء هجوم روسي كبير على أوكرانيا

واشنطن– «القدس العربي»: رائد صالحة

بمناسبة الذكرى القاتمة للحرب التي لا نهاية لها في الأفق القريب، سيسافر الرئيس جو بايدن إلى بولندا في الفترة من 20 إلى 22 شباط/فبراير لإظهار الدعم والوحدة الدولية مع أوكرانيا لصد الغزو الروسي، وسيلتقي بايدن هناك بالرئيس البولندي أندريه دودا وزعماء مجموعة بوخارست التسعة المكونة من دول شرق حلف شمال الأطلسي، كما زارت كامالا هاريس، نائبة الرئيس الأمريكي، ميونخ فيما يمكن أن يكون أهم رحلة خارجية لها منذ زيارة باريس، ومن المؤكد أن مناقشة الصراع في أوكرانيا سيطغى على زيارتها ومحادثاتها مع زعماء ألمانيا وبريطانيا والسويد وفنلندا.

وتأتي رحلات بايدن وهاريس في وقت حساس بشكل خاص للجهود الأمريكية والحلفاء لمساعدة أوكرانيا على هزيمة الروس، خاصة مع التقارير الواردة بشأن مخاوف استمرار زخم المساعدات الأمريكية وبدء هجوم روسي كبير على أوكرانيا.

وفي وقت سابق، تعهد بايدن للسفير الأوكراني لدى الولايات المتحدة بأن «أمريكا متحدة في الدعم لبلدك، سوف نقف معكم مهما استغرق الأمر ذلك» ولكن التقارير الجديدة كشفت عن رسالة مسربة من البيت الأبيض إلى الأوكرانيين وراء الأبواب المغلقة تتحدث عن تحذيرات لا تلتزم بهذا التعهد وهي أن حزم المساعدات المستقبلية قد تكون أصغر بكثير مما وعدت به في الأصل، ولا تستطيع الولايات المتحدة إرسال المساعدة «إلى الأبد».

وقال مسؤول من إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن لصحيفة «واشنطن بوست» الأسبوع الماضي، إنه تم إخبار قادة أوكرانيا أن المساعدة من الولايات المتحدة قد لا تستمر إلى الأبد.

وقال المسؤول الكبير إن إدارة بايدن لديها «وجهة نظر قوية للغاية» مفادها أن الموافقة المستمرة على حزم المساعدات الكبيرة لأوكرانيا سيكون صعباً في مجلس النواب الذي يقوده الجمهوريون.

وأضاف «سنواصل محاولة إقناعهم بأننا لا نستطيع فعل أي شيء وكل شيء إلى الأبد» في إشارة إلى المحادثات التي أجراها موظفو الإدارة مع قادة أوكرانيا.

وقال بايدن خلال خطابه عن حالة الاتحاد في 7 شباط/فبراير إن الولايات المتحدة ستدعم أوكرانيا «طالما تطلب ذلك». لكن المسؤول الكبير قال للصحيفة إن تعهد بايدن «لا يتعلق بحجم المساعدة» التي قد تقدمها الولايات المتحدة لأوكرانيا في المستقبل.

وقال العديد من مسؤولي الإدارة إنهم أخبروا حكومة أوكرانيا أن أفضل فرصة لأوكرانيا لشن هجوم كامل ضد روسيا هي في الوقت الحاضر، بينما لا تزال الولايات المتحدة وحلفاء آخرون يرسلون مساعدات اقتصادية وعسكرية.

أنظمة مضادة للطائرات

يأتي تقرير «واشنطن بوست» وسط تقارير إخبارية تفيد بأن روسيا ربما تشن هجومًا جديدًا على أوكرانيا حيث أفادت «بي بي سي» أن روسيا تحاول الاستيلاء على مدينة باخموت بشرق أوكرانيا قبل الذكرى الأولى لحرب أوكرانيا في 24 شباط/فبراير.

وفي 3 شباط/فبراير، قالت وزارة الدفاع الأمريكية إن الولايات المتحدة، منذ بداية رئاسة بايدن، خصصت 29.3 مليار دولار كمساعدة أمنية لأوكرانيا. تم إرسال هذا المبلغ في شكل عتاد عسكري، بما في ذلك أنظمة مضادة للطائرات ومضادة للدروع ومدافع هاوتزر وأنظمة صاروخية عالية الحركة «HIMARS» ودبابات قتال «Abrams M1».

لكن الولايات المتحدة لا تزال تحجم عن إرسال صواريخ بعيدة المدى إلى جبهة الحرب، حسب «بوليتيكو» التي أفادت نقلا عن أربعة أشخاص على دراية بالمحادثات بين مسؤولي البنتاغون وممثلي كييف أن البنتاغون قلق من أن إرسال أنظمة الصواريخ التكتيكية للجيش إلى أوروبا الشرقية قد يستنفد موارد الجيش الأمريكي.

وتواجه إدارة بايدن، أيضًا، ضغوطا من الحزب الجمهوري لوقف المساعدات لأوكرانيا، وفي 9 شباط/فبراير أيد 11 جمهوريًا في مجلس النواب، بمن فيهم النواب مات غايتس، ولورين بوبيرت، ومارغوري تايلور غرين قرارا يدعو إلى الإنهاء الفوري لجميع «المساعدات العسكرية والمالية لأوكرانيا». في حين أن المشرعين الأحد عشر هم فصيل صغير داخل الحزب الجمهوري، فإن معارضتهم الصريحة لاستمرار المساعدة الأمريكية لأوكرانيا يمكن أن تعرض للخطر تمرير المزيد من حزم المساعدات.

في غضون ذلك، تقوم جيوش أوروبا بإفراغ ترساناتها العسكرية لإرسال مدافع هاوتزر إلى أوكرانيا، وعلى سبيل المثال، أرسلت الدنمارك جميع مدافع هاوتزر قيصر إلى أوكرانيا على حساب تأخير الحشود العسكرية الخاصة بها. وحذر رئيس الناتو ينس ستولتنبرغ يوم الاثنين من أن أوكرانيا «تستهلك كمية هائلة من الذخائر وتستنفد مخزونات الحلفاء».

وقال ستولتنبرغ: «المعدل الحالي لنفقات الذخيرة في أوكرانيا أعلى بعدة مرات من معدل إنتاجنا الحالي وهذا يضع صناعاتنا الدفاعية تحت ضغط هائل».

وأشار العديد من المحللين الأمريكيين إلى أن «هجوم الربيع» المتوقع لبوتين في أوكرانيا، قد بدأ بالفعل، وقالوا: «إذا انتصرت روسيا فسوف يُنظر إلى جهود الولايات المتحدة على أنها هزيمة أخرى في سلسلة من الحروب الخاسرة».

وحذر محللون أمريكيون من أن أوروبا ستعيش في خوف من المزيد من التوغلات الروسية المدعومة بتهديدات بوتين النووية، سيتم إلقاء اللوم على الناتو لإطالة أمد معاناة أوكرانيا من خلال بذل القليل من الجهد لفترة طويلة كما سيتم إلقاء اللوم على الولايات المتحدة لفشلها في حماية حلفائها الأوروبيين، «ولن تلتئم الضغينة بسهولة».

المعارضة للدعم الأمريكي

وتختلف الآراء حول نتيجة الحرب بعد مرور عام من بدء الغزو، حيث قال الخبراء أنه في حالة فوز روسيا أو خسارتها أو تقديمها تنازلات أو استمرار الحرب لأجل غير مسمى فإن هناك الكثير مما يدعو للقلق.

إلى ذلك، يعتقد 53 في المئة من الناخبين الجمهوريين، وفقاً لأحدث استطلاع، أن أوكرانيا ليست من مسؤولية الولايات المتحدة، وهناك مخاوف من أن واشنطن تفعل الكثير بالنسبة للحرب، وهناك توقعات بأن تتسع المعارضة للدعم الأمريكي للحرب، خاصة مع زيادة الإنفاق وتلاشي فرصة أوكرانيا بالنصر.

ومن غير المؤكد، استمرار دعم الكونغرس لتقديم المساعدات إلى أوكرانيا حيث قال السيناتور جي دي فانس (جمهوري من أوهايو) إنه لا يهتم كثيرًا بما يحدث لأوكرانيا، وصوت النائب بول جوسار (جمهوري من أريزونا) ضد 40 مليار دولار أخرى من المساعدات ، قائلاً: «ليس لدينا مصلحة في التورط في حرب أخرى» وأصرت النائبة مارغوري تايلور غرين (جمهورية من ولاية جورجيا) على أنه «لن يذهب فلس واحد إلى أوكرانيا».

وعلى النقيض من ذلك، وجدت شركة استطلاع دولية ذات مصداقية أن 82 في المئة من الروس يدعمون بوتين، ومعظمهم يؤيد حربه في أوكرانيا وقدرت شركة فايف ثيرتي إيت ومقرها الولايات المتحدة الرقم بـ 58 في المئة، وأخذ الاستطلاع في الحسبان الخوف من الانتقام وحملة بوتين التضليلية الضخمة.

والنتائج تتفق مع الغزوات السابقة، حيث ارتفعت تصنيفات بوتين إلى 84 في المئة خلال الحرب الثانية في الشيشان وإلى 88 في المئة بعد ضم شبه جزيرة القرم، ومن الواضح أنه أقنع الروس بأن روسيا تحت الحصار، وأن الغرب هو المسؤول عن النقص والتضخم وتصعيد الحرب، وأنه يحرر أوكرانيا من «النازيين الجدد».

لذلك، فإن الروس يتمسكون ببوتين على الرغم من آلامهم الاقتصادية الكبيرة، في حين سيتراجع الدعم الأمريكي، كما أن لدى العديد من المحللين قناعات بأن إدارة بايدن تدرك تماماً بأن موسكو لن تخسر حرب أوكرانيا ولكن واشنطن تريد «استنزاف القدرات الروسية التقليدية» وإضعاف الاقتصاد الروسي في حرب طويلة مرهقة.

وبالنسبة للعديد من المحللين الأمريكيين، فإن انتصار روسيا في أوكرانيا دون الاضطرار إلى مواجهة القوة العسكرية الكاملة للغرب، قد يؤدي إلى تشجيع بوتين على غزو أعضاء من حلف شمال الأطلسي مثل ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا.

وبعد مرور عام على الحرب في أوكرانيا، يشكك الكثير من الأمريكيين، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى اليمين السياسي، في الدعم الأمريكي لأوكرانيا، وفي الواقع قدمت مجموعة من المشرعين في الأسبوع الماضي قرارا يدعو الولايات المتحدة إلى «إنهاء مساعداتها العسكرية والمالية لأوكرانيا وبحث جميع المقاتلين على التوصل إلى اتفاق سلام» ولكن الإدارة الأمريكية ترى أن حماية أوكرانيا هي حماية لأوروبا وحماية للمصالح الاقتصادية والأمنية الأمريكية، كما نجاح روسيا في الغزو سيعني وضع العدو على عتبة حلف الناتو، وهو ما يمثل تهديداً أمنياً مباشراً لكل الولايات المتحدة الأمريكية.

وأشار المحللون إلى أن خسارة روسيا في أوكرانيا هي «ضرورة أمريكية» لأنها ستردع أي غزو صيني محتمل لتايوان أو أي «عدوان إيراني» في الشرق الأوسط، وبالنسبة للخبراء، أثبتت أوكرانيا أنها «استثمار عسكري جيد» بالنسبة لأمريكا.

كامالا هاريس وماركوس زودر في ميونخ

Volume 34 - Issue 10901 Sunday 19 February 2023

بعد سنة من الحرب: روسيا تقضم مئة ألف كلم مربع من مساحة أوكرانيا وترسم معالم جيوسياسية لعالم جديد

لندن– «القدس العربي»: حسين مجدوبي

أكملت الحرب الروسية–الأوكرانية عامها الأول، ولم تنته في ظرف أسابيع كما كان يعتقد الكثيرون، وأكدت معطى رئيسيا وهو قضم روسيا لمئة ألف كلم مربع من مساحة أوكرانيا. وتحولت إلى حرب ترسم المعالم الحقيقية لعالم الغد الآخذ في التبلور حاليا، كما شكلت دروسا لمختلف الدول التي تتساءل: كيف يمكن تقوية الأمن القومي الحقيقي للوطن؟

في هذا الصدد، اندهش عدد من المعلقين خلال الأسبوعين الأخيرين من تقرير البنك الدولي الذي يعتبر الاقتصاد الروسي في صحة جيدة بل وسيحقق سنة 2024 نموا يتجاوز كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. ومرد هذا الاندهاش إلى الضجة التي رافقت بداية الحرب واعتبرت العقوبات الاقتصادية التي سيفرضها الغرب على موسكو كافية لجعل هذا البلد يتراجع عن مخططاته العسكرية وإنهاء الحرب. لكن هذا لم يحدث.

في معطى آخر، يندهش المحللون العسكريون كيف نجح الجيش الروسي في فرض حرب تعتمد على الصواريخ. لقد أظهرت روسيا تنسيقا غير مسبوق في تاريخ الحرب بتوجيه عشرات الصواريخ في ظرف وجيز لا يتعدى الساعتين لضرب أهداف استراتيجية في مختلف مناطق أوكرانيا، جوا وبحرا وبرا، سواء المجنحة أو أحيانا فرط صوتية. فقد نفذت القوات الروسية يوم 16 تشرين الثاني/نوفمبر 2022 أكبر هجوم في التاريخ بالصواريخ المجنحة وشبه باليستية مثل كالبير وإسكندر تجاوزت المئة صاروخ، ويوم 9 تشرين الأول/أكتوبر 2022 ثاني أكبر هجوم بالصواريخ المجنحة. وهذه القدرة، التي بالكاد تتوفر للولايات المتحدة وحدها، حيث نفذ الجيش الأمريكي بدعم من بريطانيا يوم 19 اذار/مارس 2003 ضد العراق هجوما بـ 49 صاروخا مجنحا. القدرة الصاروخية الروسية جعلت الكثير من الخبراء الغربيين يتساءلون عن نوعية الحرب المستقبلية في ظل تفوق روسيا في الصواريخ فرط صوتية وفي كميات الإنتاج سواء الصواريخ الهجومية أو صواريخ مضادات الدفاع، حيث صرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن روسيا تصنع من المضادات ثلاثة أضعاف ما يصنعه العالم سنويا.

ومن جانب آخر، تابع العالم باهتمام كبير المساعدات العسكرية الغربية وأساسا الأمريكية للقوات الأوكرانية، ويستمع منذ شهور إلى ترقب وصول دبابات ليوبارد ثم مضادات الدفاع الجوي باتريوت الأمريكية. غير أن التطورات تبرز أن أوكرانيا لن تتوصل وفي أحسن الأحوال، خلال السنة الجارية بأكثر من 50 دبابة ليوبارد، وقد ناشد الرئيس الأوكراني زيلينسكي القادة الأوروبيين هذا الأسبوع بضرورة الإسراع بتسليمه الدبابات. لا يريد الغرب المغامرة بمنح أوكرانيا السلاح الذي يعتبره متطورا، لسببين، الأول أنه لا يمتلك العدد الكافي من أنظمة الدفاع ومن الدبابات، ففرنسا مثلا تمتلك 200 دبابة فقط. ويعود السبب الثاني إلى تخوف الغرب من تعثر السلاح في المواجهة مع روسيا، وهو ما سيكون وبالا عليه في أسواق السلاح. ويبقى السلاح الفتاك الذي منحته الولايات المتحدة إلى الجيش الأوكراني هو قاذفات جافلين التي أوقفت في بعض الأوقات التقدم الروسي وكذلك صواريخ ستينغر التي منعت الطائرات الروحية الروسية من الاقتراب من مناطق معينة، الأمر الذي جعل موسكو تراهن أكثر على الصواريخ.

وفي معطى آخر، الحرب تعني الخسائر، وأوكرانيا لا تعتبر بالدولة الضعيفة، فهي قبل الحرب كانت تحتل المراكز العشرين الأولى في الترتيب العالمي عسكريا، وكانت تتوفر على سلاح روسي متطور مثل منظومة إس 300 وطائرات سوخوي 27 وكبدت روسيا الكثير من الخسائر. وتلقت أوكرانيا سلاحا غربيا وخاصة صواريخ هيمارس التي جعلت الأوكرانيين يقاومون. ولم تعد روسيا تتقدم مثل السابق بقدر ما تهدف إلى تحصين الأراضي التي قامت بغزوها وضمها، وتشن هجمات دقيقة بهدف إبعاد القوات الأوكرانية. ومن المحتمل قيام القوات الروسية بالتقدم خلال الأسابيع المقبلة لخلق حزام أمني من شمال إلى جنوب أوكرانيا تقريبا وسط البلاد لمنع الهجمات.

عندما اندلعت الحرب، اعتقد العالم في توظيف الغرب لها لاستنزاف القدرات الاقتصادية والعسكرية والعزل السياسي لروسيا، غير أن التطورات أظهرت كيف جعلت روسيا هذه الحرب تعود لصالحها وتجعل الغرب هو الذي يعاني من الاستنزاف، خاصة بعدما أعلن بوتين خلال ايلول/سبتمبر الماضي تحويل ما كان يعتبره عملية عسكرية إلى حرب عسكرية حقيقية بمبرر تورط الحلف الأطلسي في هذه الحرب. بينما الخاسر الأكبر هو الشعب الأوكراني بين ضربات الشقيق الأكبر روسيا والوعود غير الجدية للصديق الغربي.

بوتين عالق في «فخ» الحرب والغرب يريد استنزافه علّه يُخضع روسيا

رلى موفّق

يدخل الغزو الروسي لأوكرانيا سنته الثانية في الرابع والعشرين من شباط/فبراير الحالي. قبل الغزو بأيام، استعان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بـ«التاريخ»، وهو يُخاطب الرأي العام، ليقول إن أوكرانيا أراض روسية، وهي تأسَّست بالكامل بفعل روسي من قِبَل فلاديمير لينين، وجوزيف ستالين، ونيكيتا خروتشوف، والأخير هو الذي «اقتطع عام 1954، لسبب ما، شبه جزيرة القرم عن روسيا ووهبها لأوكرانيا». كرَّس بوتين لنفسه مهمة تصحيح الأخطاء التي ارتكبها أسلافه بالنسبة لأوكرانيا.

خطا، إثر «الثورة الأوكرانية» في 2014 التي أطاحت بالحكم الحليف له، خطوته نحو ضم شبه جزيرة القرم إلى الاتحاد الروسي، ودعم قوات موالية لروسيا في منطقتي دونيتسك ولوهانسك في إقليم دونباس شرقي أوكرانيا قررت الانفصال. في خطاب 21 شباط/فبراير 2022، أعلن اعترافه بسيادة هاتين «الجمهوريتين» المتاخمتين لحدود الروسية، قبل أن يشنَّ فجر 24 هجوماً على أوكرانيا سمَّاه بـ«العملية العسكرية الخاصة» لحماية دونباس. يومها قال إن روسيا لا تهدف إلى احتلال أوكرانيا، رغم دعوته الجيش الأوكراني إلى إلقاء سلاحه، لكن سفيره لدى الأمم المتحدة فاسيلي نيبينزيا كان أكثر وضوحاً حين أعلن أن بلاده تستهدف «الطغمة الحاكمة» في كييف.

حاول في بدايات الغزو الوصول إلى قلب العاصمة، لكنه عاد وأنكفأ إلى الشرق الذي لا يزال يُقاتل بشراسة لاحتلاله مستعينا بمجموعة «فاغنر»، الذراع العسكرية – الأمنية غير الرسمية التي يستخدمها الكرملين حيث الحاجة، من دونباس إلى سوريا، وليبيا، والسودان، ودول أفريقية عدة. كانت موسكو لا تنكر وجود هكذا منظمة مكوَّنة من مرتزقة تتكئ عليها في حروبها الخارجية لدَّ نفوذها. وحين أضحى دورها ضرورة ماسة في أوكرانيا، ظهر مؤسسها رجل الأعمال يفغيني بريغوجين إلى جانب بوتين، وبات الكلام علنياً عن تجنيد سجناء بعد استصدار قانون يمنحهم العفو إذا التحقوا بجبهات القتال. تتمَّر قوات فاغنر على الجيش النظامي. فعلتْ ذلك حين احتلت مدينة سوليدار، وتفعله مجدداً في معاركها الشرسة من أجل السيطرة على باخموت، التي ضربتْ لها موعداً بعد شهرين رغم الكلفة العالية التي تدفعها، والإمكانات التي يضعها في خدمتها ثاني أقوى جيش في العالم. هذا الجيش الذي احتلّ خيرسون، البوابة الشمالية لشبه جزيرة القرم، لكنه عاد ومُني بهزيمة كبرى بخسارتها وانسحاب جنوده منها. وهو الأمر الذي اعتبر نصراً إستراتيجياً للجيش الأوكراني الذي لا يمكن مقارنة عديده وترسانته بالجيش الروسي.

مأزق بوتين يتجلّى في إعلانه ضم مناطق لوغانسك، ودونيتسك، وزابارو جيا، وخيرسون، إلى روسيا، رغم أنه لا يُسيطر، بشكل كامل وفعليّ، على أي منها. يحتاجُ الرجل إلى الإطباق على هذه المناطق ليُعلن النصر حتى لو بدا مكلّلاً بطعم الهزيمة.

في قراءة العارفين بعقل «سيد الكرملين»، ليس بإمكان الرجل التراجع ولا التقدُّم. بات عالقاً. وَقَعَ في «الفخ» حين جرى الإيحاء له بوجود ضوء أخضر أميركي لتوغّل محدود. منذ أن اجتازتْ قواتُه الحدود، وهي تغرق في الوحول الأوكرانية. القول إن روسيا تُقاتل «الناتو» لا يستقيم كثيراً، فـ«حلف شمال الأطلسي» لا يزال «يُدَوْزِنُ» نوع الأسلحة التي يمنحها لكييف، كي يبقى الصراع مضبوطاً ولا يتوسَّع إلى حربٍ مع دول «الناتو»، وإلى حربٍ عالمية ثالثة. لا يمدُّ أوكرانيا بأسلحة يمكن استخدامُها للهجوم من الأراضي الروسية. لا يريدُ الغربُ توجيه ضربة مذلّة لـ«القيصر»، فذلك يُمكن أن يُخرج الرجل عن طوره، ولا سيما أنه سبق أن هدَّد بالسلاح النووي.

تحشدُ موسكو قواتها لهجوم قريب يتوقعُ محلّلون أن ينطلقَ في الذكرى الأولى للحرب. تريدُ كييف أن تستبقَ ما تُحضّره كييف للربيع. الحديث يدور عن هجوم واسع مضاد ستشنّه أوكرانيا، وستُدخل في مرمى نيرانها شبه جزيرة القرم كورقة ضغط يمكن أن تجلبَ بوتين إلى طاولة المفاوضات. كلٌ منهما سيأتي إلى الطاولة في نهاية المطاف، لكن كل طرف يسعى أولاً لتحقيق انتصارات يمكنها أن تُرجِّح كفّته في التفاوض السياسي. حتى الساعة لا تسمح موازين القوى لأي من الطرفين بخطوة سياسية.

الكلمة الفصل لا تزال للميدان. يدفع الأوكرانيون ثمناً باهظاً، إنما يعرفون أن لا مفرَّ من ذلك في معركة الدفاع عن وطنهم. لا تبدو سمات التعب أو الإحباط على وجوههم، بل يتوقف سائكنون في أوكرانيا عند تلك الشجاعة التي يُبديها الأوكرانيون، وتلك الروح المعنوية والقتالية التي يتحلّون بها، وتلك العزيمة على قتال الروس بوصفهم غزاة. لا تبدو الصورة على الضفة الروسية وردية. هيبةُ الجيش الروسي قد ضُربت، حيث بدا غير جاهز للقتال. خسائره بالمعدات والأسلحة كبيرة، وأرقام قتلاه من الجنود لا تعكس الواقع، في وقت أظهرت التعبئة، التي أعلنها بوتين، عدم رغبة الشباب الروسي بالانخراط في هذه الحرب.

ما هو أكيد أن الحرب المفتوحة بين روسيا وأوكرانيا لسنوات وستكون حرب استنزاف طويلة . الغرب بات يقول إنها ستكون لسنوات طويلة وهو يتحضر لذلك. رهان بوتين على لي ذراع أوروبا من باب الطاقة جاء مخيباً. ورغم أن الدول الأوروبية تدفع ثمناً على حساب رفاهية شعوبها إلا أنها باتت تنظر إلى الأطماع الروسية وتراها خطراً عليها سواء بالنسبة للدول التي كانت منضوية في الكتلة الشرقية قبل انهيار الاتحاد السوفياتي او تلك التي كانت في الكتلة الغربية. قال بوتين إنه يريد إبعاد «الناتو» عن حدوده. بات اليوم أقرب من ذي قبل. لم يعد الأمر مقتصراً على مطالبة أوكرانيا بالانضمام إلى الأطلسي، فهذه فنلندا والسويد قد طلبتا أن تكونا جزءاً من الحلف بعد الغزو الروسي. يكفي النظر إلى ميزانيات الدفاع في الدول الأوروبية كي يتيقن «سيد الكرملين» أنه أخطأ وأنه وقع في فخ نُصب له بإحكام في معركة تطويع روسيا.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10901 الأحد 19 شباط (فبراير) 2023 – 28 رجب 1444 هـ

الغرب اتحد ضد بوتين والنصر لم يتحقق وبانتظار عام آخر

إبراهيم درويش

مضى عام على دخول القوات الروسية الأراضي الأوكرانية في محاولة من الرئيس فلاديمير بوتين منعها من التحول إلى ساحة مؤيدة للغرب في حديقته الخلفية وتغيير النظام الذي وصفه بالنازي. وقدم بوتين روايته عن الحرب والتي باتت معروفة وهي أن أوكرانيا مرتبطة عضويا بروسيا الأم ولا يمكن بأي حال أن تصبح حليفة للغرب. وهي رواية يرفضها الأوكرانيون الذين يشعرون بهويتهم المستقلة عن روسيا رغم العلاقات التاريخية والثقافية والدينية التي تربط البلدين. وفشلت القوات الروسية في احتلال العاصمة كييف وكذا الإطاحة بنظام زيلينسكي الذي تحول في عيون الغرب لبطل مغوار ومدافع ليس عن بلاده ولكن عن الديمقراطيات الغربية والعالم الحر، وتم الإحتفاء به في المحافل الغربية واستقبل في واشنطن نهاية العام الماضي وطاف بريطانيا وفرنسا والاتحاد الأوروبي بداية العام الحالي مطالبا الغرب بمزيد من السلاح– دبابات ومقاتلات وهو ما لبى الغرب بعضا منه ويماطل في أمور أخرى نظرا للضغوط التي وضعتها الحرب الأوكرانية وتورط الغرب بها من أعباء على الناتو الذي يقود الجهود الغربية بالتعاون مع الولايات المتحدة ولأن استخدام القوات الأوكرانية للذخيرة فاق ما لدى الدول الأوروبية مجموعة من قدرات على مواصلة الدعم. وأدى الأمر بالولايات المتحدة للبحث عن مصادر مفتوحة لشراء السلاح، إلى جانب طلب الإذن من إسرائيل باستخدام مخازن أسلحة أمريكية لديها ونقل جزء منها إلى أوكرانيا حسبما أوردت «نيويورك تايمز» الشهر الماضي. ما يعطي صورة عن الضغوط التي باتت أوكرانيا تشكلها على الصناعة العسكرية في ظل المليارات التي رصدتها الولايات المتحدة وحلفاؤها لدعم الجهود الحربية في أوكرانيا ضد روسيا. ونعرف أن بوتين وقادته لم يحققوا الكثير من أهداف الحرب، وحتى الآن غير أكثر من قائد عسكري للجبهة في أوكرانيا، وسحب قواته من مناطق حيوية سيطر عليها الروس في بداية الحرب مثل خيرسون وخاركيف ويركزون جهودهم على المناطق الشرقية روسيا أو أوبلد+ وحاولت ممارسة الحياد. ورأت الهند في الحرب فرصة لها للحصول على نفط روسيا الرخيص بعدما توقفت أوروبا عن استيراده. أما تركيا عضو الناتو، فقد رفضت فرض العقوبات وحاولت لعب دور الوسيط بين موسكو وكييف، ونفس الأمر يقال عن دول في أفريقيا وحتى جنوب أفريقيا التي نظمت مناورات عسكرية مع القوات الروسية. وبات واضحا أن عالم الغزو صار متعدد الأقطاب وليس القطبين أو القطب الواحد. وبالتأكيد فقد تغير النظام العالمي ولم يعد كما كان قبل 24 شباط/ فبراير 2022.

ويظل السؤال عن مسار الحرب في عام 2023 ومن ستكون له اليد العليا؟

يرى الغرب أن المعدات العسكرية الثقيلة مثل دبابات تشالنجر البريطانية وليبورد الألمانية إلى جانب منظومات الصواريخ الأمريكية والأوروبية ستلعب دورا في تغيير ميزان القوة لصالح الأوكرانيين، فعمليات تدريب الأوكرانيين في الولايات المتحدة ودول أوروبا جارية لكي يتمكنوا من استخدام المعدات القتالية الثقيلة، لكن ماذا عن جيش بوتين، ربما كان يفكر حسبما يقول مايكل كلارك في صحيفة «التايمز» (2023/2/11) بتعزيز مواقعه في دونباس والقيام بهجوم يسيطر فيه على المناطق في شرق نهر دنيبرو، الحد الفاصل الآن بين شرق وغرب أوكرانيا، وربما حاول الروس احتلال الساحل الأوكراني على البحر الأسود، بحيث يحول أوكرانيا لبقايا دولة معزولة وعاصمتها كييف عن البحر، بشكل تصبح عرضة للمخاطر. واستبعد الخبير إمكانية حصار أو احتلال العاصمة بعد فشل المحاولة الخاطفة الأولى.

طبيعة التحالفات

وكشفت حرب أوكرانيا عن المصاعب التي واجهت بوتين في إدارة المعركة لتحييد أوكرانيا ومنعها من مواصلة النظر للغرب وإقناع حلف الناتو بسحب قواته من محاولة تسميم عملاء من هذه المخاوف، ولم تمنع تحفظات دونالد ترامب من الناتو الولايات المتحدة في عهد جو بايدن لمساعدة أوكرانيا. ومن منظور موسكو، فقد كانت سياسة الباب المفتوح للناتو سببا في دفعها للرد على محاولات تغيير الوضع القائم. وحتى نفهم موقف روسيا فإن الغرب بدوره لم يقم ببذل الجهود لفهم مظاهر القلق الأمني الروسي من تمدد الناتو على حدودهم. ومشكلة بوتين أنه لم يفهم طبيعة التحالفات التي تتشكل بين الدول وأنها من أجل موازنة التهديدات، وربما كان مدفوعا بهجومه على أوكرانيا بفكرة خاطئة وهي سيطرته السريعة عليها. وبتحركه فقد وحد القوى المعارضة له وجعل أوكرانيا أقرب من ذي قبل لأوروبا، سواء الناتو أو الاتحاد الأوروبي. ولم يعد القلق الروسي من تحرك الغرب قريبا من روسيا مهما بعدما خرق بوتين في تصرفه الأعراف. وأدت الانتهاكات التي ارتكبها الجيش الروسي وتدمير البنى التحتية المدنية لتسهيل مهمة كييف في حشد الدعم للقضية الأوكرانية، ولم يغب وجه زيلينسكي عن الإعلام وقورن بتشرتشل ومنحته مجلة «تايم» شخصية عام 2022. ورغم الأداء الضعيف للجيش الروسي إلا أن روسيا تظل دولة صناعية ضخمة وبجيش كبير ولها حدود طويلة مع أوروبا.

الآثار البعيدة

وإن لم يظهر أثر العقوبات الغربية على روسيا بعد إلا أن نتائج الحرب على روسيا ستكون بعيدة المدى. صحيح أن اقتصاد أوكرانيا تراجع بنسبة 30 في المئة العام الماضي مقابل انكماش بنسبة 3 في المئة للروسي لكن بوتين خسر الكثير من حربه على أوكرانيا، ليس لأن الأخيرة باتت معشوقة الغرب ولكن لأن التداعيات على روسيا ستكون ديمغرافية وجيوسياسية واقتصادية. وبحسب مجلة «إيكونوميست» (2023/2/4) فقد أظهر اقتصاد روسيا نوعا من الصمود بعد العقوبات الصارمة، وهذا نابع من السياسات التي تبنتها حكومة موسكو ودعم رجال المال والأوليغارش للإقتصاد عبر تنظيمه وتصميم آليات مضادة للعقوبات، لكن الآثار على المدى البعيد لم تظهر. وحسب مجلة «فورين بوليسي» (2023/2/13) في مقال لبرينت بيودي فقد خسرت روسيا أهم اقتصادات في العالم عندما شنت حربها، فقد كانت القارة العجوز تعتمد وبشكل «حقيقي» على الوقود الأحفوري الروسي، وحتى عام 2021 كانت روسيا تصدر 32 في المئة من فحمها الحجري و 49 و 74 في المئة من غازها الطبيعي لدول منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، إلى جانب اليابان وكوريا الجنوبية والدول الأخرى التي انضمت للحملة الغربية ضد روسيا. ولو مضت أوروبا في تطبيق قراراتها بالتخلي عن وقود روسيا، فإن هذا يشكل ضربة لاقتصاد تعتمد ميزانيته الفدرالية على الطاقة بنسبة 45 في المئة. ورغم توجه روسيا نحو الصين كسوق كبير لطاقتها إلا أنه لا يعوض أوروبا. فقد قررت هذه ومتأخرة قطع علاقة الحب مع الطاقة الروسية، وباتت تتعامل معها كموضوع أمن وليس متعلقا بالمناخ وتخفيف الاعتماد على الوقود الاحفوري. وأعلنت ألمانيا عن بناء أكبر محطة للطاقة الشمسية، وقالت بريطانيا إنها تسرع في إنشاء هورن سي3 لكي تكون أكبر محطة للطاقة المولدة بالرياح. وربما لن تظهر أعراض هذا على روسيا قريبا إلا أن تحول العالم عن الوقود الأحفوري وتراجع الطلب عليه سيترك أثره على روسيا، ففي عام 2014 عندما قررت شركات الزيت الصخري الأمريكية زيادة إنتاجها تأثرت الميزانية الروسية. وبعيدا عن الأثر الاقتصادي، فحرب أوكرانيا ستترك روسيا بسكان أقل. وكان بوتين يريد أن يبدأ عام 2022 بمعالجة مشكلة التراجع السكاني، إلا أن الحرب وكوفيد كشفا عن الوضع السكاني الخطير. ولفهم خطورة التراجع السكاني ما علينا إلا العودة إلى سنوات التسعينات عندما انهار الاتحاد السوفييتي حيث تراجعت معدلات الولادة بنسبة 1.2 طفل للمرأة وأقل من المعدل العادي وهو 2.1 للمرأة. والآثار لا تزال واضحة، فمنظور انخفاض سكان روسيا كان قائما إلا أن الحرب سرعته. فقد خسرت روسيا في الحرب 120.000 جندي على الأقل ومعظمهم في سن العشرين، وهو جيل لا تستطيع أي دولة خسارته، إلى جانب أكثر من 32.000 روسي هاجروا أو فروا من البلاد. وسيخلف الغزو الأوكراني روسيا في وضع جيوسياسي غير مريح، فالدول القريبة منها مثل قازخستان وأرمينيا وغيرهما من دول المنظومة السوفييتية السابقة باتت تبحث عن حليف أقوى وتتقارب مع الصين، ورأينا كيف قررت دول محايدة التخلي عن حيادها والتسلح بعضوية الناتو. وتظل أوكرانيا هي البلد التي خسرت فيها روسيا موقعها، فهناك نسبة 90 في المئة من الأوكرانيين تحبذ الإنضمام للناتو، وهو رقم لم يكن أحد يفكر به قبل عقد. وتعتبر نسبة 85 في المئة نفسها أوكرانية أولا وليس روسية، مع أن مبرر بوتين هو الدفاع عن الإثنية الروسية في أوكرانيا. خسرت روسيا كما يقول الكاتب المكانة وستعاني من آثار الحرب حتى بعد تحقيق السلام. لكن أوكرانيا التي دمرت هي الأخرى ستكون في الظلك الأوروبي وستتمتع بدعم القوة الصناعية الغربية، هذا إن صدق الغرب وعده، ولم يستخدمها للتخلص من أو هزيمة بوتين. غيرت حرب أوكرانيا موقع روسيا في العالم وأصبحت تبحث عن حلفاء معادين للغرب وتستخدم الخطاب المعادي للاستعمار، ومن نتائج هذه الشراكة التي أقامتها روسيا مع إيران والتي حفزها حس العزلة، مع أن تاريخ العلاقة الروسية الإيرانية مضطرب، حسب دينا أسفندياري في «فورين أفيرز» (2023/2/17).

وهناك أمر آخر أخرجه بوتين من القمقم هو اعتماده على المرتزقة من شركة فاغنر التي زعم أفرادها أنهم سيطروا على قرية أوكرانية، ما يخلق منافسا له كما تقول صحيفة «الفارديان» (2023/2/13) فظهور يفغيني بريغوجين وجيشه الخاص هو دلالة على تآكل القانون ويظهر أن الدولة مستعدة للتسامح مع العنف المتطرف غير الخاضع للمساءلة طالما أنه يخدم مصالحها. يمكن أن يصبح هذا في النهاية تهديدا للنظام نفسه. هذا إلى جانب جيش الزعيم الشيشاني رمضان قديروف وجيوش خاصة أخرى لن تتخلى عن القوة عندما تتذوق طعمها، لكن هذه مشكلة لا تشغل بال بوتين في الوقت الحالي.

Volume 34 - Issue 10901 Sunday 19 February 2023

الحرب على أوكرانيا:
الخسائر أصابت الجميع بما فيها الأمم المتحدة

نيويورك–(الأمم المتحدة)ـ «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

يستعد كل من مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة لعقد جلسة خاصة لكل منهما يوم الأربعاء المقبل على مستوى الوزراء بمناسبة حلول الذكرى السنوية الأولى للحرب التي بدأها الاتحاد الروسي يوم 24 شباط/ فبراير 2022 على أوكرانيا والمستمرة حتى الآن. ومن المتوقع أن يصل إلى مقر الأمم المتحدة عدد كبير من وزراء الاتحاد الأوروبي للمشاركة في الجلستين. وستتحول الجلستان إلى محاكمة علنية لما قام به الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والتأكيد له أنه لن ينتصر في هذه الحرب.

جلسة مجلس الأمن من غير المتوقع أن يصدر عنها أي مخرج بسبب الفيتو الروسي (وربما الصيني أيضا) فيما لو حاولت إحدى الدول الأعضاء طرح مشروع قرار وهو أمر مستبعد. لكن جلسة الجمعية العامة الطارئة الحادية عشرة التي تنعقد تحت آلية «متحدون من أجل السلام» والتي ترقى بمستوى قراراتها إلى درجة قريبة من قرارات مجلس الأمن تحت الفصل السادس، فستناقش لمدة يومين أو ثلاثة مشروع قرار أعدته المجموعة الأوروبية تطالب بإنهاء «العدوان الروسي» على أوكرانيا والانسحاب الشامل والفوري وغير المشروط من كافة الأراضي الأوكرانية. ويؤكد مشروع القرار على أن العدوان الروسي يعتبر انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، ويقر باستقلال وسيادة أوكرانيا ووحدتها الترابية ويطالب بإيجاد نظام للمساءلة والمحاسبة لكل الذين ارتكبوا جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في أوكرانيا.

مراجعة لتطورات السنة الماضية نستطيع أن نقول بشيء من الموضوعية بأن الحرب لم تحسم بعد ولم يظهر فيها منتصر أو منهزم بالضربة القاضية. نعتقد ان الأطراف المعنية جميعها تعاني من أشكال مختلفة من الخسارة دون مكاسب واضحة يستطيع أي طرف أن يدعيها، لا روسيا ولا أوكرانيا ولا أوروبا. الولايات المتحدة قد تكون المستفيد الوحيد من هذه الحرب. والأمم المتحدة دفعت وما زالت تدفع الثمن في هذه الحرب من مصداقيتها وحياديتها وفاعليتها. وسنحاول أن نستعرض سلة الخسائر التي تعرضت لها المجموعات المختلفة من هذه الحرب التي لا يبدو أن الستار سيسدل على آخر فصولها قريبا.

الاتحاد الروسي وتبدل الأهداف

اندفعت القوات الروسية يوم 24 شباط/ فبراير إلى الداخل الأوكراني في عملية عسكرية سمتها «العملية العسكرية الخاصة» بدون تحديد هدف عسكري واضح المعالم. وقد وصلت القوات الروسية العاصمة كييف في غضون أيام قلائل معتمدة على قوة الطيران والدبابات والمدفعية الثقيلة قبل أن يبدأ الجيش الأوكراني بالمقاومة الجادة بعد تلقي المساعدات من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. وبسرعة كشفت الحرب عن عيوب عسكرية في الجيش الروسي وجاهزيته ومنظومة السلاح الذي يستخدمها. فبدأ وخاصة في المرحلة الأولى، يتعرض لخسائر باهظة ما اضطره إلى إعادة النظر في أهدافه العامة والتي تكللت في ضم المناطق الأربع القريبة من الحدود الروسية في منطقة دونباس. يبدو أن تقديرات بوتين لشن هذه الحرب لم تكن دقيقة، لقد عملت أمريكا ودول الناتو على إغراق روسيا في حرب استنزاف طويلة لا تستطيع تحمل نتائجها العسكرية والاقتصادية في ظل سلال العقوبات المتلاحقة غير المسبوقة والتي بلغت 11 رزمة تشمل آلاف المواد.

أجرى الرئيس الروسي استفتاء لضم المناطق الأربع في إقليم دونباس وهي: دونيتسك ولوغانسك وخيرسون وزابارجويا، في أيلول/سبتمبر 2022. لكن عادت القوات الأوكرانية وتمكنت من تحرير إقليم نيكولايف بكامله وعدة قرى من ضفة نهر دنيبر اليسرى. وبدأت القوات الروسية تتراجع بعمق 15–20 كم من مواقعها الأساسية باتجاه شبه جزيرة القرم.

يبدو أن تقديرات بوتين لقواته العسكرية النظامية غير دقيقة كما بدا واضحا في الدعوة إلى نوع من التجنيد الجزئي من جهة والاستعانة بقدرات إيران في سلاح المسيّرات والصواريخ من جهة أخرى. كما اضطر أن يسحب بوتين جزءا من قواته في سوريا ويكلف الجنرال فاليري جيراسيموف قائد الأركان الروسية نفسه بإدارة المعركة عسكريا. وبعد سنة من القتال نستطيع أن نقول إن القوات الروسية وإن بدأت تقضم المناطق التي خسرتها شيئا فشيئا إلا أن الحسم غير ممكن في المدى القريب. أما عن الخسائر البشرية فهي عالية جدا وأقل التقديرات تشير إلى نحو 60 ألف قتيل وضعف هذا العدد من الجرحى. وقد نعتبر أن تمتين العلاقة مع الصين جاء في صالح الاتحاد الروسي سياسيا وعسكريا واقتصاديا. فالصين تخشى أن تكون الهدف القادم للناتو إذا تعرضت روسيا للهزيمة.

أوكرانيا

تم توريط أوكرانيا في هذه الحرب بدءا من عام 2014 وبعد أن استولت روسيا على شبه جزيرة القرم. بدأت الولايات المتحدة وحلفاؤها تسليح الجيش الأوكراني وتدريبه كي يكون جاهزا عندما يطلب الانضمام لعضوية الناتو، وهو الخط الأحمر بالنسبة لروسيا. وذكر بوتين هذا الشرط في رسالة أرسلها إلى الرئيس الأمريكي جو بايدن قبل الحرب بعدة أيام. فكان رد وزير الخارجية الأمريكي بلينكن، على أن قرار الانضمام أو عدمه مسألة سيادية ولا مجال للتفاوض حولها. وكان ذلك الرد أقرب إلى إعلان الحرب وهو ما كان متوقعا تماما من بوتين. ولكن بعد سنة أين وصلت الأمور في أوكرانيا؟

منذ الغزو الروسي تكبد الجيش الأوكراني ما لا يقل عن 100000 ضحية، إلى جانب تدمير آلاف الدبابات والعربات المدرعة الأخرى. كما تقلص الاقتصاد الأوكراني بنحو 30 في المئة، وتشرد أكثر من 30 في المئة من السكان. وتعرضت البنى التحتية للدمار، وتضرر حوالي 40 في المئة من قدرتها على توليد الكهرباء. وبسبب الدعم المتواصل من أوروبا وأمريكا واستعداد دول الناتو بما في ذلك ألمانيا، تقديم أسلحة متطورة بدأ يتحدث الرئيس الأوكراني زيلينسكي عن النصر الكامل ووضع نحو 11 شرطا للسلام معظمها إن لم يكن كلها، تعجيزية لن يرضخ لها حتى لو اضطر استخدام الأسلحة الاستراتيجية والتي ما لبث يلوح بها بين الحين والآخر.

الاتحاد الأوروبي

بالتأكيد ليس للاتحاد الأوروبي أي دور في إشعال هذه الحرب. لقد بدأت دول في الاتحاد تباعد بنفسها قليلا عن السياسة الأمريكية وخاصة ألمانيا وفرنسا. لكن حرب أوكرانيا منحت الفرصة للولايات المتحدة لتعيد جميع الدول الأوروبية إضافة إلى اليابان وأستراليا إلى حظيرة الطاعة وتجبرهم على تحمل العبء الأكبر من تكاليف الحرب، حيث بلغت مساهمات الاتحاد ما يزيد عن 67 مليار دولار. وكانوا أول من تحمل ارتفاع أسعار الطاقة ونقص الغاز، فالاستغناء عن نفط وغاز الاتحاد الروسي ليس بالأمر الهين الذي يتم التعويض عنه خلال فترة وجيزة. الاتحاد الأوروبي يشعر أنه تورط في حرب تقف على أبوابه ولا مجال للتهرب من دفع الثمن لأن انهيار أوكرانيا يعني أن دولا أخرى ستنهار أمام القوة الروسية الطاغية لذلك اضطروا، بإرادتهم أو دون إرادتهم، للاصطفاف خلف الولايات المتحدة وتحمل تكليف الحرب واستقبال ملايين اللاجئين والدفاع عن أوكرانيا في المحافل الدولية. كما اضطرت هذه الدول أن تصرف المليارات على تحديث أسلحتها وامتلاك المعداث الثقيلة والمتطورة من الولايات المتحدة. فألمانيا ستضم لقواتها الجوية35 طائرة من طراز ف– 35 (أ) بقيمة 8 مليارات الدولارات وكذا ستشتري 88 طائرة من طراز ب–35 بقيمة 8 مليار دولار وفنلندا طلبت 64 طائرة مقاتلة بقيمة 10 مليارات دولار. وهذا ينطبق على اليابان التي غيرت عقيدتها العسكرية لتحدث جيشها وأستراليا ستشتري غواصات حربية، وهكذا... فهل كانت هذه الدول بحاجة إلى صرف هذه المبالغ الهائلة على التسليح؟ ببساطة أوروبا تفقد قرارها المستقل وتعود لتأخذ الدور الهامشي والذيلي للولايات المتحدة والتي ستدفع ثمنه لعقود قادمة.

الأمم المتحدة

تم تهميش الأمم المتحدة في هذه الحرب وتأخر الأمين العام، أنطونيو غوتيريش، كثيرا قبل أن يصل إلى موسكو في نهايات نيسان/أبريل ثم كييف لكنه وجد أن البون شاسع بينهما ولذلك عاد بخفي حنين. المبادرة الوحيدة التي نجحت بالتخفيف من الأزمة الغذائية العالمية هي «مبادرة حبوب البحر الأسود» التي تم التوصل لها من خلال الوساطة التركية في نهاية أيلول/سبتمبر. وتم توقيعها في اسطنبول بمشاركة وحضور الأمين العام والرئيس التركي رجب طيب اردوغان.

كنا نتوقع أن يتابع الأمين العام جهوده للعمل على وقف إطلاق النار لكنه ظل يحاول التخفيف من آثار الحرب الأوكرانية على دول العالم النامي الفقيرة والأكثر فقرا. الوساطة الحقيقية الوحيدة لوقف إطلاق النار هي التركية لكن القيادة الأمريكية أفشلتها وهي في المهد لأن من مصلحتها استمرار الحرب لإنهاك الاتحاد الروسي لدرجة أن يأتي يوم ويرفع الراية البيضاء وهذا أمر مستبعد في الوقت الحاضر.

الولايات المتحدة يبدو أنها لا تتعلم من أخطائها. فقد شنت حروبا عديدة خارج حدودها ولكنها فشلت في معظمها إن لم يكن فيها جميعا. فقد خرجت مهزومة من فيتنام وأفغانستان والعراق. صحيح أن هذه الحرب ليس فيها وجود عسكري أمريكي مباشر على الأرض لكن الهزيمة إن وقعت ستكون أول ما تكون على الولايات المتحدة التي رعت ومولت هذه الحرب.

لعل هذه الخسائر التي طالت الجميع تكون سببا في إعادة النظر في مجمل الأزمة وكيفية صياغة حل وسطي يبدأ بوقف إطلاق النار وعودة المهجرين ثم العمل على توفير بيئة سليمة لمفاوضات جادة تنتهي بتوقيع اتفاقية سلام شامل. هذا ما ننتظره في عام 2023.

حوار

المستشار في التنمية ومكافحة الفقر أديب نعمة: الشعب اللبناني مُسالم ولا يُريد الفوضى لكن الانفجار الاجتماعي آتٍ حتماً

حاورته: رلى موفّق

يرى المستشار اللبناني في التنمية ومكافحة الفقر الأستاذ أديب نعمة أن الشعب اللبناني مُسالم ولا يريد دخول البلاد في الفوضى رغم حدّة الأزمات التي يعيشها. وتوقف عند ثلاثة عوامل ساهمت في تفادي الانهيار الاجتماعي الشامل، وهي: تحويلات اللبنانيين، والمساعدات الخارجية، وتوظيفات المنظمات غير الحكومية بالعملة الأجنبية. وأعرب عن قناعته بأن الطبقة الحاكمة لا تُريد حل الأزمة لأنها مستفيدة من نهب الأموال، وعقلها «غنائمي» وستستمر بهذه السياسة حتى لحظة ما قبل موت النظام لتطرح مشروعها الاقتصادي للحل القائم على إنشاء صندوق لأصول الدولة وممتلكاتها وتولّي إدارته.

وأكد نعمة، الذي عمل مستشاراً إقليمياً لـ«الإسكوا» وبرنامج الأمم المتحدة الانمائي أن «الانفجار الاجتماعي سيحدث حتماً، لأننا نسير بمسار تدهوري، لكننا لا نستطيع معرفة ما إذا كان سيأخذ أشكالاً فوضوية أو عنفية أو شعبية». وإذ اعتبر أن السيناريو الأمثل هو الشكل الشعبي الشبيه ببداية «ثورة تشرين 2019»، استبعد استعادة ذلك المشهد بحيث تنزل الناس والفئات الاجتماعية إلى الشّارع وتصبح فاعلاً سياسياً، لافتاً إلى أن هذا الشكل هو الطريق نحو التغيير السياسي الذي يرسم مسار الحل والتضحيات التي ستكون لسنوات عشر سنوات على الأقل.

في قراءته أن مسار الانهيار لا يبقى إلى ما لا نهاية، بل ستأتي لحظة، إما داخلية أو خارجية، تُوقفه أو تُحدث انعطافة فيه. وفيما بدا له أن شرط نجاح اللحظة الداخلية غير متوفر راهناً، عبَّر عن اعتقاده بأن شرط اللحظة الخارجية قد يكون ممكناً، لكنه إنْ حصل فلن يُنتج سوى استراحة ومحطة صراع جديد ربما بأشكال أقل عنفاً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والمالية، وحتى أقل عنفاً من الناحية السياسية. وهنا نص الحوار:

○ رغم الأزمة التي يعيشها اللبنانيون منذ 2019، والانهيارات المتتالية والكلام عن احتمال حصول انفجار، ورغم قهر الناس، لم يصلوا إلى حد أن يُفجّر غضبهم الوضع... برأيك لماذا؟

● هناك ثلاثة عوامل لها دور في تفادي الانهيار الشامل على مستوى الضرر الاجتماعي، الأول، استمرار دخول موارد إلى لبنان، إن بإلغت تحويلات الخارج السنة الماضية إلى الأسر اللبنانية ما يزيد على 6 مليارات دولار حسب تقرير البنك الدولي، وهذا مبلغ كبير. ما زال حجمه كالسابق أنما طرأ تبدّل لجهة أن عدد الذين يُحوِّلون ازداد، ولكن المبلغ الذي كان يُحوِّله الفرد تناقص. كانت التحويلات سابقاً تصل إلى الأغنياء والطبقات الوسطى، إنما اليوم حتى العائلة الفقيرة التي لديها أحد الأبناء في الخارج لسبب ما، حتى لو كان عاملاً متواضعا ويتقاضى 500 يورو أو دولار، يُرسل مئة دولار إلى عائلته لأنها تُحدث فرقا نتيجة انهيار العملة الوطنية.

الأمر الثاني هو داخلي، سببه توزيع المساعدات الإنسانيّة، فالدول الأوروبية، والأمريكان، واليابان، والسعودية، ودول الخليج، كلهم أرسلوا ملايين الدولارات، وبشكل خاص بعد انفجار المرفأ. هذه الأموال لا تزال تدخل، تصل إلى الناس عبر جمعيات. إضافة إلى ذلك، هناك الأموال التي تدخل إلى اللاجئين السوريين ويأخذ اللبنانيون في مقابلها دعماً ومساعدات. هذا كله يجعل الناس تعيش في كفاف، ويتدبرون أمورهم بطريقة أو بأخرى وتحول دون «موتهم من الجوع».

الأمر الثالث يتمثل بأن مفوضية اللاجئين في الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الدولية والجمعيات، للقيام بعملها على امتداد لبنان، وظّفت آلاف اللبنانيين. على سبيل المثال، في آخر ضبيعة في عكار (شمالاً)، هناك اليوم مَن هو موظف بمفوضية اللاجئين. هذا بدأ مع السوريين واستمر إلى الآن، وتجديته في كل المناطق، ولهذا هناك صرخة ضد الـ NGO من قبل جماعة السلطة، لأن هذه الأموال كانت تذهب إلى جمعياتهم. هذا أوجد شريحة تُقدَّر بالآلاف تقبض بالدولار. سأعطي مقارنة: قبل الأزمة كان موظف الـ NGO يتقاضى 800 دولار كمعدل وسطي، وأستاذ الجامعة يتقاضى 6 ملايين ليرة، أي 4 آلاف دولار. ولكن بعد الأزمة ما زال موظف الـ NGO يتقاضى 800 دولار، وأستاذ الجامعة الذي كان يتقاضى ما يعادل 4 آلاف دولار، بات يتقاضى نحو مئتي دولار. هذا خلق متنفساً لآلاف الشباب الذين يعملون بهذه الطريقة، إضافة إلى الشركات الخاصة التي تُعطي جزءاً من الرواتب بالدولار، ناهيك عن رواتب «حزب الله» التي هي بالدولار.

إضافة إلى ذلك، هناك عامل مهم يكمن في أن الشعب اللبناني مسالم. الفقراء مسالمون بطبيعتهم. أولاً هناك تجربة الحرب ومآسيها والناس لا تريد العودة إليها، ونحن نتكلم عن هذه اللحظة لأننا لا نعرف كيف يتطوّر الوضع. الذين يشعرون بأن عليهم أن يتحرّكوا هم أصحاب الودائع، ويجب ان لا ننسى أن نصف الشعب اللبناني ليست لديه ودائع مصرفية، والذين لديهم ودائع هم الموظفون والطبقات الوسطى أو الذين يتقاضون معاشات تقاعدية، هؤلاء يشعرون أن أموالهم تبخرت في البنوك. هناك 20 أو 25 حالة دخل فيها موديع إلى البنك وأخذ وديعته بالقوة، ولكن في البنك كل يوم هناك آلاف الناس يصطفّون لسحب مئة دولار. الطابع الغالب أن الناس مسالمة. عندنا حالات فردية ومشروعة، ولكن أيضاً هناك مَن يقوم بالتحريض بشكل منظَّم، فزيادة العنف وزيادة احتمالية الانفجار الاجتماعي والفوضى، هي عمل ممنهج ومقصود من قبل جماعة السلطة، وبعض الأطراف لزيادة الخوف لدى الناس، ولمزيد من السيطرة ولتصفية حسابات بين بعضهم البعض.

○ هل السرد الذي قدمته يعني أن هناك احتواء للناس، وبالتالي لا خوف من انفجار الوضع؟

● عندما تقولين الخوف من الانفجار، ما يكون مقصوداً به هو حالة من الفوضى التي تتخللها أعمال عنف. الشعب اللبناني مسالم ولا يريد هذا النوع من الفوضى، ولكن هل سيحصل انفجار اجتماعي؟ حتماً سيحدث، لأننا نسير بمسار تدهوري لا يتوقف ولا نستطيع معرفة الأشكال التي سيتخذها، وقد تكون ذات طابع فوضوي وانتفاضات اجتماعية متفرقة في المناطق، بشكل متفاوت، حسب المناطق وحسب القدرة على السيطرة والضغط الذي قد يحصل. الأمثل هو استعادة الحالة – وأنا أشك باستعادتها – التي حصلت في بداية الثورة في الـ2019 أو في الـ2015 عند حراك النفايات بشكل شعبي، بمعنى أن الناس والفئات الاجتماعية ينزلون إلى الشّارع ويصبحون هم فاعلاً سياسياً. هذا يأخذنا نحو طريق التغيير الذي قد يوصلنا إلى الحل. والأشياء الأخرى ممكن أن تؤدي إلى ارتباك عند السلطة، ويمكن أن تؤدي إلى تعطيل المؤسسات وتحدث أضراراً، وممكن أن تؤدي إلى انهيارات في أركان السلطة وخلق تناقضات بينها، وهذا الشكل لا نستطيع التحكّم به، لأنه لا توجد أحزاب سياسية فعلية تستطيع أن تلعب دورها في عملية التغيير، والأحزاب تسعى لدور داخل السلطة لا أكثر ولا أقل. والشيء الآخر هو أنه ليست لدينا حركات نقابية مستقلة وفاعلة، وحتى رجال الأعمال غير منظمين حتى يكون عندهم مشروعهم السياسي، وضغط سياسي ممنهج، ولدى كثر منهم طموحاتهم الوزارية. والثورة عندما انطلقت تعرضت لضغوطات وتشتت من الداخل، ولم تنتج بلورة مشروع وطني متكامل وجذاب، ولا في بناء حركة شعبية منظمة قاعدية على غرار ما حدث في السودان، على سبيل المثال، حيث توجد أكثر من 5 – 6 آلاف لجنة مقاومة شعبية تنسّق بين بعضها البعض. نحن لا نملك هذا الشيء، لدينا مجموعات صغيرة كل واحدة تعمل ما يحلو لها. هذا كله يجعلنا لا نستطيع معرفة شكل الانفجار الاجتماعي الذي سيحصل، وما إذا كان سيأخذ أشكالاً فوضوية أو عنفية أو شعبية.

○ ولكن السلطة السياسة لا تبدو خائفة ولا تشعر أن مصيرها على المحك، حتى أمنياً، الوضع مقبول رغم حدة الأزمة، وفق آخر تصريح لوزير الداخلية؟

● يستخدمون تعبير «الأمن ممسوكة». هذا ليس بفضل وزير الداخلية ولا القوى الأمنية، فالأمن غير ممسوك، لكن الشعب مسالم ولا يريد المشاكل. وليس صحيحاً أن الجريمة غير متزايدة. الجريمة تتزايد وبشكل كبير، عمليات الخطف لقاء فدية زادت، وكل الجرائم التي لها علاقة بالسرقة والاستحواذ على الأموال بالقوة وخلافاً للقانون، والجريمة المنظمة في ازدياد كبير. الجريمة هي عندما تخالفين القانون، والسرقة هي عندما تأخذين مال الغير عن غير وجه حق وبالقوة. عندما يدخل شخص إلى منزل شخص آخر ويسرق تلفزيوناً مثلاً، هذه سرقة. ما يجري اليوم هو سرقة معممة على نطاق واسع. الاستحواذ على ممتلكات الغير بشكل غير قانوني أصبح الشغل الشاغل لكل منظومة الدولة، والمصارف، والصرافين، وتجار المولدات، ومحطات الوقود. هم يسرقون ويخالفون القانون بالمعنى الحقيقي للكلمة. عندما نستورد طحيناً ووزير الاقتصاد مع العصابة الموجودة يسرقون نصف الطحين لتهريبه إلى سوريا مع شركات تهريب ويقبضون الأموال التي بدورها تذهب إلى الصرافين، ويتم ذلك بالتواطؤ مع صاحب البنك ومع مصرف لبنان، والشيء نفسه يحصل في البنزين وغيره.

○ هل نضع هذه الأمور في إطار الفساد؟

● كل دول العالم فيها فساد، بمعنى أن الأمور بنسبتها الكبرى تسير بشكل صحيح وهناك نسبة 10 أو 20 في المئة من التلاعب تحايلاً على القانون. لكن ما يحصل في لبنان هو مخالفة للقانون من قبل المسؤولين عن وضعة وتطبيقه، أي حين يحجز المصرف على الودائع، وحين «يتسلبط» فلان على مولد الكهرباء في حيّ ويقول هذه هي التسعيرة، وحين يفرض تجار الأدوية السعر الذي يريدونه، وتتصرّف المدارس الخاصة على هواها، يبدو مفهوم الفساد لطيفا جدا للتعبير عن هذا الوضع.

○ ما الوصف الذي ينطبق على حالة لبنان، فلتان؟

● ليس فلتاناً، أنا استخدمت تعبيراً في كتاب صدر في الـ2014 أسميته «الدولة الغنائمية»، و«السلوك الغنائمي»، وهناك تعبير آخر جميل جداً استخدمه الدكتور أحمد بيضون أسماه «نظام المُناهبة». «المناهبة» تحصل للمال العام، واليوم تحصل للمال الخاص. أطراف السلطة جميعاً يتناهبون معاً المال العام والمال الخاص: «الشبيحة يأكلون حقوق الناس»، و«الحرامية يأكلون حقوق الناس»، و«الفاجر يأكل مال التاجر»، وليس «الناس تأكل بعضها البعض». على العكس الناس تتساعد، وحين حصل انفجار المرفأ، الناس نزلت بالآلاف ومن تلقاء نفسها لتُساعد.

○ هناك دراسة الإحصاء المركزي حول تطور الأزمة بين 2019 و2021، هل يمكن تحليل بعض أرقامها؟ وهل ما زالت صالحة اليوم؟

80 في المئة من سكان لبنان يحتاجون إلى مساعدة

● قبل الأزمة، كان العمل غير النظامي من دون عقد عمل وضمان اجتماعي، أي العمل المهمّش واليومي يُشكل نحو 50% من القوى العاملة في لبنان، بين لبنانيين وسوريين، وكان نحو 55% من الناس عندهم تأمينات اجتماعية بشكل ما، بما في ذلك تأمينات المنظمات الدولية. ولكن بعد الأزمة بثلاث سنوات، أي في مطلع الـ2022 صار العمل غير النظامي 62% وهذه زيادة كبيرة، أي من كل 10 أفراد هناك أكثر من 6 يعملون عملاً مهمشاً. وهذا المنحى سيبقى تصاعدياً. ولأول مرة الذين عندهم تأمينات اجتماعية أصبحوا 49% بداية الـ2022، والانخفاض الكبير حصل مع الأشخاص الذين لديهم تأمين مع شركات التأمين الخاصة. موظف الدولة عنده تأمين وإنْ أصبح بلا قيمة، اليوم الضمان الاجتماعي أو تعاونية موظفي الدولة، في البنك المركزي خلال الـ3 سنوات، أين ذهبت هذه الأموال، هل تبخرت؟ هل تمّ توزيعها على المواطنين؟ لا إنما تمّ الاستيلاء عليها من قبل الصرافين والمحتكرين والسياسيين. وسيستمرون بذلك عن قصد في عملية النهب إلى ما قبل لحظة من موت النظام، لأن مشروعهم من الناحية الاقتصادية يقوم على فكرة تجميعهم ما أمكن من الأموال، وينتظرون إلى أن يتدهور الوضع أكثر، وفي النهاية سيطرحون، بما لديهم من أموال، حلاً بوضع كل أصول الدولة وأملاكها في صندوق، ومن ثمّ وضع يدهم عليها او الاستحواذ على ملكيتها. وهم يعملون على هذا الأمر، هذا ليس خيالياً. يتفاوضون مع الدول الغربية على طريقة نحن نأخذ حصة ومستعدون لإعطائكم حصة في النفط والغاندق والمرفأ وقطاع الكهرباء.

اللحظة الخارجية لوقف الانهيار ممكنة وإنْ حصلت فستكون استراحة ومحطة جديدة للصراع

○ البعض راهن على الانتخابات النيابية، فإذا بالنتائج تُعيد تفويض الطبقة السياسية نفسها، وحتى كتلة التغييرين التي خرقت ما زال أداؤها مربكاً وقاصراً.

● التصور بأن الانتخابات النيابية قد تنتج مساراً تغييراً كان تصوراً وهمياً. ما كان يمكن لصناديق الاقتراع في ظل القانون الانتخابي الحالي أن تفعل أكثر مما فعلته، أي إيصال 12 أو 13 نائباً من خارج الطبقة الحالية. الضغط الشعبي والسياسي هو الكفيل بإحداث التغيير، هذا هو الحل، لكني لا أدري إن كان سيحصل أم لا. في اعتقادي لو استطاعت «ثورة تشرين 2019» أن تستمر لعدة أشهر، وأن تنظّم نفسها بطريقة أفضل، ولو اشتغلت النقابات والجمعية الصناعيين بطرق مختلفة، ولو ذهبت الناس إلى إضراب عام، كانت النتائج ستكون مختلفة، وكنا على الأرجح سلكنا الطريق إلى عملية التغيير. ما حصل أن «ثورة تشرين» خلخلت الائتلاف الحاكم، ونسفت التسوية الرئاسية التي حصلت عام 2016 والتي عمل «حزب الله» عليها منذ «اتفاق الدوحة» 2008. انفراط عقد التسوية في 2019 غيّر في التوازنات وأخرج تيار سعد الحريري منها، وتحوّل الصراع ضمن أركان التسوية. كانت الفكرة المطروحة في «الثورة» أن تستقيل حكومة الحريري وتأتي حكومة مستقلين بصلاحيات استثنائية من خارج الطبقة السياسية الحاكمة، ولكن المنظومة نجحت في الالتفاف على الحل، عبر تشكيل حكومة تكنوقراط ممسوكة سياسياً من الخلف تقاتفت معها الأزمة.

○ يُطالب صندوق النقد بإصلاحات لمساعدة لبنان وكذلك تشترطها الدول المانحة فيما السلطة تناور، ما الذي يمكن أن نتوقعه؟

● ما يُسمى بالإصلاحات المطلوبة ليست سوى مبادئ بديهية لتنظيم اقتصاد السوق، وليست الحل لوحدها. أنا لم أرَ أن الدول الأجنبية صادقة في قولها بمساعدة لبنان. جاء الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بعد انفجار مرفأ بيروت في 4 آب 2020 لابتزاز الطبقة السياسية. قام باستعراض شعبي في الجميزة (حيث منطقة التفجير) ثم عاد بعد أسابيع ليجمع في قصر الصنوبر (مقر السفارة الفرنسية) القوى السبع (تيار المستقبل، وحركة أمل، وحزب الله، والتيار الوطني الحر، والحزب الإشتراكي، وتيار المردة، وحزب القوات) مضيفاً حزب الكتائب، بهدف وحيد هو محاولة إعادة إحياء التسوية الرئاسية، ما يعني إعادة تجديد الأزمة. وهذا ما يفعله اليوم. أما الأمريكيون، فرغم كل الكلام الكبير بينهم وبين «حزب الله» فقد أنجزوا ترسيم الحدود البحرية الجنوبية. وهو اتفاق تجاري مالي ربحي وشراكة بين دولة إسرائيل وبين «حزب الله» وليس الدولة اللبنانية، برعاية أمريكية. والأطراف الخارجية والداخلية عينها على الصفقات.

ما يُفسح المجال لذلك هو عدم وجود السلطة الوطنية التي يمكن أن تحقق توازناً سياسياً. العامل الوطني غائب وهو مُستبدل بأطراف فئوية إما تعمل صفقة سياسية هنا أو صفقة مالية تجارية هناك.

○ هناك مَن يرى حاجة إلى نموذج اقتصادي جديد، أي «طائف اقتصادي» وهناك مَن يسأل لماذا لا نتوجه شرقاً؟

● النموذج الاقتصادي اللبناني فشل، ولكن مخطئ من يعتقد أن النموذج الراهن هو النموذج الاقتصادي اللبناني الذي كان قائماً بين 1943 – 1975 (منذ الاستقلال إلى بداية الحرب الأهلية)، ذلك أن تغييرات عدة قد حصلت. والموضوع ليس التوجه غرباً أو شرقاً، بل هل نريد أن نعتمد نموذج نمو اقتصادي متوحش – نيو ليبرالي، أو نموذج اقتصادي «دولتي»، أو نريد الذهاب إلى المفهوم التنموي والنماذج الاقتصادية التنموية التي هي الحل الوسط ويمكن أن تكون مقبولة. ليس نموذج 1943 ولا النموذج الذي أتى به رفيق الحريري ولا نموذج إيران وسوريا ولا النموذج الغنائمي الذي نعيشه اليوم. ما نريده ليس طائفاً اقتصادياً بل دولة تنموية، أي اقتصاد يقوم على مفهوم التنمية يضمن حماية اجتماعية شاملة وقطاعات منتجة. المطالبة بالتوجه شرقاً لا معنى لها بالمفهوم العلمي أو الاقتصادي، معناها أننا في التبادلات التجارية وجهة أن نعمل مع كل الدول والآ نضع فيتو على أحد. وهذا أمر جيد، ولكن هل التوجه شرقاً يُغيّر من قواعد الاستثمار؟ هناك استثمارات صينية هي أبشع أنواع الاستغلال والاستعمار الاقتصادي للدول الأفريقية ولدول أخرى دينّتها الصين.

○ أي مصير ينتظر اللبنانيين؟

● اللبنانيون في المدى المنظور ما زالوا في مسار التدهور والانهيار. عادة لا يبقى مسار الانهيار إلى ما لا نهاية، بل ستأتي لحظة إما داخلية أو خارجية تُوقفه أو تُحدث انعطافة فيه. شرط نجاح اللحظة الداخلية هو حصول ضغط شعبي وسياسي حقيقي يجعل الناس فاعلين سياسيين. وشرط نجاح اللحظة الخارجية التي يكثر الكلام عنها، هو مبادرة خارجية تضم قوى خارجية متعددة ومتنوعة لديها نفوذ وتأثير تكون متفقة على حد أدنى وجدية في فرض هذا الحد الأدنى. تلك المبادرة يجب أن تكون «مدوزنة» مع التطورات الإقليمية والاتفاق – في حالتنا – مع إيران، وتحتاج إلى عدم وجود ممانعة شديدة وعنيفة داخلياً من قبل «حزب الله» وبعض الأطراف الفاعلة كي لا تُعطلها. إمكانية هكذا مبادرة تبقى قائمة نظرياً، وإن حصلت ستكون محطة استراحة لبعض سنوات ومحطة صراع جديد ربما بأشكال أقل عنفاً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والمالية وحتى أقل عنفاً من الناحية السياسية، فهناك مَن يعتبر أن لا مصلحة لأحد خارجياً بأن ينفجر لبنان.

لا حل إلا بتغيير سياسي يرسم خريطة المعالجات التي ستكون لعشر سنوات على الأقل

حريات

المنظمات السورية تنفذ مهام بحجم دول والملف الإنساني خضع للتسييس والانحياز

حسام محمد

هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الشعب السوري لزلزال مصدره الطبيعة، إلا أنهم كانوا قد تعرضوا طيلة العقد الماضي لزلازل بشرية توصف بالمرعبة، من الكيميائي الذي ضرب غوطتي دمشق الشرقية والغربية، ومات المئات في لحظات، وزلزال ملف صور قيصر المسرب، الذي أظهر وحشية مرعبة من قبل أجهزة استخبارات النظام السوري ضد المعتقلين، وزلازل أخرى على يد الجيش الروسي والميليشيات العابرة للحدود وتلك الحاملة للظلام وغيرهم، إلا أن المجتمع الدولي بأممه المتحدة ومجلس أمنه لم يتحرك لإيقاف الزلازل البشرية المستمرة بحق السوريين، فجاءت الطبيعة بزلزالها ليضرب السوريين الذين لم تنقذهم الأمم المتحدة من العسكر والمخططات الدموية للاحتفاظ بعرش السلطة مهما كانت التكلفة البشرية.

في السادس من شباط /فبراير الحالي، ضرب زلزال العديد من المحافظات جنوبي تركيا وشمالي سوريا، فأوقع عشرات الآلاف من الضحايا، وأضعاف ذلك العدد من المصابين والمنكوبين والمشردين، بعد أن تدمرت مدن وبلدات، في نكبة قد تستمر دواعيها لأشهر طويلة مقبلة.

كان السوريون هم الأكثر تضررا من الزلزال بعد الخسائر التي ألمت بالشعب التركي، ووفق تقرير للشبكة السورية لحقوق الإنسان، فإن 6319 سورياً توفوا بسبب الزلزال، يتوزعون حسب مناطق السيطرة إلى 2157 في المناطق خارج سيطرة النظام في شمال غرب سوريا، و321 توفوا في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام و3841 لاجئاً سورياً توفوا داخل الأراضي التركية.

ففي الوقت الذي صدم الشعب السوري بتأخر وصول المساعدات الأممية والدولية لإنقاذ العالقين تحت الأنقاض في شمال غرب البلاد، كانت المنظمات السورية المحلية تعمل بطاقات أعلى من قدراتها لمواكبة الكارثة التي خلفها الزلزال، وتكثيف عمليات الإنقاذ والإسعاف.

مدير الدفاع المدني السوري «الخوذ البيضاء» رائد الصالح قال لـ«القدس العربي»: «خلال عمليات إنقاذ العالقين تحت الأنقاض، كنا بسباق حقيقي مع الزمن، وكان الأهم لدينا هو إنقاذ الأرواح، على الأرض كنا نقوم بعمليات الإنقاذ والإسعاف ورفع الأنقاض وتقديم الإسعافات الأولية والمساعدة بالجلاء والمشاركة بتأهيل مخيمات الإيواء وتقديم الرعاية الطبية للمهجرين.

كنا نتمنى لو كانت لدينا قدرة وإمكانات أكبر لنقدمها، ونعتذر من كل من لم نستطع الوصول إلى أهله وذويه على قيد الحياة في كل أنحاء سوريا».

وحول أهم المعوقات التي واجهت فرق الإنقاذ خلال البحث عن العالقين تحت الأنقاض، قال الصالح: يمكن تحديد نوعين من المعوقات التي أثرت نسبياً بعمليات الإنقاذ وهي:

أ. معوقات طبيعية، منها التوزيع الجغرافي الواسع للزلزال وما نتج عنه من أضرار في جميع أنحاء شمال غربي سوريا والقدرة على العمل مقارنة مع الإمكانات وقدرة المؤسسة، كما أن انخفاض درجات الحرارة والأمطار الغزيرة في أول يومين صعب عمليات الإنقاذ وأدت الأمطار لانهيارات في الركام، كما هددت الهزات الارتدادية الكثيرة عمل الفرق.

ب - معوقات تقنية إذ أثر غياب المعدات الثقيلة القادرة على التعامل مع كوارث مثل الزلزال من قدرة الفرق على الاستجابة بالوقت المناسب، إضافة لغياب المعدات المتطورة القادرة على كشف العالقين تحت الأنقاض وأيضا الكلاب البوليسية المدربة، كما لحقت أضرار مادية بمبانٍ ومخازن ومعدات الخوذ البيضاء.

الأمم المتحدة أدارت ظهرها للسوريين

علق مدير الدفاع المدني السوري رائد الصالح على تأخر المساعدات الأممية عن العالقين تحت الأنقاض في شمال غربي سوريا بالقول: «نعم.. الأمم المتحدة أدارت ظهرها للسوريين وخذلت العالقين تحت الأنقاض وتخلت عنهم، ولم تسمع نداءات استغاثة، وهذا شيء غير مقبول بعرف العمل الإنساني، وهو انحياز وتسييس واضح على حساب أرواح السوريين.

كنا في واجهة الاستجابة للزلزال على الرغم من فداحة الكارثة وتواضع الإمكانيات المتاحة من جهة، وتخاذل الأمم المتحدة من جهة أخرى، رغم أن الدفاع المدني السوري أعلن عن أن منطقة شمال غرب سوريا هي منطقة منكوبة منذ صباح يوم الزلزال».

وأضاف: «المساعدات المنقذة للحياة لم تصل بالسرعة والنطاق الضروريين، رغم أن الكارثة واحدة من أكبر الكوارث في الذاكرة الحديثة وعشرات آلاف العائلات التي نجت من الزلزال يكافحون للبقاء على قيد الحياة، وهم مشردون يعيشون في درجات حرارة تحت الصفر.

والأمم المتحدة أقرت بتقصير واعترفت بالأخطاء وأخبرني بذلك مارتن غريفيث خلال لقائي به قرب الحدود التركية السورية، ولكن حتى الآن لم تحدث أي استجابة حقيقية ولم يتم تقديم أي مساعدات لفرق البحث والإنقاذ في الدفاع المدني السوري، وحتى الاستجابة للمدنيين، والأمين العام للأمم المتحدة لديه سلطة تفعيل آليات الكوارث وآليات استجابة أكثر مرونة، لكنه لم يتخذ أي إجراء، رغم تصريح السلطات التركية أن جميع المعابر مفتوحة، وأن الوصول ليس مشكلة.

ولديه إمكانية فتح أي معبر بدون العودة لمجلس الأمن، لكن كل ذلك لم يحصل في الأسبوع الأول وهو الأسبوع الفعلي للاستجابة، باعتقادي أن المجتمع الدولي يجب أن يسمع صوت الضحايا الذين لم يسمع صوتهم أحد عندما كانوا أحياء ويحقق لهم العدالة».

ويمكن للأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش ووكيل الإغاثة الطارئة مارتن غريفيث توجيه كافة الآليات والوكالات الأممية للعمل بتفويض مباشر من الأمانة العامة للأمم المتحدة، وتجاوز كافة الصعوبات اللوجستية واستخدام كافة المعابر الممكنة عبر الحدود للوصول إلى شمال غربي سوريا، ويمكنه توجيه المجموعة الدولية الاستشارية لفرق البحث والإنقاذ للتدخل فورا عبر الحدود في شمال غربي سوريا، وتوجيه فرق دولية للدخول مع معداتها لمساندة فرق الدفاع المدني السوري في جهود البحث.

ما هي الخطوة التالية؟

الأولويات وفق مدير الدفاع المدني الصالح في درجتها الأولى هي الاستمرار في عمليات البحث لتضميد جراح الناس، «ربما نستطيع تخفيف مصاب الناس لو حصلوا على جثامين ضحاياهم، ونرى في ذلك واجباً كبيراً علينا.

ولقد سخرنا كل إمكانات وقدرات المؤسسة والموضوع لا يقاس أبداً بالكلفة المادية عندما يكون مقابلها أرواح، والعمليات مستمرة حتى الآن ولم تتوقف بعد.

والأولويات حالياً أيضاً هي رفع الأنقاض وفتح الطرق في كامل المناطق المتضرّرة، وهذه هي المرحلة التالية، وذلك يحتاج إلى جهد ووقت كبيرين، بسبب العدد الهائل من الأبنيةً المتضرّرة مقارنةً بمساحة منطقة شمال غربي سوريا.

وبعد رفع الأنقاض بالكامل سنبدأ بإعادة تأهيل البنية التحتية المتضررة، نعلم تماماً أن شمال غربي سوريا منطقة هشة اقتصادياً وفي بنيتها التحتية وأن آثار الزلزال ستكون طويلة الأمد ولن يكون التعافي منها أمرا سهلا أبداً ويحتاج لدعم ومساعدة دولية، لن ندعي أبداً أننا سنتمكن من محو آثار هذا الزلزال المدمر لكن على الأقل نحن نؤمن أننا قادرين على البدء بخطوات التعافي المبكر.

وقال: «إعادة الإعمار لم تبدأ ولن تبدأ قريباً، مسألة إعادة الإعمار المتعلقة بالزلازل ليست مسألة منفصلة عن السياق السوري بالكامل، أما التعافي المبكر ففعليا سيبدأ مع إزالة الأنقاض، ولا يمكننا التوقع حاليا وَحقيقة حجم العمل كبير والأهم أننا لن نتوقف حتى نتمكن من مساعدة المنكوبين».

ونوه الصالح إلى أن عمليات الإنقاذ ومساعدة الجرحى والمنكوبين كانت تحتاج إلى جهود عظيمة، وأردف: «وجدنا حالة من التلاحم الشعبي، ولنسمّها ملحمةً أو حالةً من التكافل الكبير بين الدفاع المدني وبين المدنيين الذين ساعدونا بشكل هائل، فأعطونا آلياتهم، وتشكّلت فرق تطوّعية من المدنيين، وقمنا بتوزيعهم على فرقنا، فكنا نُلحق مدنيين أو ثلاثة مع كل فريق من فرقنا. وهذا ما ساعدنا، فكنا نستطيع نحن قيادة العمليات على الأرض، مع مساعدة الناس لنا».

وكان لذلك أثر كبير على صعيد تسريع عمليات البحث والإنقاذ بشكل هائل. ولهذا السبب استغرقت عمليات إنقاذ الأحياء أول ثلاثة أيام فقط، ونعتقد أن السبب الأكبر في ذلك هو دور المدنيين الذين نفتخر بدعمهم ومساعدتهم لنا.

إعادة الإعمار

استبعدت مديرة الوحدة المجتمعية في مركز الحوار السوري كندة حواصلي خلال حديث خاص مع «القدس العربي» البدء بعملية إعادة إعمار الشمال السوري في المنظور القريب، وهذه الخطوة تخضع لعملية سياسية شاملة، ومرهونة بإعادة إعمار شاملة للبلاد، وتأتي كخطوة تالية للعملية السياسية.

«نستطيع تقسيم العمليات الإنسانية في حالات الزلزال والكوارث إلى 3 أقسام، وهي عملية الاستجابة الطارئة، وهي مرحلة آنية وهدفها إنقاذ الأرواح وإسعاف الجرحى وتأمين المشردين، ومن ثم تأتي مرحلة تأمين المساكن المؤقتة، وهي متوسطة المدى، وهنا ليس لزاما أن تكون المساكن عبارة عن أبنية اسمنتية، وربما مخيمات أو أي شكل من أشكال الإيواء.

بعد الانتهاء من هذه الخطوة، تأتي مرحلة التعافي المبكر، وهي تشمل التعافي الاقتصادي وإعادة ترميم البنية التحتية، ففي الدول المستقرة سياسيا وليس لديها حالة نزاع مثل الحالة السورية، يمكن البدء بإعادة الإعمار بعد إزالة الأنقاض كما هو سير العمليات الجارية اليوم في تركيا.

مشاركة تركيا وممثلين عن النظام السوري، ولكن مشاركة منظمات المجتمع المدني العاملة في مناطق سيطرة المعارضة السورية في المؤتمر المرتقب غير معروفة حتى اللحظة.

وفي هذا الإطار حواصلي: غالبية التبرعات تأتي أقل من الاحتياجات، وبالتالي نحن أمام حالة كبيرة من تضرر البنى التحتية والطرقات وشبكات الصرف الصحي والأبنية.

من المهم الإشارة أيضا، إلى أن الجهات القائمة على إعادة البناء، هي إما منظمات أو شركات مقاولة محلية، وبعد الزلزال الكارثي ستكون هناك حالة من التدقيق الكبير على تشييد الأبنية السكنية، وستُفرض خطوط حمراء، بعد تهدم أعداد كبيرة من الأبنية المبنية بشكل حديث، وأن هذه الأبنية لم تراع شروط السلامة، خاصة أن الأمم المتحدة والمنظمات الأجنبية لم تدعم أبدا أي مشروع سكني له علاقة بالإيواء باستخدام النمط الإسمنتي للبناء، سواء كانت تلك المشاريع أبنية سكنية أو إنشاء قرى أو غيرهما، لاعتبارات متعددة، وهو ما سيجعل عمليات الإيواء أو إعادة البناء تتم تحت ضوابط شديدة، وأن المنظمات أو الأفراد ستتردد في دعم مثل هذه المشاريع بعد الفاجعة الأخيرة التي تسبب بها الزلزال.

واستبعدت تقديم الجهات الدولية دعما لإعادة إعمار المنازل المدمرة في شمال غربي سوريا، في حين قد تقوم بعض المنظمات النشطة في المنطقة بإعادة ترميم المنازل المتصدعة، بعد قيام فرق بالكشف الهندسي عن المنازل والتأكد من سلامتها، وأن إعادة الإعمار لن نشهدها في المرحلة القريبة، وفي حال حصوله قد تقوم به شركات خاصة تفتقد الرقابة الهندسية والإشراف ما قد يؤدي إلى تكرار المأساة مرة أخرى.

السوريون في الشمال هم الحلقة الأضعف، ويليهم السوريون في تركيا لغياب أي جهة حقيقية تمثلهم وتحظى بدعم ووزن سياسي لدى المجتمع الدولي يخولها التحرك لدعمهم، والجهات والمنظمات التي كانت تشرف على السوريين في تركيا باتت محلة بأعباء الزلزال الذي ضرب تركيا.

أوجاع السوريين

مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان فضل عبد الغني قال لـ «القدس العربي»: شمال غرب سوريا كان الأكثر تأثراً بالزلزال، وأرجع السبب إلى أن المنطقة تعاني من اكتظاظ سكاني كبير بسبب أعداد المشردين قسرياً الذين هجروا من مناطق أخرى بسبب الانتهاكات التي مارسها النظام بحقهم طيلة السنوات السابقة.

الأمم المتحدة ارتكبت أخطاء كارثية عقب الزلزال الذي ضرب الجنوب التركي والشمال السوري، وخاصة تأخرها في إيصال المساعدات الأممية إلى شمال غرب سوريا، وتركها للمنظمات المدنية المحلية تواجه بمفردها أهوال الزلزال ومخلفاته.

الأخطاء الأممية الكارثية وفق المتحدث، تسببت في زيادة أعداد الضحايا الذين ماتوا تحت الأنقاض، كما أن استجابة الأمم المتحدة تفعل الأمم المتحدة آليات أخرى مثل إطلاق نداءات لحشد الجهود والفرق من كافة دول العالم، وهو ما أدى بداية إلى الاعتذار الأممي عن تلك الأخطاء والتوجه للمطالبة بإجراء تحقيق حول أسباب ودوافع فشل الأمم المتحدة في إنقاذ الضحايا من تحت الركام والأنقاض.

الأمم المتحدة ساقت من جانبها تبريرات عدة لهذا التأخر والتي لاقى انتقادات كبيرة في المجتمع السوري، ففي 7 شباط/فبراير خرجت المتحدثة باسم مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية ماديفي سون بتصريح قالت فيه إن تدفق مساعدات المنظمة المهمة من تركيا إلى شمال غربي سوريا توقف مؤقتاً بسبب الأضرار التي لحقت بالطرق ومشكلات لوجستية أخرى مرتبطة بالزلزال العنيف الذي ضرب البلدين، وأضافت بأن «بعض الطرق معطلة والبعض الآخر لا يمكن الوصول إليه، وهناك مشكلات لوجستية تحتاج إلى حل».

وفي 8 شباط/فبراير صرح ينس لاركي المتحدث باسم مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية بأن «العملية عبر الحدود نفسها تأثرت، لكن المتحدث باسم الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش قال في نفس اليوم بأن معبر باب الهوى لم يتضرر وأنهُ مؤهل للاستخدام لإعادة شحن المساعدات الإنسانية.

وقال عبد الغني، يتوجب على الأمم المتحدة بعد فشلها أو تقاعسها خلال عملية إنقاذ الضحايا السوريين من تحت الأنقاض، الدفع باتجاه تأمين المساعدات والمأوى للمتضررين في الشمال الغربي من البلاد والمقدر عددهم ما بين 65 إلى 75 ألف مشرد نتيجة الزلزال.

كما هناك أولويات أخرى تضاف لقائمة تأمين المساعدات الغذائية والمأوى والمستلزمات الطبية، ومنها العلاج النفسي من الصدمات الهائلة التي تعرض لها كل من أصيب أو تكبد خسائر في الأرواح وهي خطوات ضرورية لتعافي المجتمع من كارثة الزلزال. ورأى فضل عبد الغني أن المنظمات المحلية النشطة في الشمال الغربي بذلت من دون استثناء جهدا أسطوريا يفوق قدراتها لإنقاذ العالقين تحت الأنقاض وانتشال الجثث وإسعاف المصابين وتقديم الرعاية للمتضررين. وهذه المنظمات تستحق كل التقدير والدعم، خاصة من المؤسسات التي أثبتت مصداقيتها وشفافيتها في الميدان السوري، والتي قامت بمهام دول في مساعدة المنكوبين.

مشيرا إلى حساسية العمل في المجال الإغاثي، فهو يخدم المجتمع المتضرر من النظام السوري، وهنا لا بد من التأكيد على اتسام العمل الإغاثي بصفة «الحيادية» تجاه الضحايا وليس حيادية تجاه مرتكبي الانتهاكات، لذا على المنظمات الإغاثية عدم التشعب والعمل خارج العمل الإغاثي، وكل الكوادر تعمل في ذات الإطار.

الخوذ البيضاء

من جانبه، قال الباحث والأكاديمي عرابي عرابي لـ «القدس العربي» عموماً فإن هذه المنظمات السورية المحلية–على اختلاف توجهاتها ومواليها– سعت منذ اليوم الأول للكارثة إلى تنفيذ برامج إغاثة عاملة، لكنها كذلك تضررت في كثير من الجوانب، سواء من حيث إصابة المستودعات أو فقدان الأرواح أو انقطاع خطوط الإمداد اللوجستية وإدارة البرامج والعمليات والتنسيق مع فروعها ودا‌عميها جنوب تركيا التي تلقت أقوى آثار الزلزال المدمر.

هذا الحال أدى إلى تعطل كبير في آليات العمل الإنسانية المعتمدة، وقد فقدت المنظمات الإنسانية عددًا كبيرًا من طواقمها، في حين أن العدد المتبقي وقع في ظروف طارئة والبحث عن ملجأ له ولعائلته وربما بقوا داخل سياراتهم، ورغم ذلك ظهرت استجابة طارئة من حيث محاولة إغاثة المنكوبين وتقديم الوجبات الغذائية ومحاولة التواصل مع المنظمات العالمية لفتح الحدود وتقديم المساعدات، إلى جانب تنظيم فرق تطوعية للمساهمة في استخراج الأحياء من تحت الأنقاض.

أما الخوذ البيضاء فيمكن القول إنهم من أكثر الفرق عملية وحرفية في التكاتف والعمل في استخراج الناس من تحت الأنقاض، فكانوا هم والمتطوعون سببًا من أسباب الحياة لكثير من الناس الذين وقعوا تحت ركام الأبنية.

بفريق يبلغ تعداده ثلاثة آلاف شخص تعمل الخوذ البيضاء، نصف الفريق تقريبا متخصص بأعمال الإنقاذ، وهو رقم صغير مقابل أربعة ملايين ونصف مليون إنسان يقطنون شمال غربي سوريا، ليست مشكلة النقص في عدد المنقذين هي الوحيدة، إنما أيضا تعاني الخوذ البيضاء من نقص فادح في معدات الإنقاذ ورفع الأنقاض، فحتى اليوم الخامس من وقوع الزلزال لم تدخل أي مساعدات خاصة بإزالة الأنقاض وأعمال الإنقاذ إلى شمال سوريا، يفترض أن تضم آليات حفر ورافعات ومواد أخرى لمساعدة العالقين تحت الأنقاض على البقاء أحياء لأطول مدة ممكنة ريثما يتم الوصول اليهم وانتشالهم بسلام.

ففي الإحصائيات الأخيرة يتبين أن هناك أكثر من 1770 بناء مدمرا في الشمال السوري، إلى جانب ضعف هذا الرقم من الأبنية المتضررة، وهذا يجعل السوريين في الشمال أمام تحدٍّ كبير، مثل النزوح، وتعطل المصالح، وكثرة الإصابات والارتفاع الهائل في عدد الشهداء ما يفرض واقعًا جديدًا إلى جانب الواقع الكارثي الأصلي.

ولا تجرؤ الكثير من العائلات حتى الآن على العودة إلى المنازل المنهارة بشكل جزئي أو المتصدعة، ومن المرجح أن إعادة إعمارها سيحتاج لجهود وأموال كثيرة، ومن ناحية أخرى فيجب حصر الأضرار وإحصاء المتضررين ورسم برامج وسيناريوهات فورية لمساعدة المصابين والمنكوبين.

ورأى عرابي عرابي أن إشكالية تسييس الملف الإنساني وبقائه عرضة للمساومات السياسية التي يعدّ النظام السوري طرفًا فاعلًا فيها، يعتبر تهديدًا للوضع الإنساني الكارثي في مناطق شمالي غرب سوريا، وهو ما سيترتّب عنه تداعيات سلبية خطيرة، متمثلة في إبقاء المنطقة رهينة لمزاجية النظام وعنجهيته، ما يعني زيادة معاناة المهجّرين والنازحين القاطنين في تلك المناطق.

لم تمض ساعات قليلة على الزلزال المدمّر الذي خلّف آلاف الضحايا والجرحى، حتى سارعت بعض الدول العربية إلى استغلال المحنة لمد جسور التواصل مع النظام السوري، متناسية آلاف المكلومين والعالقين تحت الركام والدمار في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام شمال غربي سوريا، والمكتظة بالنازحين والمهجّرين، والتي تعاني أصلًا من أزمة اقتصادية وإنسانية كارثية، وسط ظروف مناخية قاسية وانعدام للاحتياجات الأساسية، فضلًا عن الطبية والإغاثية.

حيث وصل عدد طائرات المساعدات المقدمة للنظام 112 طائرة، وبدأت فرق الجيش وعناصرها تبيع الكثير من هذه المساعدات في الطرقات والتجمعات المدنية.

في حين أن الأمم المتحدة لم تضغط على المانحين لتقديم المساعدات العاجلة، بل سعت لمغازلة نظام الأسد في سبيل أخذ موافقته لإمداد مناطق الشمال من خلال المعابر مع تركيا رغم أنها ليست تحت سيطرته. هذا كله يؤكد لنا سيطرة أجندة موالية لروْى النظام على مسار أعمال الإغاثة ومحاولات التطبيع مع النظام والترويج لكونه طرفا شرعيًا رغم جرائمه ليس إلا أحد الأوجه القبيحة للنظام الدولي. وكانت فاتورة الزلزال باهظة أيضا على السوريين في تركيا، وهو أدى إلى تأثر الملايين بشكل مباشر من خلال فقدان المنازل والانتقال لمدن أخرى، وهذا سيؤثر في حياتهم بصعوبة إيجاد المأوى واستغلال بعض الأطراف لبث خطاب الكراهية والتعامل العنصري معهم بحجة أن الأولوية للأتراك.

وأشار عرابي إلى مخاوف من عودة الخطاب العنصري الذي يحرّض عليه أطراف عديدة من المعارضة التركية، بالإضافة إلى عودة سير العمليات الروتينية الحياتية كالتعليم والطبابة والعمل، وهذا سيؤثر بشكل كبير في حياتهم اليومية نظرًا لغياب الآليات القانونية والتنفيذية التي تساعد على تجاوز هذه الآثار.

إرسال المساعدات عبر الأسد

على الرغم من الظروف الصعبة التي يعيشها السوريون وحاجتهم للمساعدات الإنسانية بعد زلزال سوريا، إلا أن إرسال المساعدات إلى المتضررين عن طريق النظام يُعتبر خطيراً لأسباب كثيرة، ومنها وفق مدير مركز جسور للدراسات:

1. سرقة النظام لأموال المساعدات: لن يدفع النظام الأموال التي ستقدم له لشراء أي مساعدات، فموارده أساساً يضعها في خدمة المعركة التي يخوضها ضد السوريين، وبالتالي فهو غير موثوق لتقوم الدول بتفويضه عبر مؤسساته في العملية الإنسانية

2. سيطرة النظام على الأسواق الداخلية وسوق الصرافة: إن لجوء الدول لشراء المواد من داخل سوريا يعني تقديم الدعم للنظام الذي يسيطر على هذه الأسواق وحيتانها من التجار، فضلاً عن الدعم المباشر الذي سيحصل عليه من تحكمه بسعر صرف الأموال التي ستدخل بها الدول المتبرعة للسوق.

3. تبعية المنظمات المدنية للنظام: إذا أرادت الدول الابتعاد عن مؤسسات النظام والتعامل مع منظمات المجتمع المدني في سوريا فإنها ستواجه حقيقة أن النظام هو الذي صنع هذه المنظمات وجعلها تابعة له، وفي مقدمتها «الأمانة السورية للتنمية» التي تديرها أسماء الأسد.

4. حواجز من اللصوص تتحكم بمناطق النظام: لدى النظام وعناصره سجل حافل بسرقة كل ما يمكن سرقته، فقد سرقوا منازل المهجرين ونشأت أسواق لبيع ممتلكاتهم، وتعمل الحواجز على نهب جزء من أي حمولة تجارية أو إنسانية تمر عبرهم، إضافة إلى خبرتهم في سرقة المساعدات التي توزع في مناطقهم.

5. تدخل أفرع الأمن ومراقبة اللوائح: تؤخذ الموافقة على طلب المنظمات الإنسانية لإدخال المساعدات من حكومة النظام، وتقوم الأفرع الأمنية بمراجعة الأصناف، فتشطب ما يمكن أن يكون حيوياً لصالح هذه المناطق، كالمواد الجراحية، ومعدات الإنقاذ ما يفرغ العملية من محتواها.

6. سلوك النظام في ابتزاز المانحين وابتزاز المحتاجين: يفاوض النظام على عمليات إدخال المساعدات لتحقيق مكاسب، فإما أن يبتز المنظمات الإنسانية مستغلاً حرص ولهفة بعض موظفيها، أو يبتز السكان والجهات في المناطق التي ستدخل لها المساعدات للحصول على مقابل.

7. استغلال العمل الإنساني في خروقات أمنية: ينتقي النظام سائقي الشاحنات ومرافقي القافلة، ويضع فيهم عناصر أمنية ويستخدم القوافل كـأداة تجسس، تمهيداً للقيام بعمليات أمنية قد تودي بحياة المئات، محولاً المهمة الإنسانية إلى وسيلة موت.

8. لوجستيا: عندما يكون الهمّ الرئيس هو مساعدة السكان المحليين في سوريا، فالحلول اللوجستية السهلة هي التي يجب التفكير بها، ويُعد إيصال المساعدات جواً بشكل مباشر إلى هذه المناطق، أو عبر الحدود السورية التركية، هو الحل الأسرع والأقل كلفة.

9. تبعات التقرب من نظام مدان دولياً: اعتماد الأمم المتحدة أو أي جهة لتمرير المساعدات لمتضرري الزلزال في سوريا عن طريقه يعني التعامل لخدمة السوريين مع الجهة ذاتها التي شردتهم سابقاً بالقصف والرصاص والاعتقال، وهذا مثبت دولياً، ولا يتوقع من المجرم أن يساعد الضحية.

10. عرقلة النظام للعمليات الإنسانية: تتطلب موافقة النظام السوري وقتاً طويلاً، وأفرعه الأمنية تجري عمليات تفتيش وتقييم بطيئة ومملة، وهي خطوات يقوم بها النظام عادة في سبيل عرقلة وصول المساعدات للناس، والحفاظ على حالة التربّص والاستنفار من قبل المتضررين وهو ما يريده ويُجيده.

كتب

«الوشم» رواية السورية منهل السراج: تأكيد وعي الذات لوجودها أمام محاولات محقها

المثنى الشيخ عطية

هل يمكن لـذات إنسان أن تعيش ملايين قصص سحق ذات الإنسان واقعاً غير افتراضيٍّ، بمختلف أشكال الانتهاك والتعذيب والتهجير والقتل، ولا تنفجر، وهل يمكن لهذه الذات أن تقي نفسها حتميّة الانفجار من دون أن تصنع واقعاً افتراضياً يزيحها إلى مصحات الغياب النفسي، أو إلى الرواية التي تلتقط شظايا ما يحدث للذات كما حبّات عقد انفرطت بعنف يد لا تعرف الرحمة عن عنق سوفَ يُعتَصب بعد قليل، وتناثرت ذرّات في الكون، لتعيد لظمها بتأنٍّ لا يغيب عنه ألم لحظةَ الفرط؟ وهل يمكن للذات المراقبة أن تتخيّل أن هذا يحدث فعلاً أمامها في مكان تاريخي معروف على الكرة الأرضية أنه اخترع أبجديةَ المعرفة والمساواة للإنسان، ولا تَخرسُ من هول ما يحدث، وتهرب هي الأخرى عن الواقع المرعب إلى واقع افتراضي يقيها عنف الانفراط، أو إلى الرواية؟ وهل يمكن لقارئ الرواية إلا أن يضع يده على قلبه ولا شرط أن تنزل دمعته أو لا تنزل، ويزفر القول بـ: آخ؛ يا سوريا. ماذا يفعل بك العالم، وماذا تفعلين بهذا العالم:

«انهالوا بالضرب على رأسه وعلى خاصرته. كان مثل لعبة من عيدان وخيطان واقعة بين أقدامهم. كنت أفكر كيف أنقذه من هذا الخبط، حين التقتْ المحقق إليّ، واقترب مني بابتسامة فاجرة، صرت أرتجف، ومفاصل ركبتيّ تتقصّفان، كان جسدي لا يحملني، وفوق هذا غاضبة من تعذيب زوجي. شدّ كنزتي وخلعها ثم مزّق بنطالي، ووقعت على الأرض عارية، أمسك بي اثنان والمحقق فوقي. لا أتذكر في غيبوبتي إلا صوت زوجي يعوي، وهم يرفعون وجهه كي يشاهد الاغتصاب. وسمعتُ صوت عنقه وعويله، مات وظلت عينه مفتوحة تشاهدني وتشاهد العار».

رواية «الوشم»، للسورية منهل السرّاج ليست الوحيدة من بين عشرات الروايات التي حاولت ملمة آلاف القصص إلى جانب ملايين الشهادات الظاهرة والمكتومة حول ما حدث ولا يزال يحدث في مسلخ الأسد، أمام سمع وبصر العالم الذي تغريه الفرجة، كما يبدو، لكنّها تتميّز بكشفها الغطاء الذي تُحكم وضعَه البنات والنساء المغتصبات على أرواحهن وأجسادهنّ خزياً، إن لم تُحكم وضعه عوائلهنّ باستحكامات يمكن أن تصل إلى قتلهنّ: «زحفت الملم شيابي وأرتديها أستر بعضاً مني... بضع خطوات وصرت في المنفرجة حرة الطم وجهي فوق لهيبه، وأحاكم نفسي عارية أغتصب أمام زوجي، أب أولادي.. هل حدث هذا؟ لمْ أطق مواجهة نفسي والهول، قررت أن أتوهّم أنه لم يحدث شيء، لم التق أحمد، ولم يحدث شيء. تكوّرتُ على جسدي، وحاولت أن أنام بعد أن أنكرت كل ما حدث».

وليس هذا فقط ما يفعله وشم السراج، الذي يجعل كشف حكايات انتهاك النساء السوريات داخل سجون النظام السوري (إلى جانب كشف مخازي المعتقدات والعادات الاجتماعية الظالمة للنساء)، ترتقي إلى فن الرواية الرفيع المميَّز بمتعة القراءة والتشويق رغم توقّع الأحداث التي يُكررها الواقع في مآسي السوريين بمختلف الاحتمالات. وبالعمق من خلال العرض البسيط لمأساة الإنسان، وبالتعامل الناجح مع الزمن من خلال ثلاثة فواصل في عمر الساردة، رغم سير الزمن بخط واحد في حياة بطلة الرواية، إضافة إلى سحر الرواية الأهم: شبْك الثيمة التي يمثّلها عنوان «الوشم»، كتأكيد عن وجود الذات أمام محاولات محقها، بمحاور الرواية وأهدافها الرئيسية، وسير هذه الثيمة متداخلةً بنجاحٍ في نسج الرواية إلى نهايتها المفتوحة على احتمالات يتوقّع القارئ أن تنتهي إلى ما يرضيه، بسبب وصول شخصية المرأة المنتهكة إلى وعي ذاتها كذات حرة فاعلة في العالم، وشبك هذا الوعي بتجارب السوريين في مسيرة وعي ذاتهم الجمعية التي تدفقت بعفوية غير مدرّكة في نهر مظاهرات الحرية والكرامة.

من جهة الموضوع، تقود السرّاج حياة بطلتها، بتقديم الرواية كـ«أحداث حقيقية تقارب حياة لولا الأغا، التي كان لها تجربة مريرة في سجون النظام السوري». ونعرف عن هذه الحياة، وسرد تطوّر ذاتها على لسانها، أنها فتاة ولدت في مجتمع حلب المتوسط الأقرب إلى الفقر، التقليدي الذي تجذّرت فيه قيم الذكورية إلى درجة خطيرة على أبنائه ويصعب الخلاص منها إلا بالثورة التي تنفجر خارج الرغبات عندما يصل تراكم المظالم إلى أوجه. وهذا ما حدث مع لولا الأغا التي خرجت تهتف للحرية والكرامة في مظاهرات الثورة السورية السلمية، بعد أن عانت طفلةً من ضرب المعلّمة، السائد في المدارس، ومن تحجيم الشخصية داخل العائلة رغم مسارب قيم الرجولة النبيلة التي لا يُستهان بفعلها غير المرئي في مقاومة التحجيم، ومن التزويج طفلةً في الخامسة عشرة، لزوج يكبرها بتسعة أعوام، ويمارس عليها اضطهاد مفاهيم الحماة السيدة والكنة العبدة إلى درجة ضربها إن خالفت، ويقع في شرّ أخيه الكبير الذي يزج بها في معتقلات مخابرات النظام حين ترفض منح ابنتها له كمكتبانة تعوّض عقمه عن الإنجاب، ويزجّ بزوجها معها عندما يقف إلى جانبها، في مأساة السجن والاغتصاب والموت.

في هذه السردية التي تشمل غالبية عوائل حلب المتوسطة، تكسو السرّاج عظامَ حكاية بطلتها بلحم الرواية لتُخرج جسداً حياً تتطور فيه شخصية لولا الأغا، التي يكمن داخلها ما زرعه والدها فيها من أنها «الأغا الصغير» المتمرّد إلى جانب كونها لولا المطيعة التي سميت بلولا: «الملامة يا هوى» في أغنية وردة يخلقو ن من وحوش كانوا بشراً معها. يتفاعل حساس وحقيقي مع مثيلاتها من نساء يعانين ذات المصير. بكفاح مرير عليها، ومُرّ على القارئ الذي يتعاطف ويشتّم ويتمنّى مع بطلة الرواية المغتصبة تمزيق السجانين في الحياة خارج الرواية.

تتطور شخصية لولا، إلى امرأة تداوي جراحها في افتقاد أبنائها، وسرقة عائلة أبيهم لهم منها؛ إلى امرأة تعي ذاتها وواجبها تجاه المعتقلات اللواتي شهدتْ سحقهن وتضامنهنّ مع بعضهن ومعها؛ إلى امرأة تتحول شاهدةً على جرائم نظام بشار الأسد ضد الإنسانية؛ إلى امرأة تخرج من شرنقة اغتصابها إلى أجنحة الحب، في بيئات غير آمنة على المرأة تحت سلطة جيهة النصرة التي تمحو النساء بالسواد، وتحت ذلّ ومقاومة تحرّش الرجال في العمل بتركيا؛ وتتطور في الرواية إلى مثال عن مقاومة النساء السوريات، وصنعهنّ للحياة تحت نار الاغتصاب والتهديد والقتل. وتضيف بطلة السراج إلى ذلك كفاحات الرجال السوريين من أجل الحرية وسلوكهم النبيل، كما حدث مع زوجها الذي مات معتذراً منها أمامها، وابنها الذي وقف معطياً دوره للنساء في سياق صراع البقاء الذي ينسي الإنسان إنسانيته ويُظهر الوحش فيه، حيث: «لم نهتمّ أن نتلقى إشارة التحرك من المهرّب، كنا قد تراكضنا جميعاً فوجاً واحداً، كأننا شاهدنا أبواب الجنة تُفتَح أمامنا، وأنا ورغم الإنهاك الشديد وجروح اليدين، ركضتُ حتى سبقتُ أولادي، وصرتُ مثل بطة تُسرع أمام صغارها لتستحثهم على العبور. قفزتُ الأولى في صندوق السيارة الخان، وسحبت سعداً ونورا ولم أجد محمداً، بحثت عنه بين الهاجعين لأجده يقف للناس بحبٍّ واحترام، ليصعدوا قبله. أيّ أدب في هذا الظرف؟ دعستُ على الناس المتجمّعة فوق بعضها وسحبته من قبة قميصه وأصعدته وهو يتذمر مني خجلاً من ملامسة النسوة».

من جهة الشكل، تضع السرّاج وشمَها في بنية بسيطة تتدفق من دون فصول، وتكتفي بفواصل لا تزيد عن خمسة عشر، بنجمات. فيما عدا عنوان واحد يؤرخ صباح 20 – 10 ـ 2013 فرع المخابرات الجوّية. وتلتزم السرّاج بصيغة واحدة للسّرد تقوم بها بطلة الرواية عن حياتها وتجربة سجنها. مع مفصلة تشويقية بسيطة لزمن السرد نعرف منها أخيراً أنها تسرد من مكان لجوئها في فرنسا، بعد مآسي السجن والهروب واللجوء. كما تلتزم اللغة الفصحى التي تكسرها بقليل من العامية في الحوارات وتورد فيها شتائم السجانين القذرة البذيئة للنساء كما هي.

من جهة الشكل والموضوع معاً تحاول السرّاج كسر واقعية الرواية إلى القليل من السحريّة، بالأحلام التي تتحقق، وبإيراد شخصية سجينة عرّافة تخشاها السجينات، ويقدّرها عليّة سجن عدرا، لجلاء ما ترى، ولتحقق نبوءاتها. وفي كل نسيج الرواية الذي تسوده مشاهد قاسية مرعبة من العدو، وصور مخزيةٌ محبطةٌ للنفس عن الأهل والأصدقاء، والوطن الذي تحول إلى ساحة نهش، يتولّد، على عكس الخوف من مواجهة مصير الخذلان والسجن والاغتصاب والقتل، لدى القارئ غضب تؤجّجه وساخة ودناءة الجرائم، على الديكتاتورية، على التطرف الديني، وعلى مفاسد الإنسان، مع التحدّي لمواجهتها بوعي الذات.

يُشار إلى أن منهل السراج كاتبة وروائية سورية من مواليد حماة، حاصلة على إجازة في الهندسة تعيش في السويد منذ عام 2006. أصدرت قبل «الوشم» مجموعتها القصصية «تخطّي الجسر» 1997، وخمس روايات على التوالي: «كما ينبغي لنهر» 2003، «جورة حوا» 2005، «على صدري» 2007، «عصيّ الدم» 2012، و«صراخ» 2018.

منهل السراج: «الوشم»
دار موزاييك للدراسات والنشر، اسطنبول، 2022
246 صفحة.

لوران ريشار وساندرين ريغو في «بيغاسوس»:

تقنية التجسس على الهواتف سهلت قمع صحافيين وناشطين في حقوق الإنسان في المنطقة والعالم

سمير ناصيف

تتداول الأوساط السياسية والإعلامية العالمية على أعلى المستويات قضية مصير شركة إسرائيلية لتقصي المعلومات السيبرانية من الهواتف المحمولة والكمبيوترات لكبار السياسيين والمسؤولين في القطاع الاقتصادي والمالي في العالم ولعدد من الإعلاميين الناقدين للأنظمة غير الديمقراطية.

اسم الشركة هو «بيغاسوس-إن.إس.أو» ومؤسساها هما الإسرائيليان شاليف هوليو وصديقه الذي تدرب معه في الجيش الإسرائيلي عُمري لافي. وهذه الشركة قدمت في السنوات الأخيرة خدمات استخبارية لوزارة الدفاع الإسرائيلية ولجهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلي «الموساد» وتبعت توجيهاتهما مع أن مالكيها أكدا كونها شركة خاصة تسعى كغيرها لتحقيق الأرباح عبر نشاطاتها التنصتية المتطورة تكنولوجياً التي «تقدمها لدول وشخصيات قيادية تكافح الإرهاب في العالم».

غير أن الصحافي والصحافية الفرنسيين لوران ريشار وساندرين ريغو أصدرا مؤخراً كتاباً بعنوان «بيغاسوس» استندا لجمع المعلومات الواردة فيه على مجهود كبير بُذل في تكنولوجيا المعلومات من «مؤسسة العفو الدولية» وعدد من كبار محرري وخبراء هذه التكنولوجيا في صحف عالمية منها «واشنطن بوست» (الأمريكية) و«الغارديان» (البريطانية) و«لوموند» (الفرنسية) راقبوا نشاطات هذه الشركة ودحضوا ادعاءاتها بأنها شركة تجارية عادية (حسب قول المؤلفين) وأثبتوا بانها اخترقت هواتف محمولة لرؤساء جمهورية من الفرنسي ايمانويل ماكرون وبعض أركان نظامه، ووزراء في دول مختلفة وصحافيين مدافعين عن حقوق الإنسان ومعارضين سياسيين لأنظمة قمعية أو قادة في حقل الاقتصاد والمال.

وتسببت عمليات شركة بيغاسوس (بنظر مؤلفي الكتاب) في اغتيال أو اعتقال عدد من الصحافيين في الشرق الأوسط والعالم العربي وأمريكا اللاتينية (خصوصاً المكسيك) وآسيا وأفريقيا، إذ انه خلافاً لما ادعاه شاليف هوليو في مقابلة أجرتها معه صحيفة إقليمية في عام 2019 فإن زبائن الشركة كانوا في معظمهم من مسؤولين أمنيين وقادة أنظمة يسعون للتخلص من خصومهم ويناسب المشرفين على الأجهزة الأمنية الإسرائيلية التعاون سعياً لتوقيفهم أو اعتقالهم لأهداف سياسية، وان هذه الأجهزة استخدمت تقنية بيغاسوس كسلاح سري لتنفيذ سياساتها الصهيونية ولإرضاء حلفائها ودفعهم للتعاون معها بحجة مكافحة الإرهاب والأعداء الإقليميين في مناطقهم.

ومن اللافت ما ورد في الصفحة (50) عن مقابلة أجراها في عام 2019 الصحافي الإسرائيلي رونين برغمان مع مؤسس الشركة شاليف هوليو حول الدور الذي يمكن ان تكون لعبته مؤسسته في تسهيل عملية اغتيال الصحافي السعودي جمال خاشقجي في تركيا، حيث يقول هوليو إن: «مؤسسة (إن.إس.أو) التي تملك تقنية (بيغاسوس) تدعم الخير في عالم يسوده الشر. في الأشهر الستة الماضية، نجحت مؤسستنا في إفشال عدد من العمليات الإرهابية الضخمة في أوروبا بينها تفجير سيارات مفخخة وعمليات تفجير انتحاري. لقد أنقذنا أرواح الآلاف من الأبرياء، وهذا بفضل العاملين المهرة في شركتنا في هرتسليا». كما يقول هوليو في مقابلة مع الصحافي الألماني كاي بيرمان من صحيفة «دي زيت» الألمانية إن «شركة إن.إس.أو مالكة بيغاسوس لم توفر خدماتها لأي جهة إلا بعد حصولها على إذن من وزارة الدفاع الإسرائيلية، وانها دائماً عرفت هوية زبائنها والجهات التي تُستخدم بيغاسوس ضدها، وكيف وأين تم هذا الاستخدام». (ص106 و107).

وقد ورط هوليو نفسه في هذا القول حسب ما ورد في الكتاب، ثم طلب من الصحافي الألماني لاحقا عدم نشر القسم المتعلق بمعرفة الشركة كيف وأين تُستخدم التقنية المباعة للزبائن، ربما لأن ذلك قد يورط «إن.إس.أو» توريطاً أكبر في عملية مراقبة جمال خاشقجي قبل اغتياله ومراقبة خطيبته خديجة جينكز ومحاميها وعبد الله أحد أبناء جمال بعد اغتياله، ومحاولة اختراق هاتف المسؤول التركي البارز ياسين اقطاي صديق الرئيس رجب طيب اردوغان، والذي كان من المفترض ان يتصل به جمال في حال شعوره بتعرضه للخطر. (ص 199).

وكانت الأجهزة الأمنية التركية أبلغت اقطاي بضرورة القيام باستبدال هاتفه المراقب، فيما سلمت خديجة جينكز هاتفها المحمول لمجموعة الاستقصاء التكنولوجي «سيكيوريتي لاب» المتحالفة والعاملة مع مؤلفي الكتاب ومع منظمة «أمنستي انترناشونال» التي كانت بدورها تحقق في عملية اغتيال خاشقجي.

ويؤكد المؤلفان بان مجموعتهما «فوربدن ستوريز» بدأت صغيرة ثم صارت تضم أكثر من ثمانين باحثاً من صحافيين ومدافعين عن حقوق الإنسان واختصاصيين في تكنولوجيا المعلومات من سائر أنحاء العالم، وهدفها كان الكشف عن عمليات بيغاسوس الملتوية والتي تبين بانها تراقب خمسين ألف هاتف خليوي في العالم، بينها عدد كبير يملكه صحافيون بعضهم تعرضوا للقمع أو للاغتيال أو للسجن التعسفي من جانب زبائن بيغاسوس في الدول القمعية.

وقد انضمت الصحافية البارزة دانا بريست في صحيفة «واشنطن بوست» إلى فريق البحث عن خفايا قضية اغتيال خاشقجي وعن دور بيغاسوس ومراقبتها في تسهيل هذه العملية والتغطية

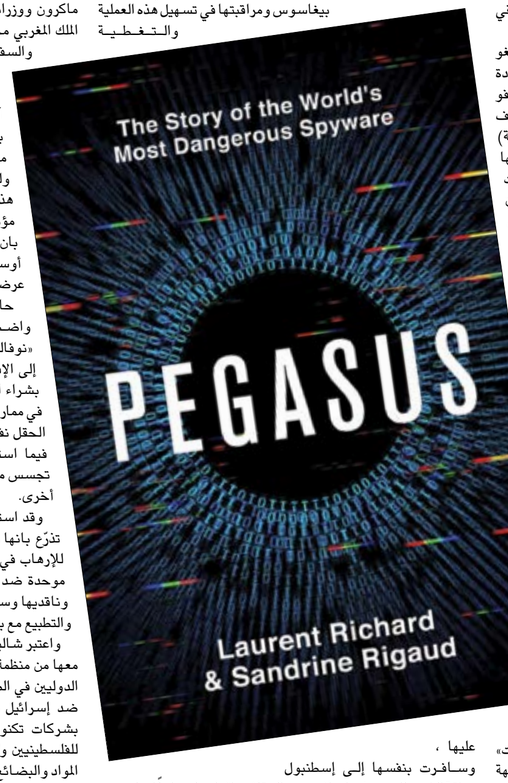

عليها ،

وسافرت بنفسها إلى إسطنبول برفقة الفريق للحصول على المزيد من الوقائع والمعلومات علماً انها كانت قد التقت خاشقجي شخصياً في البحرين عام 2013 وتذكرت انه «كان لبقاً ولطيفاً وحذراً ومحباً لوطنه المملكة العربية السعودية خصوصاً خلال عمله كمستشار إعلامي للسفير السعودي السابق في واشنطن الأمير تركي الفيصل، وانه (بنظر المؤلفين) انتقد، خلال كتابته مقالاته في صفحة الرأي في صحيفة الواشنطن بوست، توجهات النظام السعودي الجديدة في مرحلة دقيقة ما دفع ببعض المسؤولين الأمنيين السعوديين آنذاك لوضعه تحت مراقبة بيغاسوس ورصد ومراقبة تحركاته. وقد أثبتت التحاليل التكنولوجية التشريحية للهواتف المحمولة للمقربين من خاشقجي من أصدقاء وأقارب له وجود مثل هذه المراقبة المتواصلة له على أثر اخضاعها للفحوص بعد الاغتيال» (ص 199).

ويؤكد الكتاب بان بيغاسوس اخترقت أيضاً الهاتف الخليوي للزوجة السابقة الثانية لخاشقجي وهي مضيفة طيران ولدت في مصر واسمها حنان. (ص 200ـ201).

أما بالنسبة إلى اختراق هاتف الرئيس الفرنسي ماكرون، فقد تم عبر زبائن بيغاسوس في المغرب. وقد تشاور فريق العمل المناوئ لبيغاسوس، وبينهم الكاتبان ورفاقهما، حول خيار متابعة تلك القضية إعلامياً، ولكنهم فضلوا الاستمرار في اعتماد السرية والتحفظ لأن فضحها إعلامياً ربما كان سيؤثر سلباً على عملياتهم الأخرى إذ قد تطلب السلطات الفرنسية الكثير من المعلومات وقد تفرض تزويدها بلوائح الأسماء المراقبة التي بحوزتهم، ولكنهم برغم ذلك أبلغوا الأجهزة المختصة في فرنسا بضرورة الاهتمام والنظر في الموضوع، وتبين انه متعلق بملكية المغرب أو غيرها لمنطقة الصحراء الغربية والموقف الفرنسي في هذا الموضوع المعقد. (ص 213).

ويذكر المؤلفان ان الزبون الذي استخدم بيغاسوس لمراقبة الرئيس ماكرون ووزرائه كان في الوقت ذاته يطلب من الشركة مراقبة هواتف الملك المغربي محمد السادس وشخصيات مغربية في الدائرة المحيطة به والسفير الأمريكي في المغرب ووالد زوجة الملك وهواتف قادة أفريقيين آخرين خلال زيارة ماكرون لأفريقيا. (ص214).

ويتطرق الكاتبان إلى زيارة قام بها بنيامين نتنياهو إلى آذربيجان في أيار (مايو) 2021 وقال فيها لمسؤوليها: «ان بلدكم لديه ورقة تعامل مفتوحة من حكومتنا للاستفادة من الصناعة الدفاعية والتقنيات الإسرائيلية ومنتجاتها، وليس سراً أمر وجود تعاون استخباري بين دولتينا في هذا المجال منذ سنوات». (ص 246). وردّ نتنياهو ذلك في مؤتمر صحافي علني في العاصمة باكو. ويُلمح الكاتبان بان نتنياهو قد يكون عرض على المغرب ودول عربية وشرق أوسطية وعالمية أخرى مشاريع تعاون استخباري مشابهة لما عرضه في باكو في ما توفره شركة بيغاسوس.

حالياً، وبعدما انفضحت خلفية بيغاسوس في عام 2019 واضطر أصحابها إلى الإفلاس ثم بيعها لشركة اسمها «نوفالبينا» التي تعرضت بدورها لأزمة مالية خانقة واضطرت إلى الإقفال، قامت بعض الدول الشرق أوسطية ومنها العربية بشراء التقنيات والتعاقد مع الخبراء في «إن.إس.أو» للاستمرار في ممارسة عملياتها، وأسسوا شركات خاصة بهم وهي تعمل في الحقل نفسه ولكن تحت أسماء مختلفة (حسب ما ذكره المؤلفان) فيما استمرت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في ممارسة أعمال تجسس مشابهة لما فعلته سابقاً ولكن تحت غطاء مختلف وعناوين أخرى.

وقد استاء شاليف هوليو من المصير الذي آلت إليه شركته التي تذرّع بانها ما كانت تُقدم خدماتها إلا للدول «الديمقراطية المكافحة للإرهاب في العالم والمنطقة» ولدول تواجه الخطر الإيراني في جبهة موحدة ضد «تجاوزات إيران» بينما كانت الشركة بنظر خصومها وناقديها وسيلة استخبارية لإسرائيل ومطية ذكية لاستقطاب التعاون والتطبيع مع بعض الدول العربية الغنية وسلاحاً سرياً فاعلاً.

واعتبر شاليف ان مجموعة داعمي هذا الكتاب، والمجموعات المتعاونة معها من منظمة العفو الدولية وكبار التقنيين فيها وشلة من الصحافيين الدوليين في الصحف العالمية، قد شاركوا في: «مؤامرة معادية للسامية ضد إسرائيل لكشف تقنياتها الأمنية، وهدفهم كان إلحاق الضرر بشركات تكنولوجيا (السايبر) فيها. وقد فعلوا ذلك بسبب دعمهم للفلسطينيين ولحركة «بي.دي.إس» الفلسطينية التي تدعو إلى مقاطعة المواد والبضائع الإسرائيلية التي هي حركة تؤيدها إعلامياً بعض القنوات التلفزيونية العربية وداعميها، وبينها قناة الجزيرة». (ص295). كما أشار إلى: «وجود ممولين دوليين للحملة التي نُفذت ضد شركته، وبينهم الثري الأوروبي الشرقي الأصل جورج سوروس، الذي يسعى إلى بث الفرقة والفوضى في الشرق الأوسط». (ص 295).

وقال أحد مالكي «إن.إس.أو» السابقين لجهة مقربة من المؤلفين بانه: «تلقى عرضاً من دولة خليجية عربية قيمته مئتا مليون دولار في مقابل استخدام تقنيات شركته لمدة عامين، بعدما أصبح من المتعذر عليها العمل المباشر المرخص به في المنطقة العربية». (ص 301).

Laurent Richard and Sandrine Rigaud: PEGASUS
Macmillan, LOndon 2023
318 pages.

المقال

عبدالباسط سيدا

لا يُلام الذئب في عدوانه/ إن يك الراعي عدو الغنم

«الخوذ البيضاء»: عمل متواصل رغم ضآلة الإمكانيات المتاحة

رحم الله الشاعر عمر أبو ريشة، ابن محافظة حلب، الذي وكأنه كان يستشرف المستقبل بهذا البيت الذي بات حكمة سوداوية في الذاكرة الشعبية السورية تحديدا، والعربية عامةً.

مناسبة هذا الكلام زيارة بشار الأسد إلى حلب بحجة زيارة جرحى الزلزال، ومواساة أهالي الضحايا، إلى أن تبين للناس جميعاً، وبالصوت وبالصورة، أنها كانت مجرد زيارة استعراضية بمعية قادة الميليشيات الإيرانية الغرض منها هو التبجح بأفعاله وصموده المزعوم على مدى 12 سنة من الحرب التي أعلنها على السوريين بدعم ومساندة مباشرين من الروس والإيرانيين.

فالروس زوّدوه بالأسلحة، ثم تدخلوا بقوتهم العسكرية الوحشية عام 2015 التي استهدفت بصورة خاصة المناطق السكنية والمشافي والمدارس والأسواق الشعبية. كما غطوه سياسيا في مجلس الأمن عبر استخدام «حق النقض/ الفيتو» (استخدمت روسيا في الفترة ما بين 2011 إلى 2022 حق النقض 17 مرة، من بينها 10 مرات وقفت إلى جانبها الصين) بهدف تعطيل القرارات التي كانت تدعو إلى عملية انتقال سياسي فعلية في سوريا، وتقديم المساعدات الانسانية للمنكوبين في سوريا.

أما الإيرانيون فقد تدخلوا منذ الأيام الأولى للثورة السورية 2011 بقوات الحرس الثوري وبأذرعهم من الميليشيات المذهبية (حزب الله، الفاطميون، الحيدريون، الزينبيون...) التي جلبوها من لبنان والعراق وأفغانستان وحتى باكستان؛ وكل ذلك ما كان له أن يتم، ويتسبب في تدمير سوريا مجتمعاً وعمراناً لولا ركون الدول المؤثرة في المجتمع الدولي (ونعني بها الغربية تحديداً لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية) إلى موقف التظاهر بالعجز بناء على آليات مجلس الأمن المشلول، وهي آليات اعتمدت من قبل نظام دولي لم يعد موجوداً أصلاً.

فالدول المعنية هنا كان يمكنها أن تتصرف من خلال مجموعة أصدقاء الشعب السوري التي ضمت في وقت من الأوقات أكثر من 100 دولة، وامتلكت من الشرعية ما لم تمتلكه بعد مجموعة الناتو التي أمدت، وتمد أوكرانيا بكل شيء رغم عدم وجود قرار أممي صادر عن الجمعية العامة أو مجلس الأمن في المنظمة الدولية ينص على ذلك.

وبالعودة إلى موضوع الزلزال وزيارة بشار الأسد إلى حلب، نلاحظ أن الآخير ما زال يدعي بأنه صمد أمام المؤامرة الكونية المزعومة التي لو وجدت بالفعل لكان هو وسلطته الآن في خبر كان؛ بل لو لم تتدخل الدول بالطريقة التي فعلت في الوضع السوري لحسمت الأمور لصالح الشعب السوري. ولكن الذي حصل هو أن إرادات الدول قد توافقت بناء على حسابات مختلفة بالإبقاء عليه، الأمر الذي كلف السوريين مقتل نحو مليون إنسان وتهجير أكثر من نصف السكان، فضلا عن تدمير البلد، وتغييب مئات الآلاف، وبروز عشرات المشكلات الاجتماعية والصحية التي ستستمر على مدى عقود قادمة.

واليوم يزور بشار الأسد سوريين يحقد عليهم، بل لم يوفر سلاحا إلا واستخدمه ضدهم، وفتح البلاد أمام الجيوش والميليشيات وشذاذ الآفاق الذين انتهكوا كل الحرمات وارتكبوا أفظع الجرائم، ليحمي نفسه بهم من غضب السوريين وثورتهم على سلطته المستبدة الفاسدة المفسدة.

ولكن الجميع يعلم أن هذا الحاكم بأمر غيره ما كان في استطاعته أن يفعل ما فعله، ويستمر منتظراً التعويم مجدداً بجهود حلفائه، وحسابات القوى الدولية والإقليمية لا سيما إسرائيل التي وجدت فيه الأفضل لمصلحتها، بعد أن جربته، وتأكدت من التزامه بالشروط المتفق عليها مع والده. فقد اكتفى المجتمع الدولي بإدارة الأزمة كما قيل مراراً، ولم يساعد السوريين على الخلاص نهائياً أو حرباً كما ذهب إلى ذلك نيقولاس فان دام في كتابه «تدمير وطن».

وردود الأفعال الدولية التي تابعناها في الأسبوع الأول من الزلزال التي تعرضت له مناطق واسعة في جنوب وجنوب شرق تركيا، ومناطق كثيرة في سوريا، خاصة في الشمال الغربي، وهي مناطق كانت تعاني أصلاً من الهشاشة بفعل ظروف الحرب التي فرضتها سلطة بشار الأسد على السوريين؛ أكدت مجددا استمرارية السلبية الدولية ذاتها في التعامل مع الشأن السوري، خاصة من جانب هيئة الأمم المتحدة، والمنظمات التابعة لها، التي تذرّعت بالآليات البيروقراطية، ولم تعمل على تأمين المعدات المطلوبة لرفع الانقاض وإنقاذ الناس في الوقت المناسب، الأمر الذي أدى إلى موت الآلاف من الذين كان يمكن إنقاذهم. كما تقاعست الجهات المعنية عن تقديم الاحتياجات المطلوبة للناجين. هذا في حين أن السوريين رغم ظروفهم الصعبة، لم يقصروا في مساعدة بعضهم بعضاً، ولكن هناك أمور لا يمتلكونها، ولا يستطيعون تأمينها كآليات ومعدات رفع الانقاض ومعدات البحث عن الناجين، والدواء والخيام والألبسة ومستلزمات التدفئة وغير ذلك من الاحتياجات الضرورية. وهنا لا بد من توجيه الشكر إلى الدول والجهات التي قدمت المساعدات إلى السوريين في مختلف المناطق، سواء تلك الخاضعة لسيطرة السلطة أم المعارضة، فهم جميعا سوريون يستحقون المساعدة طالما هم في حاجة إليها.

وكان من اللافت أن سلطة بشار الأسد قد تلقت الزلزال فرصة تحاول من خلالها فك العزلة عن نفسها، والسعي من أجل رفع العقوبات الدولية المفروضة عليها، أو تجميدها على الأقل. ويشار هنا إلى أن هذه الجهود كانت قد بدأت قبل الزلزال بحملة علاقات عامة استخدمت فيها السلطة المعنية بعض المرتبطين بها، كما استفادت من جهود دول عربية تسعى بشتى السبل إلى التطبيع معها، وحجتها في ذلك أنها سلطة أمر واقع لا بد من التعامل معها، من دون إعطاء اي اعتبار لمسؤولية هذه السلطة بصورة مباشرة عن مآسي السوريين التي كانت، وتلك التي ستكون في حال استمراريتها.

والمناسبة هنا تلزم بالتوقف عند الأداء الهزيل لواجهات المعارضة الرسمية بأسمائها المختلفة، التي لم تتمكن من مواكبة الحدث المأسوي الكبير اعلاميا ولا دبلوماسياً، ولا حتى شعبياً إذ غابت عن الناس في الميدان؛ وذلك على عكس العاملين والمتطوعين في فرق الدفاع المدني (أصحاب الخوذ البيضاء) الذين قرروا منذ اللحظة الأولى أن يعملوا رغم ضآلة الإمكانيات المتاحة قياساً إلى جسامة المطلوب؛ وتمكنوا بآلياتهم المحدودة العدد، وأدواتهم البسيطة، وأياديهم العارية. وبهذه المناسبة أيضاً، لا بد من تقدير المساعدات العاجلة التي وصلت من بعض الدول العربية خاصة الخليجية منها ومن إقليم كردستان العراق.

وربما كان من غير الواقعي هنا، أن نقارن بين التعامل الذي كان مع نتائج الزلزال وارتداداته الكارثية في كل من سوريا وتركيا.

ففي تركيا توجد دولة وحكومة فاعلة. كما أن إمكانيات البلد ووجود المؤسسات المختصة بالكوارث، والخبرات المتراكمة في ميدان التعامل مع الزلازل، إلى جانب التضامن الدولي الواسع؛ كل ذلك ساعد، ويساعد في التخفيف من حدة المأساة رغم هولها، فالزلزال ضرب عشر ولايات تركية واسعة مأهولة، وتسبب في تدمير مدن بصورة شبه كاملة.

أما في سوريا فالوضع كارثي بكل ما تعنيه الكلمة من أبعاد ودلالات. فسلطة بشار الأسد لا تسيطر في الواقع العملي على الأوضاع، بل هي تتصلت من كل مهامها على صعيد ضرورة تأمين الحاجات الأساسية للناس في المناطق الخاضعة شكليا لسيطرتها، لكنها عملياً تحت هيمنة الروس والإيرانيين الذين ألحقوا بالمجتمع والعمران السوريين، وبالاشتراك مع السلطة الأسدية، من الأضرار ما لا يمكن لأي زلزال مهما بلغت شدته وفق مقياس ريختر أن يفعله. وكل ذلك في سبيل الإبقاء على سلطة بشار الأسد لتكون مفتاحهم إلى شرقي المتوسط.

ولكن مع ذلك كله، كان العالم في طريقه إلى نسيان المحنة السورية بعد أن تجاهلها وتناسها في السنوات الأخيرة، خاصة بعد الحرب الروسية على أوكرانيا. إلا أن زلزال الطبيعة ذكّرهم مجددا بالزلازل الأسدية المستمرة في سوريا منذ عام 2011، وهي الزلازل التي اكتفى المجتمع الدولي بمعالجة نتائج ارتداداتها الثانوية، وغض النظر عن أسبابها الجوهرية. فمناطق الشمال السوري سواء في الغرب أم في الشرق تعاني أصلا من شبه انعدام في الخدمات الأساسية (الماء والكهرباء، ومن انهيارات في أنظمة التعليم والصحة)، كما يعيش الناس أزمة اقتصادية خانقة في واقع الرواتب الخلبية نتيجة السقوط الحر لقيمة الليرة السورية، والارتفاع الأسطوري في الأسعار.

ومرة أخرى نعود إلى ما كتبه الشاعر السوري الراحل أبو ريشة في القصيدة ذاتها قبل نحو ستة عقود: «أمتي كم صنم مجّدته/ لم يكن يحمل طهر الصنم». فالتماثيل في مختلف أنحاء العالم تقام تقديراً وتخليداً لذكرى أولئك الذين قدموا لمجتمعاتهم، أو للإنسانية من الإنجازات المفيدة التي تستحق التقدير والاعتراف بالفضل، أو يجسّدون قيماً إنسانية وجمالية. أما التماثيل التي تقام في بلداننا، وسوريا في مقدمتها، فهي أصنام بائسة يتاجر بها الانتهازيون، وينبهر بها البسطاء، فتكون الشعوب والأوطان قرابين على مذبح ملذات الحاكم ونزواته.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

أمير تاج السر

ذكريات وأحلام

منذ أيام التقيت مصادفة في المستشفى بواحد من سكان مدينة طوكر في أقصى شرق السودان، تلك المدينة التي سميتها البلدة البعيدة، حيث عملت هناك فترة أشبه بالنفي، والتقطت كثيرا من الشخصيات والحكايات والأساطير، التي وظفتها في ما بعد في كتابتي، خاصة في «سيرة الوجع»، وهي حكايات متنوعة عن شخصيات، عاشت في البلدة البعيدة.

كان بي شغف لمعرفة أخبار البلدة، ومصائر الشخصيات التي عرفتها هناك وانتقلت إلى النصوص في ما بعد، وكان صادما أن كل من سألت عنه من أولئك الميزين، إما مات قديما أو حديثا، لا تتعثر، وصوت قوي وصارم، يبث في الحديث.

لقد كان إدريس طالبا في المرحلة الإعدادية، وجاء له أحد أقاربه من السعودية بكتب عن الطب، فيها إشارات لبعض الأمراض، وكيفية الوقاية منها، كان يستخدمها في محاولته أن يكون طبيبا بالمعنى الذي يظنه عن الطب.

كان إدريس بطبيعة الحال يزورني في المستشفى الصغير الذي أعمل فيه وحدي، ومنذ أول يوم أخبرني بأنه أحق من قرأتها بتمعن ولم يخطر ببالي حتى بعد أن عرفت مصائر شخوصها على الواقع، أنهم بالفعل رحلوا، كانوا موجودين بكل أصواتهم وابتساماتهم، ومآسيهم أيضا، والذين ماتوا وعاصرت موتهم بالفعل، أثناء وجودي هناك، وكتبت عن ذلك الموت، ما تزال أيضا آخر ملامح لهم موجودة في ذاكرتي وذاكرة النصوص التي كتبت عنهم.

أتذكر إدريس الصغير، الدكتور كما كان يسمي نفسه، ويحاول في حياته وسلوكه العام في البلدة أن يبدو طبيبا بحسب مفهومه للسلوك الطبي، حيث لا بد من وجه جامد لا يأبه بالضحك، ومشية رزينة ولا تتعثر، وصوت قوي وصارم، يبث في الحديث.

لقد كان إدريس طالبا في المرحلة الإعدادية، وجاء له أحد أقاربه من السعودية بكتب عن الطب، فيها إشارات لبعض الأمراض، وكيفية الوقاية منها، كان يستخدمها في محاولته أن يكون طبيبا بالمعنى الذي يظنه عن الطب.

كان إدريس بطبيعة الحال يزورني في المستشفى الصغير الذي أعمل فيه وحدي، ومنذ أول يوم أخبرني بأنه أحق من الغرباء بالعمل في المستشفى، وسيكبر ويدرس في العاصمة ويعود ليعمل هنا، كان يتحدث بثقة، وتبدو ابتسامات والده الذي يرافقه دائما، سخية وداعمة لمشروعه المستقبلي. وشخصيا اعتبرته من الحالمين الذين لا يكتفون بالأحلام وحدها ولكن قطعا يسعون إلى تحقيقها، بشتى السبل ولطالما عاصرت في حياتي عشرات الحالمين الذين يكتبون أحلامهم في الأذهان فقط، ولا يسعون لتفعيل أي حلم على الواقع، إما لأنهم لا يستطيعون وإما لأن الأحلام بعيدة تماما عن إمكانية التحقق.

مثلا أولئك الحكاؤون الذين أتحدث عنهم دائما، والذين يتسيدون المجالس ليحكوا أسفارا ومغامرات لن تحدث قط، يلمون جزيئياتها من سماعهم للإذاعة، في الليالي الجافة، وتركيزهم على الأخبار البعيدة، والمسلسلات التي يقوم ببطولتها نجوم معروفون، وغالبا توجد نساء جميلات، وملكات وأميرات، وقفوا على أبوابهن واستقبلوا بالزغاريد. في حكيهم.

وبالرغم من أن جلساء الحكي، يعرفون تماما منزلة الحكاء في قريته، وإنه مجرد رجل أمي لا حول له ولا قوة، وغالبا يكون موجودا في القرية منذ ولد، ولم يغادرها قط، إلا أن لذة الحكايات تشدهم، وتبقيهم ملتصقين بالجلسة، ومؤمنين على كل ما يقال فيها.

قلت إن إدريس الصغير كان يحلم، ويلتزم الصرامة في حلمه، وأراد مني تعليمه كيف يحقن المرضى، ومرات عدة اختطف سماعتي الطبية ووضعها على قلبه أو قلب والده، وهز رأسه بثقة، أنه تعرف على مرض ما.

الذي حدث أن الدكتور لم يصبح طبيبا، لأن للقدر كتابة أخرى، كانت موجودة سلفا، وحان وقت ظهورها.

كنا في الليل حين جاءني المرض المناوب في السكن الملاصق للمستشفى، يخبرني بوجود مريض في حالة سيئة، لديه استفراغ حاد وآلام في البطن، ولا يستطيع الوقوف، أسرعت إليه من دون أن أفكر في شيء، وكانت مفاجأة لي أنه الولد طبيب المستقبل. قال والده أنه تناول أكلا عاديا مع العائلة، ولم يحدث لأحد غيره شيء، سألته عن آلامه، فلم يستطع الرد، وبدا لي تائها بعيدا في عالم آخر. ولأنه ولد صغير، كان لا بد من فحص سكر دمه، وتلك الأيام لم يكن ثمة أجهزة سريعة تقيس السكر وقتيا، لذلك كان لا بد من حضور فني المختبر الذي جاء من أحد أطراف البلدة، وكان ما توقعته، سكر في أقصى حالات ارتفاعه.

عملنا حتى الفجر في محاولة إنقاذ الدكتور، وجهزنا سيارة لنقله إلى مدينة بورتسودان حيث العلاج أكثر فعالية، لكنه رحل.

تلك السيرة التي أعدت قراءتها، أحزنتني كثيرا، ليس لأن أحد المرضى الذين عرفتهم في حياتي رحل، فالمرضى وغير المرضى يرحلون باستمرار، والحياة ماضية إن رحل أو بقي أحد، ولكن لأن رحيل إدريس وهو في الخامسة عشر من عمره كان رحيل حلم مستقبلي كبير، ونادرا ما تعثر على حلم بهذه الضخامة يولد في بلدة بدائية قاحلة من أشياء كثيرة، أهمها الرغبة في الحفاظ على حياة الناس.

يقيني أن الكتابة عن زمن ما، في حياة الكاتب، تعيد كثيرين رحلوا إلى الحياة، سيتعرف إليهم من يقرأون سيرهم بوصفهم أحياء موجودين، وهكذا تمنح الكتابة خلودا.

كاتب من السودان

فرنسا: تظاهرات تطالب بإصلاح نظام التقاعد

اختتمت الجمعية الوطنية الفرنسية منتصف ليل الجمعة السبت من دون تصويت وفي حالة من الفوضى، مناقشاتها في قراءة أولى لمشروع إصلاح نظام التقاعد الذي تعارضه النقابات والمعارضة وانتقل إلى مجلس الشيوخ لمواصلة دراسته.

وبعد انتهاء المناقشات، رفض عدد كبير من النواب اقتراحا بحجب الثقة قدمه حزب التجمع الوطني اليميني القومي.

وتعترض المعارضة اليسارية واليمينية على حد سواء على هذا المشروع الكبير في الولاية الرئاسية الثانية لإيمانويل ماكرون. وقد أدى إلى خمسة أيام من الإضرابات والمظاهرات في جميع أنحاء فرنسا.

ويسبب المشروع خلافات أيضا داخل الأغلبية الرئاسية التي تحتاج إلى دعم برلمانيي «الجمهوريين» (يمين) لتمرير النص.

أداب وفنون

حين تتشابك الحكايا

عبد الواحد لؤلؤة

هذا عنوان واحدة من ثمانية أعمال أو أكثر للروائية الصاعدة سلوى جرّاح، الفلسطينية–العراقية، وما تزال، على الرغم من إقامتها وعملها في لندن لحوالي ثلاثة عقود. والرواية مجموعة صوَر وأحداث عن فلسطين، وهو موضوعها الرئيسي. والرواية هي في الأساس حكاية، ولكنها هنا مجموعة حكايات تقوم على الذاكرة والتجربة الشخصية لدى الروائية وشخصياتها. وتشابك الحكايات في هذه الرواية هو تشابك شفيف نرى من خلاله صورة فلسطين الكبرى في ماضيها الإنساني الهادئ وفي حاضرها المتشابك الصور.

وفي الرواية في أغلب اللغات نجد حَبكة واحدة وشخصية رئيسة واحدة. ولكننا في هذه الرواية نجد حَبكتين اثنتين وشخصيتين رئيستين اثنتين. والتداخل بين الشخصيتين، مثل التداخل بين الحبكتين، يؤدي إلى تشابك الحكايا. وهذا مما يزيد الرواية غنى، ويجعل من الضروري إعادة قراءة مقاطع منها بين حين وآخر، لكي يخفّ التشابك قليلا مما يخدم اتضاح الصورة ويشجع على الاستمرار في القراءة.

الشخصيتان هما عبد الواحد (الذي من كفلا تولكرم) فلاح ابن فلاح، وزوجته لاحقا منى؛ والثاني هو غريب عطا الله وزوجته لاحقاً سهام. والجميع إما قد وُلد في مخيَّم أو أنه قد وُلد في الشتات. ولكن الصدفة وحدها تَجمع بين الفلسطيني والفلسطينية فتغدو علاقاتهم وأحاديثهم مما يشكل أمام القارئ صورة شاملة لفلسطين الأمس، إلى جانب فلسطين اليوم، صورة متشظية، لكن أحاديث الجميع وأفعالهم تجعل فلسطين حيّة في الزمان خارج الزمان.

يبدأ التشابك بين الشخصيات والحكايات من بداية الرواية. ويظهر أن السبب في ذلك هو الصدفة التي يبدو أنها لا تحب أن تأتي إلاّ للفلسطينيين في الشتات. فالشخصية الأولى في الرواية غريب عطا الله ولد في مخيم جباليا في غزة بعد أن هُجِّر أهله من يافا. وسهام زوجته القبلة وُلدت في بيروت بعدما هُجِّر أهلها من عكا. وكيف اجتمع هذان الغريبان إلاّ بصُدفة أغرب! كانت سهام تتصفّح كتاباً في مكتبة أعلنت عن تنزيلات في أسعار الكتب، فلاحظها غريب وعلّق على الكتاب بما يدلّ على معرفة واسعة أثارت اهتمام سهام، ثم التقيا بصدفة أخرى في حديقة صغيرة بلندن حيث جاءت سهام لتتأمّل جدارية كبيرة أقيمت في الحديقة، وجلست على طرف مصطبة تتناول شطيرة جلبتها معها للغداء. وجاء غريب يحمل شطيرته وجلس على الطرف الآخر من المصطبة يقضم شطيرته. وهنا بدأت محادثة عابرة، يمكن أن تحدث بين أي غريبَين جالسَين على مصطبة في حديقة عامة. ولكن هذه الجلسة تطوّرت من «نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ» انتهى إلى لقاءٍ وزواج. ما أجمل الصُدَف! هل تحدث هذه إلا لغريبَين كافح كلٌ منهما بطريقته الخاصة ليرتفع فوق مستوى التشرّد والضياع!

ويبدأ التشابك الثاني بحكاية عبد الواحد وزوجته لاحقا منى المرضة في أحد مستشفيات عمان. كان عبد الواحد الفلاّح قد استطاع بمساعدة والده الذي باع أرضاً لهم أن يذهب إلى القاهرة لدراسة الهندسة الزراعية واستطاع بعدها أن يتخصص في جامعة آيوا الأمريكية بعد أن وجد عملاً في الكويت استطاع أن يجمع منه بعض المال ما ساعده للدراسة، التي عرضت عليه العمل في الهيئة التدريسية بعد تخرّجه بتفوّق. ولكن الفلاّح الفلسطيني أصرّ على العودة إلى «تول كرم» ليعمل في استصلاح أرض زراعية كانت لهم. لكن الاحتلال الإسرائيلي رفض، لأن الأرض كان فيها نبع ماء عذب، وهي قريبة من مستوطنة إسرائيلية قيد التوسّع. وحاول الفلاح الفلسطيني جهده مع قوّات الاحتلال التي أجابت باعتقاله وسجنه، وبعد ستة أشهر أُطلق سراحه، على شرط أن يغادر الضفة الغربية، فذهب إلى عمان القريبة، وحصل على وظيفة في مجال عمله وطلبت منه الشركة إجراء فحص دم، وهذا ما دفعه إلى مستشفى الخالدي حيث قامت الممرضة منى عثمان بإجراء المطلوب ولكن فعلت «الكيمياء» فعلها في تلك اللحظات القصيرة، وتقدم إلى خُطبتها من أهلها و«حصل خير». هذا مثال من الصُدَف العجيبة في حياة الفلسطيني في الشتات، لكنها لم تكسر إرادة الحياة عنده على الرغم من المخاطر غير المتوقعة في ظروف تبدو طبيعية.

ويستمر التشابك في هذه الرواية على مستويات شتى، منها أحاديث الشخصيات، ومنها تنوّع المناظر في فلسطين، ومنها استعراض المدن وتاريخها، وعلاقة بعض الشخصيات ببعض تلك المدن، وأغلبها ذكريات حنين. ويتّضح هذا في وصف سفرة «الفرسان الأربعة» عبد الواحد ومنى وغريب وسهام، إلى فلسطين التاريخية مما يجعل الفصول الأخيرة في الرواية أشبه بدليل سياحي، أو فيلم وثائقي تستمتع بمتابعته وأنت مستريح على «كنبة» مثل التي اشتراها العاشقان في أول تعارفهما من محل أثاث في لندن. والرواية لا تخلو من أحداث مثيرة، مثل وفاة العريس قبل لحظات من اجتماعه بالعروس، وذلك في حادث تصادم بين سيارته المسرعة وبين عمود النور في الشارع، يؤدي إلى وفاته. ومثل تلك الحادثة التي أدّت إلى توتّر عدد من شخصيات الرواية، بسبب تعرّض العريس غريب عطا الله إلى حالة غيبوبة بعد حادثة بسيطة إذ زلقت رجله وسقط على الأرض فنقل إلى المستشفى، وبقي فترة، والجميع في توتّر شديد وخاصة العروس سهام. ولكن هذه الحادثة المؤسفة لم تؤدِّ إلى مأساة بل انقلبت إلى مفاجأة درامية بشفاء غريب من الغيبوبة لتنتهي الرواية نهاية غير محزنة، كما كان الجميع يخشى، بل انتهت إلى نهاية مفرحة، لتضيف إلى المفآجات في هذه الرواية.

وجود هذه الشخصيات الأربع على امتداد الرواية يُمثل التئام الشتات الفلسطيني باجتماع هذه الشخصيات بمصادفات عجيبة، ونجدهم يتصرّفون كأنهم واحدٌ متماسك على مبدأ «وكل غريب للغريب نسيبٌ». حُب الوطن الفلسطيني يجمع هؤلاء الأربعةَ فيقررون الذهاب إلى فلسطين التاريخية لزيارة من بقي من الأهل. ولم يكن ذلك سهلاً إذ أنهم في مداخل الوطن المُحتل كانوا يخضعون إلى أسئلة من موظفي حدود وجوازات غرباء عن الوطن أساساً، جاءوا من أصقاع مختلفة من شرق أوروبا في الغالب، ولكن ما مُنحوا من جنسية إسرائيلية أعطتهم الحق في السماح لهؤلاء الفلسطينيين أهل الأرض الأصليين، أن يدخلوا إلى بلادهم، أو لا يدخلون. لكن دخولهم بعد المصاعب وطوافهم بالمدن والبلدات الفلسطينية حرّك فيهم رغبةً أن يعاودوا الدخول، ولكن إلى غزة هذه المرة «متأمّلين خيراً بالدولة الفلسطينية المنتظرة» ونواتها في غزة كما كانوا يتأمّلون.

ما يزال الفلسطيني في الشتات يحنّ إلى العودة إلى فلسطين ليقدّم خبرته من حياته في البلاد الأجنبية لتكون في خدمة بلده فلسطين. بهذا الأمل عاود «الفرسان الأربعة» الدخول إلى غزة لعرض خدماتهم للدولة الفلسطينية المنتظرة. ولكن سرعان ما خابت آمالهم إذ وجدوا أن «كل شيء في غزه يتم بالعلاقات الشخصية مع أصحاب السلطة من وزراء ومدراء ومسؤولين، كلّهم جَمعوا حولهم من يأتمرون بأوامرهم، كلّهم نفعيّون، كلهم لا يحبّون النقد، ثم إن الخبرات القادمة من العالم الخارجي لا تفهم الواقع الفلسطيني، غير قادرة على التعامل مع طبيعة الحياة الفلسطينية الجديدة، المُضحك في الأمر هو أن معظم من كانوا يروّجون لتلك الأفكار لم يعيشوا في غزة من قبل ولا يعرفون شيئاً عنها، لذلك لم يعن شيئاً تقرير عبد الواحد ولا دراسة غريب ولا خبرة مُنى وسهام الطويلة». فرجع «الفرسان الأربعة» إلى بلاد الغربة، ليعيشوا على ذكريات بلد ضاع، ولا أمل أن يستعيده أصحاب سلطةٍ ممن عرفوا في هذه الزيارة الحزينة الأخيرة.

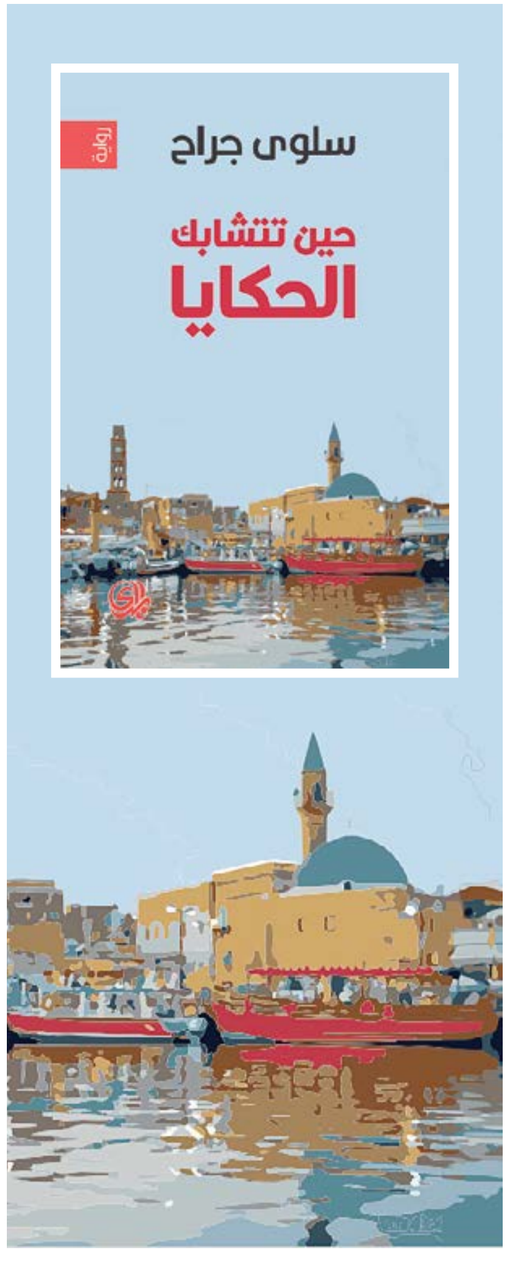

الفنان التشكيلي الفلسطيني مأمون الشايب وحكاية ريشة تحن إلى الوطن

سامان فخري

على شارع ريجينس جاتان في مدينة لاندسكرونا جنوب مملكة السويد، ينشغل الفنان التشكيلي الفلسطيني مأمون الشايب في مرسمه الذي يعرض فيه جل لوحاته الفنية أمام المارين من السويديين وأبناء الجاليات المهاجرة. فيما يسقط بفرشاته زخات ألوان جديدة على إحدى لوحاته التي لم تكتمل بعد وهي جاثية أمام مقعده الذي يواجه الواقفين أمام مشغله يحدقون في لوحاته التي نادرا ما تخلو واحدة منها من تفاصيل فلسطينية متنوعة.

مأمون الشايب ينحدر من طيرة حيفا بفلسطين، وصل إلى السويد منذ عام 2013 مهاجرا إليها من مخيم اليرموك بدمشق التي ولد فيها عام 1960. أكمل دراسته الجامعية بكلية الفنون الجميلة قسم التصويرالزيتي عام 1984 وعمل استاذا للفنون في مدارس الأونروا هناك لخمسة وعشرين عاما.

وخلال خمسة أعوام من هجرته إلى السويد نجح الشايب في افتتاح العديد من معارضه الشخصية في عموم المدن وحصد الكثير من الجوائز أيضا. يقول الشايب لـ«القدس العربي»: ان تكون فلسطينياً فانت صاحب قضية عادلة، وان تكون فناناً فانت صاحب قضية إنسانية ورسالة تجمع بها بين حقوق الإنسان والطفل والمرأة في العالم، فأنا اؤمن بأن الفن بجماله وروعته يجب ان يكون هدفه سامياً وكبيراً.

وقد يزيد الاغتراب من الحنين والشوق للطفولة والأهل والرفاق، فهنا في السويد وفي كل صباح أقصد مرسمي الخاص أباشر فيه عملي بفنجان قهوة عربية، أمسك عودي أدندن به لحنا شرقيا، ثم أفتح كراسة الوانى أبحث عن تفاصيل هم شعبي المدفون في أعماقي. أمسك ريشتي لأخط الوانى الأولى على تلك المساحة البيضاء، فتنتعش ذاكرتي بأحلام الطفولة الراكدة داخلي للعودة يوما إلى وطني فلسطين.

ويضيف الشايب عن تجربته في عملية الاندماج مع المجتمع السويدي وتأثير الفن على إيصال هموم قضيته فيقول «في السويد التقي بالكثير من الأصدقاء السويديين من المثقفين، أحاورهم عن مكنوناتي وهواجسي في خطوطي والوانى، هم لديهم قناعات زرعتها فيهم آلة الإعلام الغربية، لذا كانت مهمتي صعبة جدا في إبراز حق شعبنا في العودة وتقرير المصير. عندما وصلت إلى السويد بدأت بارتياد المتاحف والمعارض الفنية للتعرف عن كثب على الثقافة الجديدة، عندها أدركت ضرورة التطوير، كان لدي هدفان في السويد، الأول الوصول من خلال أعمالي الفنية إلى المجتمع لكسب التضامن وتأييد أكبر للشعب الفلسطيني، والثاني ان هناك جيلا فلسطينيا يولد في السويد بحاجة إلى الانتماء، والذي يعيش هنا يعرف ان هذا الجيل الجديد يحيد بشكل كبير من خلال مغريات الحياة الأوروبية وإغراقه في دهاليز الرأسمالية وما تدعيه من حضارة، لذلك اخترت ان أتجول في المدن السويدية والأوروبية من أجل عرض أعمالي بهدف المساهمة في خلق ظروف تساعد على دعم القضية الفلسطينية.

البحث عن الكمال

وفي سياق تشخصيه لخصوصيته الفنية ومدرسته التشكيلية يقول الشايب «ليس أمرا سهلاً ان يختار الفنان الغوص في المدرسة الواقعية، لان الواقعية هي تحد كبير. هي البحث الدائم عن الكمال وتجسيد الحالة الإنسانية، اتجرأ في المدرسة الواقعية مع اللمسات الانطباعية والمحاكاة التعبيرية كي أعطي مساحة كبيرة للتجول في عالم التعبير من خلال اللون والاحساس بالفرح والتفاؤل، وعندما يكون لديك هدف وقضية تدافع عنها، فإن هذا التداخل في تلك المدارس يسمح لك بالوصول إلى أعلى مراتب التعبير الفني».

ويضيف «الفنان المحظوظ هو من يكون له هدف سامي كبير يسعى إليه، وان على الفنان ان يكون سياسيا لطيفا يصل إلى المشاهد ويقنعه بعدالة قضيته لاسيما ان تكون فنانا فلسطينيا تشكيليا فإن عليك ان تبرز عدالة القضية الفلسطينية، فالمواضيع والأفكار كثيرة ولن تحتاج إلى جهد كبير للوصول إلى الفكرة في اللوحة، لدينا من المعاناة والنضال ما يملأ الأرميتاج باللوحات».

وفي مجال مواكبة التطور الحاصل في أساليب الفن التشكيلي ومدارسه في العالم يقول مأمون الشايب «أنا أبحث، أفكر، أتطور، أدرس الأعمال والتكنيك لدى الفنانين العالمين، ودائما لدي هدف في كل لوحة جديدة أرسمها أقول على هذه اللوحة ان تكون أفضل عمل فني لي، وربما يؤمن البعض بمقولة ان الفنان يدخل إلى مرسمه ويغلق عليه بابه ثم يبدع، هذه المقولة في اعتقادي أبعد ما تكون عن الحقيقة، لان على الفنان ان يتابع كل ما يتعرض له شعبه من تنكيل وقمع حريات وحصار وقتل واعتقالات وهموم وهدم بيوت وتمييز عنصري، لابد من وجود أصوات تدافع عن القضايا العادلة، وإذا أردت ان يسمعك أحد فإن عليك ان تفتعل ضجيجاً كي يلتفتوا اليك، واجب كل فنان وأديب وباحث ان يصنع ضجة ما، وغالبا ما نبحث عن ذلك في منصات التواصل الاجتماعي وهو منبر علينا ان نستغله من أجل ابراز عدالة قضيتنا وحقوق شعبنا، ويجب ان لا نغفل بان علينا ايصال رسالتين أولهما للمجتمعات العربية التي تعيش ضمن المجتمعات الأوروبية مفادها ان عليها واجب ايصال قضيتها بالشكل الصحيح، والرسالة الثانية هي للمجتمعات الغربية نفسها لتصحيح الصور المغلوطة عنا وتوعية الرأي العام بحقائق الأحداث والوقائع عن طريق الفن الذي بحوزتنا. فالذين وصلوا إلى هنا قبلنا عملوا واجتهدوا وقدموا وحققوا نتائج كبيرة وأهمها اعتراف السويد بدولة فلسطين، هذه النتيجة لم نصل إليها ببساطة وانما بجهود كبيرة، فمهمة الفنان الفلسطيني في أوروبا يمكن ان تكون بأسلوب السهل الصعب، أي من السهل ان تقدم فناً في هذه المجتمعات ولن يمنعك أحد، ولكنك في نفس الوقت تواجه صعوبة كونك لا تمتلك قاعدة شعبية تساعدك على الصعود والنهوض كفنان تشكيلي، فالمجتمعات العربية في هذه الدول غالبا ما تنظر للأمر كأنه زخرفة تراثية ليس أكثر، بينما الفن التشكيلي هو حالة إبداعية تصل بسرعة البرق إلى المتلقي، يكفي ان ينظر مرة واحدة إلى اللوحة لكي يصل إلى نتيجة يتمناها الفنان.

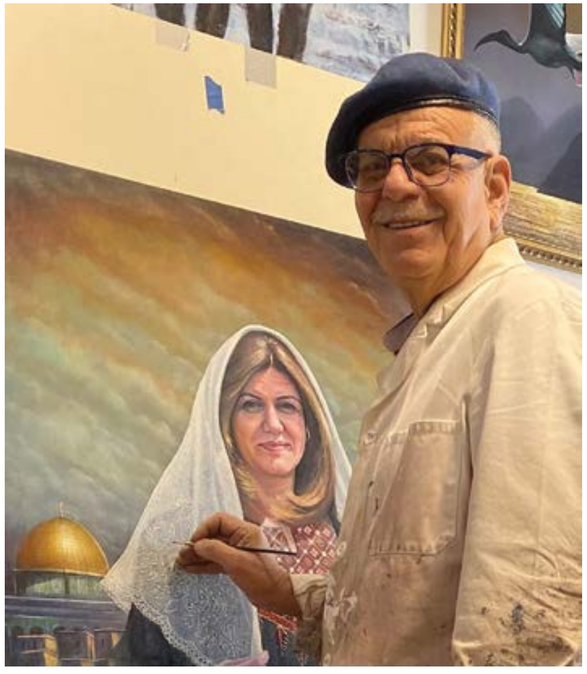

شيرين أبو عاقلة ومحمود درويش

لا شك ان الزائر لمعارض مأمون الشايب أو لمرسمه، سينال فرصة الاستمتاع الحسي والتذوق فن تشكيلي مميز مع التجوال بين لوحاته، وربما يتيه بين تفاصيل عميقة فيها الريشة والألوان متقنة في إبراز الهوية والثقافة الفلسطينية المزوجة كحالة أضحت واحدة مع معاناة مستمرة لشعب يعيش تحت وطأة الاحتلال وممارساته التعسفية اليومية. ولعل من أكثر ما نال اعجابنا وأثار الفضول فينا من بين تلك اللوحات لوحتان إحداهما للصحافية شيرين أبو عاقلة وقد رسمت باتقان منقطع النظير تختزل في تفاصيلها الإنسان الفلسطيني المحمل بقضيته وتركيبته الاجتماعية والسياسية والإنسانية ومصيره المتوقع في ذات المكان والزمان. أما الثانية فكانت للشاعر الكبير محمود درويش وهو ينتصب بقامته جالسا بهيبة تترك في نفس الناظر إليه أثرا كبيرا من المعاني التي طالما أشار إليها الشاعر في حياته من خلال قصائده الوطنية والحماسية، بل ان المرء يخال نفسه أمام قصيدة جديدة لم تقرأ بعد.

يقول الشايب عن هاتين اللوحتين «هناك الكثيرون ممن وقفوا بوجه الاحتلال، من خلال عملهم أمثال شيرين أبو عاقلة. كان حدث استشهادها مؤلماً على الجميع، وفي ذلك الوقت بدأت برسم الخطوط الأولى في لوحة شيرين واسميتها أيقونة فلسطين، كنت أعيش مع هذه اللوحة بكل تفاصيلها، كان فيها كل شيء يعشق الحياة والحرية، كان لها ابتسامة تحدي، وفيها تفاؤل وفيها أمل، فيها رائحة الوطن ورائحة الزيتون وبيوتنا وحقولنا ومفاتيح عودتنا.

وبعد ان نشرت اللوحة وردني اتصال من فلسطين، من وليد العمري مدير مكتب قناة «الجزيرة» في فلسطين، قال لي كلمات مؤثرة، قال كان لك دور من خلال هذه اللوحة في إحياء قضية شيرين أبو عاقلة، عندها نسيت الساعات الطويلة التي كنت أرسم فيها لوحة شيرين وأسهر أحيانا حتى الصباح من أجل خلق حالة فنية تستطيع ان تصل إلى الجميع، فمن خلال فننا ولوحاتنا وأعمالنا الثقافية نستطيع ان نفعل ما لا يقدر عليه رجال السياسة. لم يقف الناس ليستمعوا طويلاً لخطاب سياسي اليوم بقدر ما يمكنهم الوقوف طويلا أمام تلك اللوحة التي تعبر عن مأساة طفل فلسطيني يحاصر لسنوات طويلة يمنع عنه الغذاء والدواء، أو إلى تلك المرأة الفلسطينية التي تنتظر في كل يوم أسيرا أو شهيدا، هذه المناضلة تحتك كل يوم ان تمسك الريشة وترسم هذه الحالة من أجل ان تسمع صوتها لكل العالم، فهذا واجبك كفنان، والفنان ليس عليه ان يرسم فقط الزهور والمناظر الطبيعية وغيرها. للفن رسالة على الجميع ان يسعى لإيصال صوت الحق، وأناشد جميع الفنانين الفلسطينيين في العالم من أجل إيصال صوت هذا الشعب لأننا أقدر الناس على إيصال هذه الحقيقة».

وأما عن لوحة محمود درويش فيعلق الشايب «طالما عشت أشعار محمود درويش منذ ان عرفت بان اليد يمكنها ان تكون من حجر وزعتر، وان عليهم ان يأخذوا قبور أجدادهم ويرحلوا وان على هذه الأرض ما يستحق الحياة (اقتباس من قصيدة لمحمود درويش). لقد بحثت كثيرا عن صورة لمحمود درويش وربما بحثت بين العشرات من الصور حتى وجدت في هذه اللقطة ما يستحق الحياة ووجدت حجرا وزعترا ووجدته يقول (أن لكم ان تجمعوا عظام أجدادكم وترحلوا) ان تكون فنانا ليس بالقرار السهل، فربما يكون لدي الكثير من الرسائل علي ان أوصلها للعالم، لكني أحب ان أرسل أولاً بطاقات تهنئة مكتوبة عليها الحرية لفلسطين وهذه عبر لوحاتي التي ترونها من خلال محمود درويش وشيرين أبو عاقلة والألم الفلسطينية التي تجلس على عتبة دارها تنتظر عودة ابنها الأسير، أو ذلك الرجل الذي يجلس على أنقاض بيته المهدم من قبل الاحتلال، والأمثلة تطول».

تحقيقات

أمام شرعنة البؤر الاستيطانية:
«فزعات» وفصائل تقليدية عاجزة عن قيادة الجماهير المهددة

رام الله ـ «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

في ذات الوقت الذي كان يطبخ فيه قرار المجلس الوزاري المصغر «الكابينت» الخاص بشرعنة تسع بؤر استيطانية في مناطق متفرقة من الضفة الغربية، كانت مجموعة مسلحة من المستوطنين تهاجم أطراف قرية «قراوة بني زيد» غرب مدينة سلفيت وتقتل الأب مثقال سلمان ريان (27 عاما).

وفي منطقة «الرأس» الواقعة شمال البلدة الوادعة قام عشرات المستوطنين المسلحين بالرد على مقاومة شبان لهجمة مسعورة ومتكررة منهم.

وبالنسبة لمئات آلاف الفلسطينيين الذين يقطنون في مناطق قريبة من المستوطنات كما هو حال البؤر فإن كل مشروع شرعنة لبؤرة عبارة عن مشروع قتل فلسطينيين ونهب أراضيهم وتحويل حياتهم إلى جحيم.

رئيس بلدية قراوة بني حسان إبراهيم عاصي صرح لوسائل إعلام فلسطينية أن مجموعة من المستوطنين المتطرفين يشكلون خطرا كبيرا على أهالي البلدة، فيما شهادة صاحب المنزل الذي تعرض للهجوم فتدلل على كثافة عدد المستوطنين المهاجمين وكثافة السلاح القاتل (سلاح آلي من نوع إم 16 ومسدسات) الذي يحلمونه أيضا.

وقال مواطنون لـ«القدس العربي» إن هجمات المستوطنين تهدف منع البناء ومنع أعمال الزراعة أو إجراء أي أعمال إنشائية، فيما يقتلع المهاجمون الأشجار ويسرقون المواشي، بنية الاستيلاء على مئات الدونمات من أراضي البلدة.

وحسب مواطنين فإن المستوطنين يرصدون تحركات المزارعين والسكان عبر طائرات بدون طيار، وعبر دوريات مراقبة ومن ثم يهجمون بعد ان يستدعوا قوات جيش الاحتلال.

حادثة إعدام الأب مثقال الأعزل إلا من أحلامه بأطفاله الثلاثة كي يعيشوا بأمان أعادت إلى الأذهان شهر حزيران/يونيو من العام الماضي عندما هرع الشاب علي حسن حرب (27 عاما) من قرية اسكاكا شرق سلفيت لأرضه برفقته أقارب من أجل حمايتها من إنشاءات استيطانية فتعرض إلى طعنة مباشرة في القلب أودت بحياته، ولاحقا حصل القاتل على حكم براءة لعدم كفاية الأدلة.

الحكايتان المأساويتان لا يفصل بينهما أكثر من ثمانية أشهر، لكن ما يقلق بال المواطنين ويزيل السكينة عنهم هو أنهم يعلمون أن هناك شهيدا ثالثا ورابعا وخامسا أمام تضاعف هجمات المتطرفين. فيما أنباء الاعتراف بشرعية البؤر الاستيطانية في منطقة نابلس، كما عموم الضفة الغربية، مؤشر على زيادة التهديدات القاتلة.

مخاطر خطاب الشرعنة

وحسب الناشط الحقوقي والخبير في مجال الاستيطان غسان دغلس فإن مصادقة الكابينت الإسرائيلي قبل نحو أسبوع على شرعنة تسع بؤر استيطانية في الضفة الغربية ومن ثم بؤرة عاشرة في الخليل بادعاء الرد على عمليات مستوطنتي «نفيه يعقوب» و«راموت» في القدس المحتلة يحمل في طياته استدراج النقاش الفلسطيني والعربي والدولي إلى خطاب أو مربع أن كل المستوطنات في الضفة الغربية هي مستوطنات قانونية وشرعية، أما البؤر الجديدة العشر فهي «جديدة وبلا شرعية لكنهم يريدونها أن تصبح شرعية».

ويضيف في حديث مع «القدس العربي» أن منح الشرعية الاحتلالية يعني أن تتمتع البؤرة بنظام كبير من الخدمات الداخلية (وكأنها داخل الحدود البلدية) حيث توفر صفة الشرعية لتلك البؤر كل من خدمات الأمن والكهرباء والشوارع والمياه والاتصالات..الخ، والأخطر أيضا أن كل ذلك يتم على حساب المصالح والحقوق والأراضي الفلسطينية.

ويشدد دغلس أن دلالة اختيار البؤر التسع، وهي من بين ما طالب به وزير الأمن القومي الإسرائيلي ايتمار بن غفير، من أصل 77 بؤرة استيطانية غير «مرخصة» هي دلالة غير عشوائية، فالبؤر القريبة من منطقة الأغوار تهدف إلى تحقيق فعل قطع للتواصل الجغرافي ما بين مناطق الضفة الغربية ومناطق الضفة الشرقية في تعزيز مسألة حصار الضفة بعد أن أنجز الاحتلال قبل سنوات جدار الفصل العنصري الذي عزز فصل الضفة عن مناطق فلسطين 1948.

فهذه البؤر إلى جانب المستوطنات التي تحمل صفة الشرعية، والحديث للناشط دغلس، تؤسس لسلسلة استيطانية طويلة قاطعة ومانعة، أما البؤر في محافظة نابلس فتبدو مسألة شرعنتها أقرب للعطايا أو المنح أو الهبات، حيث منحتها حكومة الاحتلال لأعضاء كبار من تنظيم شبيبة التلال الإرهابي.

ويضيف: «تبدو للمتابع أنها عبارة عن منح للإرهابيين الذين ينفذون هجمات متتالية ويومية على الفلسطينيين».

ويقر دغلس وهو المتابع بشكل لحظي تجليات المشهد الاستيطاني في عموم الضفة وتحديدا شمالها حيث النشاط الاستيطاني على أشده، يقر أن الضربات التي يتعرض لها الفلسطيني في الضفة كبيرة للغاية، ومساحات النضال والمقاومة واسعة جدا ومتنوعة.

وشدد أنه في ضوء ذلك، وفي حال لم يحدث تدخل أو ضغط كبير من خلال لوبي عربي وإسلامي ودولي ضاغط ومؤثر على الحكومة الإسرائيلية المتطرفة فإن الحال سيكون غاية في الصعوبة.

وأمام ذلك يشير دغلس إلى وجود ملمح إيجابي يرتبط بطبيعة سياسة ونهج الحكومة الجديدة التي تعلن بصراحة عما تريده بدون مواربة، وهو أمر قد يساعد في تشكيل جبهة ضاغطة ضد السياسات الاستيطانية في الضفة الغربية.

وكانت حكومة نتنياهو قد شرعنت يوم الأحد الماضي تسع بؤر وهي: شاحاريت، وجفعات أرنون، وأبيجيل، وأساييل، وجفعات هاريل، وملاخي، وهشالوم، ومتسبي يهودا، وبيت حجلة، وسدي بوعز. فيما كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن أن حكومة الاحتلال ستصادق قريبًا على ترخيص بؤرة «بني كيديم» المقامة شمال شرق الخليل بين بلدتي سعير والشيوخ.

خطاب لا يجدي

أما المحلل السياسي الفلسطيني نبيل عمرو فيطالب بضرورة قراءة ما يجري في مشهد الفعل الإسرائيلي جيدا، فكلمة تصعيد توحي وكأن ما كان قبل ذلك حالة من التهدئة، فيما الاحتلال يعلن مخططات وبرامج وحالة من القمع والتصعيد المستمر.

وهو يرى أن خطاب السلطة في مواجهة ذلك هو خطاب لا يجدي، في ضوء أنها تطالب حلفاء إسرائيل بذلك وهؤلاء لا يستطيعون ولا يبذلون جهدا حقيقيا، فالإدانة الدولية سواء أكانت أوروبية أو أمريكية تفتقد الجهد لمنع الفعل الإسرائيلي.

ووصف حالة السلطة بإنها تسير «باتجاه العبث».

وطالب السياسي عمرو بضرورة ترتيب البيت الداخلي من أجل ايجاد طريق لترتيب ما تبقى لدى الفلسطيني من قدرات صمود.

وبرأيه فأن المطلوب ترتيبا جديا للوضع الداخلي ينهي الانقسام ويستعيد دور المؤسسة الفلسطينية وذلك «كي لا نستمر بالدوران في حلقة مفرغة».

ويشدد أن الخطاب السياسي الفلسطيني الحالي غير مقنع، حتى عندما يجرى الحديث عن إحدى الردود الفلسطينية الذهاب إلى حوار وطني شامل وجدي ومعمق، وهو أمر يفترض بالفلسطينيين أنجزوه مرارا على مدى 15 عاما.

ووصف هذا الفعل بإنه حالة من الهروب من المسؤولية ومن معالجة الأمور كما يجب أن تعالج.

ويرى عمرو أن الحوار مطلوب، لكنه لا يحل مشكلة، فما يحلها هو القرار. فعندما يكون المنهج خاطئا لا يجب أن تتوقع نتائج صحيحة، فالحالة العامة كلها ارتجال ورد فعل.

ويقول إن الفصائل التقليدية عمليا قد «أحيلت على التقاعد» فقسم منها يعيش حول معارضة للسلطة فيما قسم ثان يعيش عبر البقاء حول السلطة، وهو أمر يجعلها بلا ثقل ولا إمكانيات لقيادة قطاعات جماهيرية واسعة.

ويرى أن كل البدائل عن الانتخابات بمثابة استمرار حالة التدهور، فأن «لا نعمل إلا ما توافق عليه إسرائيل يعني أنك

مستوطنة في الضفة الغربية

في برقة قضاء نابلس عندما هاجم المستوطنون القرية، وهو أمر دفع بأن تتحرك جماهير البلدة لمواجهتهم، وهو الأمر نفسه الذي عاشته قرية جوريش قضاء نابلس قبل أسبوعين.

ويشدد دغلس أن متابعة الميدان تجعلنا ندرك أن المواطنين مستفزين ومستنفرين من هجمات المستوطنين في ظل أن حياتهم أصبحت مهددة لكن ما ينقصهم هو القيادة ذات المصداقية التي تخطط وتنظم فعل المقاومة الشعبية، «فالمواطنون بحاجة ماسة لمن يقودهم وفق برنامج سياسي ونضالي».

ويتابع: «موقف المواطنين في الميدان يرتبط بالقائد. في حال كانت الجماهير تثق بهذا القائد ويتمتع بالمصداقية ويمارس فعل القيادة بكل معنى الكلمة فإن المواطنين سيلتفون حوله ويلبون نداءه عندها يمكن أن يتحرك الشارع».

ويشدد ان البنية القيادية الفصائلية في البلدات والقرى الفلسطينية متكلسة، «فالوجوه ذاتها ولا تتجدد وهذه مشكلة حقيقية وعلى الفصائل بحثها وتجاوزها كي نكون أمام فعل جماهيري يشبه ما كان أيام الانتفاضة الأولى عام 1987».

ويرى الناشط دغلس أن هناك تشكيلات فلسطينية جديدة تتمتع بالمصداقية وهو ما جعلها تنال استجابة الشارع، وأكبر مثال على ذلك مجموعات «عرين الأسود» التي إذا دعت إلى موقف جماهيري نالت ما تريد وهو أمر تعجز عنه كل الفصائل الفلسطينية مجتمعة.

وحسب دغلس فإن السؤال الكبير والأساسي هو كيف تتحول المقاومة الشعبية إلى فعل مؤثر بحق الاحتلال ومستوطنيه؟ والجواب مرتبط بالميدان والرد الجماعي المؤثر على حياة المستوطنين.

ويضرب أمثلة بما حدث في بلدة حوارة وبرقة خلال العام الماضي حيث أن استمرار الفعل النضالي الجماهيري وقدرته على التأثير على حياة المستوطنين والجنود هو ما يقود إلى تراجع وتأثير حقيقي.

ويختم: «عندما يكون هناك موقف جماهيري يقود إلى إغلاق الشوارع أو إلقاء مستمر للحجارة على مدى ساعات فإن المستوطنين والجيش يطلبون التوقف ويتراجعون، وهذا يعني أن النضال يرتبط بممارسة جماعية جماهيرية ونفس طويل، أي فعل نضالي دائم وجماعي، وهذا ما يقدم لنا الحل المؤثر القادر على إشعار الاحتلال بالخسارة».

يذكر أن آخر التقارير التي صدرت أواخر العام الماضي عن معهد الأبحاث التطبيقية، القدس «أريج» أشار إلى وجود 243 بؤرة استيطانية منتشرة في أراضي الضفة الغربية منذ عام 1967. وأشار إلى أن انتشار ظاهرة البؤر الاستيطانية غير المرخصة بدأ في التسعينيات، «بعد أن خفضت إدارة رابين آنذاك معدل المصادقة على البناء في المستوطنات المقامة في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة عام 1993 وذلك لتسارع المفاوضات مع الفلسطينيين التي سبقت توقيع اتفاق أوسلو».

وحسب إحصاءات فلسطينية فإنه يتوزع اليوم نحو 725 ألف مستوطن في 176 مستوطنة كبيرة و186 بؤرة استيطانية عشوائية بالضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية.

مواجهة مستوطنين في الضفة الغربية

شروع إسرائيل بتنفيذ مخطط ضم الضفة الغربية

حذر عضو بمنظمة التحرير الفلسطينية السبت، من شروع إسرائيل بتنفيذ مخططها الكبير لضم الضفة الغربية بعد قرارها الأخير بشرعنة بؤر استيطانية وبناء آلاف الوحدات السكنية الجديدة.

وقال عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة رمزي رباح للإذاعة الفلسطينية الرسمية، إن «شروع إسرائيل في شرعنة البؤر الاستيطاني يمثل استمرارا للتوسع الاستيطاني لكنه بداية المخطط الكبير للحكومة اليمنية الإسرائيلية لضم الضفة الغربية».

وأضاف رباح أن «إقرار شرعنة تسع بؤر استيطانية يأتي على طريق تحويل نحو 150 بؤرة استيطانية إلى مستوطنات رسمية، وبالتالي مصادرة المزيد من الأراضي الفلسطينية والمياه والمواد والمساحات الجغرافية».

وأكد أن الخطر الداهم الذي تواجهه القضية الفلسطينية يتمثل في مخطط إسرائيلي لمصادرة كافة المناطق المصنفة (ج) التي تشكل نحو ثلثي من إجمالي مساحة الضفة الغربية.

ونبه رباح إلى أن هذا المخطط «سيدفع إلى تقطيع أوصال الضفة الغربية لمنع أي فرص لقيام دولة فلسطينية وحصر الفلسطينيين داخل كانتونات معزولة وتكريس سياسة التمييز العنصري ضدهم».

وشدد على مسؤولية مجلس الأمن الدولي في ظل المداولات الجارية بين أعضائه لاستصدار قرارا بشأن الاستيطان الإسرائيلي، مطالبا بهذا الصدد الولايات المتحدة الأمريكية بالامتناع عن اتخاذ موقف مناهض لذلك.

ميديا

العرب على شبكات التواصل:
المصريون يستذكرون رحيل مبارك والليبيون يحيون ذكرى ثورة فبراير

لندن – «القدس العربي»:

انشغل النشطاء والمستخدمون العرب على شبكات التواصل الاجتماعي باستذكار ثورات الربيع العربي، وذلك بالتزامن مع الذكرى السنوية لبعض الأحداث المهمة، لا سيما تنحي الرئيس حسني مبارك عن الحُكم في مصر في محاولة لتهدئة الثوار في الميادين، فيما أحيا الليبيون ذكرى الثورة التي أطاحت بالعقيد معمر القذافي.

واستذكر الكثير من المصريين على شبكات التواصل لحظة تنحي مبارك عن الحُكم في الحادي عشر من شباط/فبراير 2011 كما أعاد بعضهم التذكير ببعض أحداث ثورة يناير فيما ذهب بعضهم إلى القول بأن تنحي مبارك كان مجرد لعبة أو حيلة من الجيش لتهدئة الجمهور الثائر ومن ثم استبداله بضابط عسكري آخر، وهو الرئيس الحالي عبد الفتاح السيسي الذي يوشك على أن يُكمل عشر سنوات في الحُكم.

وتداول العديد من الليبيين تغريدات وتدوينات عن ثورة الـ17 من شباط/فبراير التي أطاحت بالعقيد القذافي، فيما استعرض كثيرون الأحداث التالية للثورة والأحوال التي أصبحت فيها ليبيا.

تنحي مبارك

واعتبر الخبير العسكري محمود جمال ما حدث يوم 11 شباط/فبراير عندما تنحى مبارك بأنه كان مجرد «خديعة من المجلس العسكري»، وكتب مغرداً على «تويتر» يقول: «في ذكرى يوم الخديعة الكبرى 11 فبراير والذي يذكرنا بخطة شطناوي ومجلسه للاستفادة من حراك يناير 2011 للتخلص من مبارك وملف التوريث، أهم درس يجب أن تتعلمه الأجيال أن السهل المتاح فخ وأن أنصاف الثورات تذهب بالطامحين للحرية إلى المقابر والمعتقلات وأن الحرية تنتزع ولا تمنح».

وغرد يوسف أحمد: «11 فبراير ذكرى انتهاء أجمل 18 يوما في تاريخ مصر الحديث».

ونشر وليد مجيب صورة للصفحات الأولى من الجرائد المصرية صباح اليوم التالي للتنحي، وكتب قائلاً: «11 فبراير 2011 واحد من الأيام الخالدة والعظيمة في حياتنا، يوم أن أسقطنا الديكتاتور من عليائه. وبرغم الأزمات الاقتصادية والسياسية التي نمر بها الآن، فإننا غير نادمين على ساعة واحدة هتفنا فيها: يسقط يسقط حسني مبارك».

وقالت سالي سليمان: «زي دلوقت من 12 سنة كنا قربنا قوي نصدق بالحلم اللي حلمنا به وإننا نقدر نغير بلدنا للأحسن. 11 فبراير». فيما كتب الدكتور أسامة جاويش: «الغريق سعد الدين الشاذلي؛ اللهم اغفر له وارحمه وأسكنه فسيح جناتك. وأذكر يوم الجمعة 11 فبراير 2011 صلينا عليه صلاة الغائب في ميدان التحرير وكان إمامنا هو فضيلة الدكتور صلاح سلطان فك الله أسره».

وغرد حساب «المجلس الثوري المصري» يقول: «11 فبراير 2011 في السادسة ودقيقتين انقطعت نشرة الأخبار ليعلن عمر سليمان «في ظل الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، قرر الرئيس محمد حسني مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية» وهذه هي لحظة تنحي مبارك من ميدان التحرير وسوف تعاد هذه اللحظة مرة أخرى لأن الكلمة الأخيرة دائماً للشعب».

أما حساب «الاشتراكيون الثوريون» على «تويتر» فكتب يقول: «لن ينسى المصريون يوم 11 فبراير 2011 حين انتصرت إرادة جموع الشعب الثائرة وأجبرت حسني مبارك على التنحي عن السلطة بفضل الملايين التي نزلت إلى الشوارع واعتصمت بالميادين وقاومت ببسالة عنف الداخلية وهزمتها يوم 28 يناير». وتابع: «واستمرت في الصمود وانتصرت على بربرية بلطجية الحزب الوطني في موقعة الجمل وصممت على رحيل مبارك حتى تحقق ذلك عندما اشتعلت الإضرابات العمالية الواسعة قبل التنحي بثلاثة أيام».

ليبيا: ثورة 17 فبراير

وأحيا الليبيون ذكرى ثورة 17 شباط/فبراير 2011 التي انتهت بالإطاحة بالعقيد معمر القذافي، حيث كتب مغرد يُدعى صلاح: «ثورة فبراير ليست علما ونشيدا بل دماء طاهرة ارتوت بها كل مدن التي خرجت على الظلم وطغيان وعيشة دامت 42 سنة تحت التعذيب النفسي والجسدي لشعب سكت ورضي بالقليل من الخبز والأرز والمكرونة تعطي له بكل احتقار وتسجل عليه ما أكل في أوراق ثبوتية وبنية تحتية تكاد معدومة فبراير ثورة ليست للجياع».

وغرد عادل بوليفة: «لسنا سواء لا شكلا ولا مضموناً، لسنا مثلهم ولن يكونوا أبداً مثلنا، عشقنا الحرية في ثورة فبراير وعشقوا عبودية البشر في حكم العسكر، فأنت يا كاره ثورة فبراير أو منقلب عليها ربما لم نجنِ من ثمارها الكثير بسبب تآمركم عليها، ولكن تذكر أنها أطلقت لسانك فمن لم تمثله ثورة فبراير فلا يمثلني».

وغرد الرئيس التونسي السابق المنصف المرزوقي معلقاً في ذكرى الثورة الليبية: «17 فبراير ذكرى اندلاع الثورة المجيدة في ليبيا، ثورة مغدورة، ثورة تآمرت عليها الأطراف الداخلية والخارجية، ثورة مجهضة، ثورة مشوهة مكذوب عليها، ثورة كلفت الشعب الليبي غالياً، رغم كل هذا ولأجل كل هذا ستعود مظفرة».

وغردت أمل هويدي تقول: «فبراير العز والمجد، فبراير النهج المتجدد والعهد الملزم للوصول للدولة، ساعات تفصلنا عن أجمل ذكرى، ثورة 17 فبراير في هذه الأيام المباركة، كلنا فخر أننا عاصرناها وكنا جزءاً أصيلاً منها، وبارك الله خطى كل من شارك ودعم ورحم الله شهداءنا وجزاهم عنا خير الجزاء».

وكتب وليد خلف الله: «ثورة فبراير جاءت من أجل كسر العبودية والديكتاتورية والدولة العسكرية، لم تأتِ من أجل القذافي وحسب، بل من أجل كل الطغاة الظلمة فمن كان بالأمس ضد القذافي واليوم مع حفتر فهو لم يعرف معنى ومبادئ ثورة 17 فبراير لذلك انتكس في نصف الطريق».

وغردت مريم جورداب: «ثورة 17 فبراير ذكرى ثورة شعب ثار على الظلم والفساد وعلى نظام دكتاتوري وما زالت مستمرة» فيما كتبت ميسون بن عيسى: «ثورة 17 فبراير لم تقترف أي خطأ سوى أنها رفعت الستار عنا وعن سلوكنا وتربيتنا وجعلت كل شخص يعمل بأخلاقه وأصله، فبينت السوي من السقيم وهكذا لا نلوم الثورة بل نلوم كل أحد في شخصه، نحن نحتفل بذكراها لأننا لن ننسى من ضحى لأجلها ولأنها ثورة شعب حر».

وكتبت منال: «مر 13 سنة على ثورة 17 فبراير ثورة شعب غلبان، مطالبين بالتغيير للأفضل، وللأسف انسرقت وأصبحت بخريف 17 فبراير. أخذت منا الكثير، طفولتنا حياتنا استقرارنا أمن بلادنا شبابنا أحبائنا.. وما زالت تأخذ.. الله يرحم جميع شهداء ليبيا من كل الأطراف ويعم الأمن والأمان على بلادي».

وغرد عبد الله بوجالا: «شهداء فبراير: أنتم في نفوسنا وحيث كل ما نحمل من مشاعر الامتنان. رحمة الله على شهداء ثورة 17 فبراير» وغرد آخر يقول: «نحن نحتفل بما قدمه الرجال في ذلك الزمان وليس بما قدمه الانذال في هذا الزمان».

وكتب أحد المعلقين: «بالرغم من العثرات والنكسات والخيبات والمؤامرات، ستظل ثورة 17 فبراير أنقى ثورة واجه فيها شعب أعزل أعتى نظام دكتاتوري استمر 42 عاما.. شاء من شاء وأبى من أبى».

ونشر حساب يُطلق على نفسه اسم «أحفاد عمر المختار» تغريدة قال فيها: «ثورة 17 فبراير أحرقت نظاماً عاث بالأرض فساداً وطغى وتجبر حتى على خالقه، ولكن الله يمهل ولا يهمل، وكانت نهايته عبرة لمن بعده.. القذافي عميل الصهاينة إلى مزبلة التاريخ مهما طبل المطبلون وصفق الخائنون فلن يعود الرماد للحياة أبداً».

وكتب مغرد يُدعى الشتوي يقول: «كل ذكرى جديدة لثورة 17 فبراير هي ثورة انتصار الحق على الباطل ثورة انتصار الحرية على العبودية ثورة انتصار المظلوم على الظالم ثورة انتصار الأحرار على العبيد فتحية من القلب لجميع الأحرار في الدنيا ورحم الله شهداء الثورة وتقبلهم في الشهداء فهم تيجان على رؤوسنا وأوسمة على صدورنا».

وغردت فاطمة أحمد تقول: «ثورة 17 فبراير لم تجد الطريق مرصوفاً بالأسفلت كما وجده الانقلاب المسمى بثورة سبتمبر القذافي، ووجدت أطنانا من الصعاب في الداخل ومن الخارج بسبب: –1 الأطماع الاستعمارية في ليبيا موقع ونفط، –2 العلمانية الحديثة لن تترك باباً للإسلام مفتوحاً فتصر على الحكم العلماني ونبذ الإسلامي وعناصره».

وعلقت حنان: «مش نادمين على ثورة أسقطت نظاماً دكتاتورياً ظالماً لم يخدم البلاد بأي شيء يذكر، وهذه الثورة لكل ليبي حر يطمح لإقامة دولة ديمقراطية.. 17 فبراير دمت قهراً على كل شخص يقول عنك نكبة، ورحم الله شهدائنا ولا بارك الله في كل من خان هذه البلاد وقام بعرقلة تقدمها».

تقرير: مؤسسات حكومية في المغرب متورطة في نشر الأخبار الكاذبة

لندن – «القدس العربي»:

حمّل المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في المغرب المؤسسات الحكومية المسؤولة الكبرى بشأن انتشار الأخبار الزائفة، محذراً من خطرها لما تشكله من تهديد للثقة في مؤسسات الدولة والأمن المجتمعي وانتهاك الحياة الخاصة للأفراد.

واعتبر المجلس، في تقرير أصدره الأسبوع الماضي عنوانه «الأخبار الزائفة: من التضليل الإعلامي إلى المعلومة الموثوقة والمتاحة» أن عدم احترام وتفعيل عدد من المؤسسات الحكومية للقانون المتعلق بالحق في الحصول على المعلومة من أسباب انتشار الأخبار الزائفة بالمغرب.

ولفت المجلس إلى أن تواصل الإدارات والمؤسسات الحكومية «ببطيء وغير متفاعل بالقدر الكافي» وأن القانون المتعلق بالحق في الحصول على المعلومات «إما غير مطبق على النحو السليم أو غير مطبق بالمرة». وأشار إلى أن «عدم انتظام تحيين المواقع الإلكترونية للمؤسسات والإدارات الحكومية في الحصول على المعلومة، خاصة من قبل المؤسسات والإدارات العمومية، فضلاً على إطلاق حملة للتواصل للتوعية بالتفكير العلمي وتنمية الحس النقدي في عقول الناشئة منذ الصغر وتوعية وإذكاء روح المسؤولية لديها.

كذلك أوصى بإحداث علامة مميزة مستقلة ودعم مواقع «التحقق من المعلومات» فضلاً على التكوين المستمر لوسائل الإعلام المهنية، وتأهيل المواقع الرسمية لمواكبة المستجدات التي يشهدها العالم الرقمي.

ومن بين التوصيات التي قدمها المجلس ضرورة نشر جميع الوثائق الرسمية العمومية في غضون 24 ساعة من تاريخ المصادقة عليها، واعتماد إجراءات تفاعلية مناسبة مع سرعة التكنولوجيا الرقمية واستخدام علامات التصنيف للمواقع.

كما دعا إلى إحداث منصة وطنية للتحقق من المعلومات، وإنشاء هيئة وطنية للمعطيات المفتوحة، ووضع برامج توعوية وتكوينية لفائدة منتخبي المعلومات من غير المهنيين.

السلطات التركية تعتقل العشرات بسبب تعليقات عن الزلزال

لندن – «القدس العربي»:

اعتقلت قوات الشرطة التركية عشرات المواطنين بسبب تعليقات نشروها على شبكات التواصل الاجتماعي تناولت الزلزال الكبير الذي ضرب بلادهم. وأعلنت الشرطة اعتقال 78 شخصاً الأسبوع الماضي، بتهمة إشاعة الخوف والذعر من خلال «مشاركة منشورات استفزازية» على وسائل التواصل الاجتماعي حول الزلزال، وأضافت أنّ 20 منهم محتجزون بانتظار المحاكمة.

وقالت المديرية العامة للأمن في تركيا إنّها حدّدت هوية 613 شخصاً متهمين بنشر منشورات استفزازية، وإنّ الإجراءات القانونية بدأت بحق 293 شخصاً أمر الادعاء العام بإلقاء القبض علي 78 منهم.

وأضافت المديرية أنّه تمّ حجب 46 موقعاً إلكترونياً لتورطها في مخططات «احتيالية» لمحاولة سرقة التبرعات الموجهة لضحايا الزلزال، كما تمّ إغلاق 15 حساباً على مواقع التواصل الاجتماعي لانتحالها صفة المؤسسات الرسمية.

وكان البرلمان التركي قد أقر في تشرين الأول/أكتوبر الماضي، قانوناً يسمح بسجن الصحافيين ورواد وسائل التواصل الاجتماعي لفترات تصل إلى ثلاث سنوات بتهمة نشر «معلومات مضللة» ما أثار مخاوف بين الجماعات الحقوقية والدول الأوروبية بشأن حرية التعبير في البلاد، خاصةً قبل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقررة هذا الصيف.

وقال الحزب الحاكم برئاسة الرئيس رجب طيب اردوغان إنّ هناك حاجة لقانون يتصدى لنشر الاتهامات الزائفة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مضيفاً أنّه لا يهدف إلى إسكات المعارضة. وسبق أن حجبت الحكومة منصات التواصل الاجتماعي.

وحجبت الحكومة التركية موقع تويتر لمدة 12 ساعة تقريباً في أعقاب الزلزال، وعزت الخطوة إلى انتشار المعلومات المضللة، ما أثار غضب السياسيين المعارضين والأفراد الذين يستخدمون المنصة للوصول إلى ذويهم ومشاركة المعلومات الخاصة بجهود الإنقاذ.

السجن ستة أعوام لصحافية روسية كتبت عن الجيش وعارضت الحرب

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت محكمة روسية في مدينة بارناول جنوبي سيبيريا، حكماً بسجن الصحافية الروسية ماريا بونومارينكو ستة أعوام وذلك بسبب منشورات تناولت الحديث عن الجيش الروسي.

واتهمت بونومارينكو القوات الجوية الروسية بقصف مسرح في مدينة ماريوبول الأوكرانية في آذار/مارس الماضي كان يلتجئ إليه مجموعة من النساء والأطفال، حسب ما نقلت وكالة «رويترز».

وتضمّن الحكم الصادر بحقّ بونومارينكو، قراراً بمنعها من العمل كصحافية لمدة خمسة أعوام، فيما كان الادعاء العام قد طالب بسجنها لمدة تسع سنوات.

وقالت بونومارينكو للمحكمة: «الوطنية هي حب للوطن الأم، ولا ينبغي التعبير عن الحب للوطن الأم من خلال تشجيع الجريمة» مضيفةً: «مهاجمة جيرانك جريمة» حسب ما نقل موقع «روس نيوز».

وأكملت من خلف القضبان في قاعة المحكمة: «إذا كانت حرباً فسمّها حرباً». وتابعت: «هذه جريمة دولة ضد الجيش، إنها أشبه بالبصق على قبور المحاربين القدامى». ودمّر مسرح ماريوبول بغارة جوية صباح 16 آذار/مارس من العام الماضي. وفيما اتهمت كييف روسيا بالقصف، ألقت الأخيرة بالمسؤولية على القوميين الأوكرانيين.

وحسب «رويترز» خلص تحقيق أجرته منظمة العفو الدولية إلى أنّ القوات الروسية هي المسؤولة عن تدمير المسرح، ولفتت إلى مقتل ما لا يقل عن 12 شخصاً جرّاء ذلك.

واعتقلت بونومارينكو، في نيسان/أبريل الماضي، بعد تحميلها الجيش الروسي مسؤولية القصف في منشورات عبر منصات التواصل الاجتماعي.

وبعد أيام من بدء الحرب على أوكرانيا في 24 شباط/فبراير 2022 وافق البرلمان الذي يسيطر عليه الكرملين على قانون يحظر نشر «معلومات كاذبة» حول الحرب الروسية في أوكرانيا.

واستخدمت السلطات الروسية القانون لقمع أيّ انتقاد لما تسميه «عملية عسكرية خاصة» ودين بموجبه خلال الأشهر الأخيرة عددٌ من المعارضين والناشطين والصحافيين وتعرّضوا للسجن.

علوم وتكنولوجيا

حبة ذكية يبتلعها المريض وتتيح للطبيب مراقبة الجهاز الهضمي

لندن ـ «القدس العربي»:

توصلت دراسة جديدة إلى أن حبة ذكية يمكن أن تساعد الأطباء في تحديد مشاكل الجهاز الهضمي.

وقال تقرير نشرته جريدة «اندبندنت» البريطانية إن مستشعراً قابلاً للابتلاع ويمكن مراقبته أثناء تحركه عبر الجهاز الهضمي يمكن أن يساعد في تشخيص اضطرابات الجهاز الهضمي. وهذا يشمل حالات مثل الإمساك، ومرض الجزر المعدي المريئي (حيث يتسرب الحمض من المعدة إلى المريء) وخزل المعدة (حيث يمر الطعام عبر المعدة ببطء أكثر مما ينبغي).

ويشار إلى هذه الحالات بأنها مشكلات حركية الجهاز الهضمي.

وقالت «اندبندنت» في التقرير إن المستشعر الصغير يعمل عن طريق اكتشاف المجال المغناطيسي الناتج عن بكرة كهرومغناطيسي موجود خارج الجسم.

وتختلف قوة المجال باختلاف المسافة من البكرة، وبالتالي يمكن حساب موضع المستشعر بناء على قياسه للمجال المغناطيسي.

وفي الدراسة الجديدة، استخدم المهندسون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا لتتبع المستشعر أثناء تحركه عبر الجهاز الهضمي لتشخيص اضطرابات الحركة.

ويقولون إن مثل هذا الجهاز يمكن أن يوفر بديلا للإجراءات الأكثر توغلا في البشر، مثل التنظير الداخلي، الذي يستخدم حاليا لتشخيص اضطرابات الحركة.

ويأمل الباحثون في أن يستخدم المرضى الحبوب القابلة للابتلاع في منازلهم، وأن يتم استخدامها بدلا من الإجراءات الجراحية الأكثر توغلا.

وقال جيوفاني ترافيرسو، الأستاذ المساعد في التطوير الوظيفي في الهندسة الميكانيكية بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في أمريكا: «يعاني العديد من الأشخاص في جميع أنحاء العالم من خلل الحركة المعوية (الجهاز الهضمي) أو ضعف حركة الجهاز الهضمي، كما أن امتلاك القدرة على مراقبة حركية الجهاز الهضمي دون الحاجة إلى الذهاب إلى المستشفى أمر مهم لفهم ما يحدث للمريض حقا».

ويمكن أن تحدث اضطرابات حركية الجهاز الهضمي في أي جزء من الجهاز الهضمي، وتؤدي إلى فشل حركة الطعام في الجهاز الهضمي. وعادة ما تُستخدم الأشعة السينية أو التصوير أو القسطرة لتشخيص الحالات المرضية.

روسيا تختبر طائرات بدون طيار لا يمكن اعتراضها

لندن ـ «القدس العربي»:

قال تقرير نشرته شبكة «روسيا اليوم» الروسية إن موسكو بدأت حالياً في اختبار طائرات بدون طيار «درونز» لا يمكن اعتراضها، حيث تقوم القوات الروسية باختبار جيل جديد من هذه الطائرات في الحرب داخل أوكرانيا. وقال التقرير الذي اطلعت عليه «القدس العربي» إن درون الاستطلاع الضارب الروسي الجديد «رود – 250» يتميز بسعره المنخفض وسرعته العالية، كما يتميز بأن ليس بإمكان وسائل الحرب الإلكترونية المعادية اعتراضه لأنه لا يعتمد الملاحة الفضائية.

ويخضع هذا الدرون حالياً لسلسلة من الاختبارات في منطقة العملية العسكرية الخاصة داخل أوكرانيا.

وأعلن فيتالي دولغوف، رئيس مختبر استخدام الطائرات من دون طيار في معهد «كارتسيف» للبحوث العلمية في مجال الحواسيب الإلكترونية في حديث أدلى به لوكالة «تاس» الروسية. وقال إن خمسة درونات صغيرة من هذا النوع قد أخضعت لاختبارات في منطقة العملية العسكرية الخاصة، وأضاف أنها كلها تحلّق دون أن تعتمد الملاحة الفضائية (غلوناس» أو «جي بي إس»)، ويتم توريدها بدفعات، تحتوي كل دفعة منها على 5 درونات.

وأوضح الأخصائي الروسي أن كلفة الدرون الواحد لا تتجاوز الـ300 ألف روبل. ويتضمن المجمع التقني المُلحق بالدرون «رود – 250 » بطاريات احتياطية وعُدّة مختلفة ونظارة وغيرها من الأدوات. وقد بلغت سرعة الدرون 170 كلم/ساعة، وهو يحمل 1500 غرام من الحمولة المفيدة.

وقال الأخصائي الروسي إن أسرابا تتشكّل من تلك الدرونات الصغيرة يمكن أن تسبب مشاكل كبيرة للعدو في منطقة العملية العسكرية الخاصة نظراً لفاعليتها الكبيرة ولصعوبة اعتراضها.

علماء يحذرون من استخدام الذكاء الاصطناعي في إنتاج أسلحة خطيرة

لندن ـ «القدس العربي»:

يحذر علماء من إمكانية إساءة استخدام الذكاء الاصطناعي لتصميم أسلحة كيميائية وبيولوجية شديدة السمية.

وقال تقرير لجريدة «دايلي ميل» البريطانية، اطلعت عليه «القدس العربي» إن خوارزميات الكمبيوتر تعد قوة من أجل الخير، حيث تحدد أشكالا جديدة من مضادات الحيوية وأدوية مكافحة عدوى كوفيد إلا أن العلماء باتوا يخشون حالياً من استخدامها في إنتاج أسلحة دمار شامل شديدة السمية وبالغة الخطورة.

ووجد أربعة باحثين مشاركين في اكتشاف الأدوية بالاستناد إلى الذكاء الاصطناعي أنه يمكن التلاعب بهذه التقنية بسهولة للبحث عن العوامل السامة للتأثير في الأعصاب.

وطلب المعهد الفيدرالي السويسري للحماية النووية والبيولوجية والكيميائية من العلماء الأربعة أن ينظروا في غضون ست ساعات في ما إذا كان يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي من قبل أولئك الذين لديهم دوافع خفية – وجاء الذكاء الاصطناعي الخاص بهم مع 40 ألف دواء يحتمل أن تكون سامة.

وسلطوا الضوء على مخاوفهم عبر دراسة متخصصة، حيث قال المعد الرئيس للدراسة فابيو أوربينا إن التمرين جعلهم يدركون أن «كل ما علينا فعله هو قلب التبديل ونقول بدلا من الابتعاد عن السمية، ماذا لو ذهبنا نحو السمية؟».

وقد بدأ الذكاء الاصطناعي الخاص بهم في «إنتاج كل هذه الجزيئات السامة، والتي يبدو الكثير منها وكأنه عوامل حرب كيميائية».

وكانت بعض الجزيئات «أكثر سمية من في إكس وهو عامل أعصاب طوره مختبر العلوم والتكنولوجيا الدفاعية في المملكة المتحدة في الخمسينيات من القرن الماضي، والذي يقتل من خلال شل العضلات».

وقال أوربينا في ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية: «كان القلق هو مدى سهولة ذلك. الكثير من الأشياء التي استخدمناها متوفرة مجانا. يمكنك تنزيل مجموعة بيانات السمية من أي مكان».

علماء يحذرون: صخور فضائية قد تضرب الأرض في أي لحظة

لندن ـ «القدس العربي»:

أطلق علماء فضاء متخصصون تحذيراً بالغ الخطورة قالوا فيه إن ثمة كويكبات صغيرة وصخورا فضائية «غير مرئية» أو لا يمكن رصدها يمكن أن تداهم الكرة الأرضية في أية لحظة وبدون سابق إنذار.

وحسب العلماء فإن الكثير من الكويكبات يمكن أن يختفي تحت وهج الشمس بما يجعل من غير الممكن رصده من قبل البشر ويصبح من المحتمل أن يداهم الكرة الأرضية.

وكان أكبر كويكب قد ضرب الأرض منذ أكثر من قرن من الزمان، لكن العلماء يقولون إن صخرة فضائية كبيرة ضربت غرب روسيا في شباط/ فبراير 2013 وأحدثت موجة صدمة تعادل قوة 35 قنبلة مثل قنبلة هيروشيما الذرية، مما أسفر عن إصابة أكثر من 1600 شخص.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن العلماء رصدوا نيزكاً ضخماً ضرب الكرة الأرضية سابقاً وبشكل مفاجئ من دون أن يتم رصده وبدون أي سابق إنذار، وتساءلوا: كيف لم يكتشف أحد النيزك الذي يبلغ عرضه 60 قدماً (19 متراً) وهو يتجه نحونا مباشرة؟

ويقول الخبراء إن الجواب على السؤال هو أن النيزك كان مخفياً بسبب وهج شمسنا، حيث وصل إلى كوكبنا وارتطم به دون أن يرصده أحد أو يشعر به أحد.

وحسب ما نقلت «دايلي ميل» عن العلماء فإن «الأسوأ من ذلك، أنه لن يكون الوحيد» حيث يحذرون من أن عدداً «غير معروف» من الصخور الفضائية يمكن أن يتجه إلى الأرض دون أن يتم اكتشافه.

وحذر ريتشارد مويسل، رئيس قسم الدفاع الكوكبي في وكالة الفضاء الأوروبية، من أن «الكويكبات بحجم نيزك تشيليابينسك تضرب الأرض كل 50–100 عام تقريباً».

ويقول العلماء إنه يمكن الوقاية من الإصابات الناجمة عن الانفجارات الجوية أو الأحداث المماثلة إذا تم إبلاغ الناس عن تأثير قادم وتأثيراته المتوقعة.

وأضاف مويسل: «لو كان هناك تحذير مسبق، فسوف تكون السلطات المحلية قادرة على نصح الجمهور بالابتعاد عن النوافذ والزجاج».

ويقول تقرير «دايلي ميل» إن وكالة الفضاء الأوروبية تعتزم إطلاق مرصدها المداري (NEOMIR) في مهمة لرصد الأجسام القريبة من الأرض بواسطة الأشعة تحت الحمراء، على أن هذا المرصد سيتم إطلاقه في وقت لاحق من العقد الحالي، أي قبل العام 2030.

وحسب التقرير فسوف يكون المرصد بمثابة نظام إنذار مبكر لاكتشاف ومراقبة أي كويكب قادم نحو الأرض من اتجاه الشمس.

ويقع «نيوميير» في نقطة تسمى «لاغرانج» بين الأرض والشمس. وسيكون التلسكوب الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء قادراً على اكتشاف الكويكبات التي يبلغ طولها 65 قدماً (20 متراً) وأكبرها الكامنة حالياً في ضوء الشمس.

وأضاف مويسل: «ستكتشف مهمة نيومير القادمة لوكالة الفضاء الأوروبية الكويكبات مثل تشيليابينسك القادمة من نفس المنطقة في السماء مثل الشمس، مما يملأ فجوة حيوية في قدراتنا الحالية على التنبؤ والتخطيط للتأثيرات الخطرة».

وتعترف وكالة الفضاء بأن هناك احتمالاً بأن يصطدم كويكب أكبر مما يمكن للمرصد اكتشافه بالأرض، لكن مثل هذا السيناريو أقل احتمالاً، وذلك لأنه كلما زاد حجم الكويكب، قل عدده في النظام الشمسي وأصبح اكتشافه أسهل.

ويقول العلماء إنه تم بالفعل اكتشاف جميع الكويكبات التي يزيد عرضها عن نصف ميل (كيلومتر واحد).

وقال سكوت شيبارد، من معهد كارنيجي للعلوم في واشنطن بالولايات المتحدة، إن اكتشافات الأجسام القريبة من الأرض قد بدأت للتو، ويرجع ذلك جزئياً إلى تاريخ مراصدنا. حيث تميل معظم التلسكوبات إلى النظر بعيداً عن كوكبنا حتى تتمكن من تجنب وهج الشمس.

ومع ذلك، بدأت الدراسات الاستقصائية الجديدة تتجه نحو الاتجاه الآخر وتكشف عن المزيد من الأجسام القريبة من الأرض، بما في ذلك الكويكبات التي لم تُر من قبل.

وكتب شيبارد العام الماضي في مجلة «ساينس» المتخصصة بالعلوم: «تتحدى المسوحات التلسكوبية الجديدة وهج الشمس وتبحث عن كويكبات باتجاه الشمس أثناء الشفق».

وأضاف: «لقد وجدت هذه الاستطلاعات العديد من الكويكبات غير المكتشفة سابقاً داخل الأرض».

وتشمل الاكتشافات أول كويكب بمدار داخلي لكوكب الزهرة، والكويكب الذي يمتلك حالياً أقصر فترة مدارية معروفة حول الشمس.

ويقول العلماء إن هذه الصخور الفضائية موجودة منذ زمن، ولكن الآن بدأت التلسكوبات بالفعل بالوصول إليها ورصدها ومن ثم تأكيد وجودها.

ووفقاً لوكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» يوجد أكثر من 26 ألف كويكب قريب من الأرض، على الرغم من أن حوالي عشرة آلاف منها فقط أكبر من 450 قدماً (140 متراً). ويتم تصنيف هذه الكويكبات بناءً على موقعها في نظامنا الشمسي.

ويقول تقرير «دايلي ميل» إنه في عام 2026 من المقرر إطلاق التلسكوب الفضائي لمسح الأجسام القريبة من الأرض NEO Surveyor التابع لوكالة الفضاء الأمريكية للمساعدة في اكتشاف المزيد من هذه الكويكبات.

وسيتم وضعه بين الأرض والشمس لتحديد أفضل للصخور الفضائية التي لا يمكن رؤيتها في الوقت الحالي بسبب مواقعها في الفضاء.

ووفقاً للخبراء التابعين لوكالة «ناسا» يمكن لبعض الكويكبات أيضاً أن «تتسلل» إلينا بفضل شذوذ في دوران الأرض يجعلها تبدو وكأنها بالكاد تتحرك، مما يجعل من الصعب اكتشافها.

وحقق العلماء في الكيفية التي أخطات بها التلسكوبات تقريباً بخصوص كويكب يبلغ عرضه 328 قدماً جاء على بعد 43 ألفا و500 ميل من الأرض في عام 2019.

وصخرة الفضاء، التي أطلق عليها اسم «OK2019» كانت أول جسم بهذا الحجم يقترب من كوكبنا منذ عام 1908 ولكن تم رصده قبل 24 ساعة فقط من أقرب اقتراب له.

وقرر الفريق أن السبب هو أنه كان يتحرك نحونا بطريقة تجعل حركته عبر سماء الليل تتعارض مع دوران الأرض، وهو ما جعله يبدو وكأنه ثابت لا يتحرك وبالتالي لم يتم تشغيل برنامج الكشف الآلي.

ويقول الخبراء إن ما يصل إلى نصف الكويكبات التي تقترب من الأرض من المحتمل أن تمر بفترات من الحركة البطيئة الظاهرة. وهذا يعني أن نصف هذه الكويكبات قد يكون من الصعب اكتشافها في الوقت الحالي، وستحتاج التلسكوبات المحوسبة إلى التحديث لمراعاة التأثير.

ويعتقد العلماء أن معظم الأجسام القريبة من الأرض هي كويكبات تم إخراجها من الحزام الرئيسي بين المريخ والمشتري. ومع ذلك، يعتقد شيبارد أنه قد يكون هناك أيضاً خزانات داخلية مستقرة للأجسام القريبة من الأرض تحل محل الكويكبات التي تدور في النظام الشمسي الأوسع، أو تصطدم بكوكب، أو تطمسها الشمس.

هاتف «آيفون» المقبل قد يكون قابلاً للطي وهذه مواصفاته

لندن ـ «القدس العربي»:

تعتزم شركة «آبل» الأمريكية طرح هاتف «آيفون» قابل للطي، وهو ما يُمكن أن يكون مؤشراً على جيل جديد من هذه الهواتف بعد سنوات طويلة على ظهور «آيفون» الذي سبق أن أدخل إلى العالم تكنولوجيا الشاشات القابلة للمس.

وكانت قد ترددت الكثير من الشائعات سابقاً حول اعتزام «آبل» إطلاق أجهزة قابلة للطي، لكن التقارير كانت تقول في كل مرة إن الشركة أخرت الإنتاج بسبب المشاكل التي تعاني منها الطرز الأخرى، مثل العرضة للكسر وضعف الجودة.

وكشف تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، أن شركة «آبل» حصلت مؤخراً على براءة اختراع جديدة تشير إلى أن لديها جهازاً قابلاً للطي في طور الصنع من شأنه أن يسمح للمستخدمين بالتفاعل مع أجزاء متعددة من الهاتف الذكي لأداء مهام مختلفة.

وسيتم وضع الأزرار الافتراضية على جانبي الجهاز، ما يسمح للمستخدمين بالتحكم في الكاميرا ومستوى الصوت وسطوع الشاشة وخيارات أخرى.

وتقدم «آبل» حلاً لمنع التصدع، وميزات لمقاومة الإجهاد مثل طبقات البوليمر المطبقة كطلاء على مناطق معينة من الجهاز والشاشة.

وتؤكد «دايلي ميل» أنه لم يتم حتى الآن الكشف عن الجهاز القابل للطي، كما لم يتمكن أحد من رؤيته، ولكنه سيتيح لشركة «آبل» أن تدخل في منافسة مع «سامسونغ» الكورية الجنوبية والتي طرحت بالفعل جهازاً قابلاً للطي، وتكافح حالياً الادعاءات بأن الشاشات الموجودة على «Galaxy Z Fold 3» تتصدع «بدون سبب».

وحصلت شركة «آبل» على براءة الاختراع التي تصف جهازاً قد يحتوي على جدار أمامي وجدار خلفي متقابل وجدران جانبية منحنية، فيما يقول تقرير «دايلي ميل» إن الجدار الأمامي قد يكون مصنوعاً من الزجاج، والذي بدأت «آبل» في استخدامه في هواتف «آيفون 12».

وتقول براءة الاختراع: «قد يحتوي الجهاز الإلكتروني القابل للطي على جزء من وشفاف من الجدار ينضم إلى الجدران الشفافة المستوية». كما تشير إلى أن المكونات قد تتداخل بين الجدران المستوية الشفافة والجدران غير الشفافة، كما قد تتداخل طبقات العرض واللمس مع الجدران الشفافة وجزء الجدار المرن الشفاف. وتضيف: «يمكن أيضاً أن تتداخل هياكل مستشعرات اللمس مع الجدران غير الشفافة».

وحسب ما يبدو من براءة الاختراع من الممكن أيضاً تصميم الهاتف الذكي بحيث يحتوي على جزء حائط شفاف مرن ينضم إلى الجدران الشفافة المستوية.

وتقترح «آبل» أيضاً إضافة مناطق مفصلات في جميع أنحاء المنطقة التي ينحني فيها الهاتف الذكي، والتي سيتم تصميمها بطبقات مرنة من المواد، مثل البلاستيك أو المعدن.

وتشير صور براءة الاختراع إلى أن الهاتف سيفتح عمودياً لتوفير شاشة ممتدة أكثر، مقارنة بالموديلات الأخرى التي تفتح أفقياً لتشكيل جهاز يشبه الجهاز اللوحي.

اقتصاد

هل فرضت الوصاية الأمريكية على الاقتصاد العراقي؟

بغداد-«القدس العربي»: مصطفى العبيدي

يتابع العراقيون والمراقبون باهتمام كبير نتائج زيارة الوفد الاقتصادي العراقي إلى الولايات المتحدة قبل أيام، لما لها من آثار حاسمة على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للبلد حاضرا ومستقبلا، في ظل تداعيات الصراع الأمريكي الإيراني على الساحة العراقية والمنطقة.

وفي محاولة لاقناع الغدارة الأمريكية بتخفيف القيود على حركة الدولار التي فرضتها على العراق مؤخرا للحد من تحويلات هائلة للأموال العراقية إلى ايران وبعض دول الجوار، أرسلت حكومة بغداد وفدا اقتصاديا إلى واشنطن ضم وزير الخارجية فؤاد حسين ومحافظ البنك المركزي العراقي علي العلاق وكبار خبراء الاقتصاد والمال وممثلي بعض الوزارات، حيث أثارت الزيارة آراء متباينة بين ادعاء الوفد العراقي بنجاح مهمته، وبين مؤشرات فشل الزيارة وفرض الولايات المتحدة شروطها على العراق.

مؤشرات الفشل

وكانت العديد من المؤشرات أكدت صعوبة مهمة الوفد الاقتصادي في اقناع واشنطن لتخفيف قيودها المفروضة على حركة الدولار العراقي للحد من تدفقه نحو إيران وحلفائها، ضمن مساعي الولايات المتحدة لضبط الاقتصاد العراقي من خلال ربطه بها وبحلفائها وإبعاده عن التأثير الإيراني.

وفيما يبدو انه إقرار من حكومة بغداد بعدم امكانية تغيير الموقف الأمريكي، فقد وصف رئيس مجلس الوزراء محمد شياع السوداني، محاولة عرقلة عجلة الاقتصاد والعودة إلى التهريب ومخالفة القوانين، بأنه «رهان خاسر». وشدد السوداني أن «عجلة الإصلاح الاقتصادي ماضية إلى الأمام» وأن «من يراهن على العودة إلى الوراء وممارسة التهريب ومخالفة القوانين والتعليمات رهانه خاسر، فالحكومة وجميع أجهزتها المختصة ستواجه وبحزم كل المهربين والمضاربين، ومن يعرقل سير الإصلاح ويلحق الضرر بالاقتصاد العراقي ويؤثر في الوضع المعيشي للمواطنين».

وتزامن هذا التصريح مع حملة واسعة شنتها السلطات الأمنية على شركات الصيرفة والمصارف التي تقوم بشراء الدولار من السوق وتهريبه إلى الخارج، حيث تم الإعلان عن اعتقال العديد من المتورطين في هذه المسألة، للحد من قيام شركات صيرفة عراقية بشراء الدولار من السوق لتهريبه أو التلاعب بسعر صرفه، وذلك في أعقاب قرار البنك الفيدرالي الأمريكي مؤخرا، وضع قيود على تحويلات غير قانونية بمليارات الدولارات من العراق إلى الدول الأخرى، وهو ما اعتبرته واشنطن كسرا للعقوبات الدولية المفروضة على إيران وحلفائها.

وزير الخارجية العراقي فؤاد حسين الذي التقى في واشنطن بوزير الخارجية الأمريكي انتوني بلينكن أعلن ان الوفد العراقي طالب الأمريكان بتطبيق بنود الاتفاقية الاستراتيجية التي وقعها العراق والولايات المتحدة عام 2011. وقد عقد الوفد العراقي اجتماعات عديدة مع صناع القرارات المالية الأمريكية والبنك الدولي، من أجل اقناعهم بسلامة إجراءات الحكومة العراقية للحد من تهريب العملة، وهي مهمة ليست سهلة في ظل سكوت حكومات بغداد على التهريب الواسع للدولار إلى إيران منذ عام 2003 . كما بحثت الاجتماعات الوضع الاقتصادي في العراق ومشكلة المصارف وسعر صرف الدولار وإنتاج الغاز والنفط والكهرباء وغيرها.

ومن أجل تطمين الجانب الأمريكي إلى مساعي حكومة بغداد للابتعاد عن الاعتماد على النفط والغاز الإيراني، أكد فؤاد حسين «أننا نعمل من أجل تحقيق الاستقلالية في مجال الطاقة» مدعيا انه «لا يمكن ان يكون العراق دولة نفط وغاز وليس لديه كهرباء» ومشددا ان الحكومة العراقية قررت مؤخرا تفعيل الاتفاقيات المبرمة مع شركات مختلفة لاستخراج الغاز من الحقول، وانه سيتم أيضا إبرام اتفاقيات مع شركات أخرى للاستثمار في مجال الغاز المصاحب للنفط، حيث يعد العراق ثاني دولة في العالم في إهدار الغاز.

تركيز أمريكي على اقتصاد العراق

أما وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، فأكد في كلمته خلال المؤتمر الصحافي مع وزير الخارجية العراقي «أن بلاده تعمل على تعزيز الاقتصاد العراقي وإعادة دمجه بالمنطقة في إطار العلاقات الاستراتيجية التي تربط البلدين» موضحا «تركز الآن بشكل مكثف للغاية على البعد الاقتصادي لتلك الاتفاقية».

وفي تشديد على إبعاد العراق عن الاعتماد على النفط والغاز الإيراني ذكر بلينكن: «سيتم التركيز بشكل خاص على الطاقة والكهرباء في اتفاقية الإطار الاستراتيجي» مؤكدا أن العراق «يمكنه ويجب عليه أن يكون مستقلا في مجال الطاقة». وهي إشارة إلى رفض أمريكي لاعتماد حكومة بغداد على النفط والغاز الإيراني بالتزامن مع هدر متعمد للغاز العراقي ورفض دعوات استثماره من قبل الشركات المحلية والعالمية.

وقد لوحظ ان بلينكن لم يتطرق في تصريحاته إلى القضية الرئيسية المتعلقة بحركة الدولار في العراق، وهو يدل على ان الإدارة الأمريكية لم تغير قيودها ولم تستجب للمطالب العراقية. فيما أكدت مصادر مطلعة ان الموقف الأمريكي كان متشددا بضرورة قيام العراق بإعادة النظر بنظامه المصرفي الذي فيه ثغرات كبيرة تسمح بتهريب الأموال العراقية إلى ايران ومساعدتها في كسر الحصار والعقوبات عليها. كما كشفت واشنطن انها تراقب وبدقة عالية غسيل الأموال وتهريب العملة في العراق، ولذا حذرت بغداد بضرورة ضبط حركة الدولار لديها، وإلا فان الدينار العراقي سيكون مصيره الانهيار كما حصل مع الليرة السورية واللبنانية.

وذكر البيان المشترك للبلدين انهما قررا «تسريع الجهود لاستغلال الغاز المحترق، وتحديث البنية التحتية لتوزيع الغاز الطبيعي، والربط الإقليمي لشبكة الكهرباء العراقية، وتحديث البنية التحتية للكهرباء في العراق، واستكشاف فرص الطاقة المتجددة» وأشاد الوفد الأمريكي بـ«التزام العراق بمشاريع الربط الكهربائي الإقليمي مع الأردن والمملكة العربية السعودية» كما حثا على استخدام الطاقة الشمسية. وأكد الوفدان «تطابق وجهات النظر بأن السعي لأجندة طموحة لاستقلال الطاقة أمر ضروري لتحقيق أقصى قدر من الازدهار الاقتصادي للعراق وحماية سيادته».

فيما أكد محافظ البنك المركزي علي العلاق نية البنك إطلاق الحزمة الثانية من الإجراءات التي من شأنها تعزيز استقرار سعر صرف الدولار، مؤكدا أن «المنصة الإلكترونية الجديدة لتجنب وقوع أية عقوبات على الجهات التي تقوم بعمليات التحويل سواء كانت مصارف أو غيرها، فهي حماية للقطاع المصرفي وللبنك المركزي وللبنوك من الوقوع في أي اشكال يتعلق بالتحويلات المالية الخارجية وهذا يخدم جميع الأطراف».

محللون اقتصاديون عراقيون أشاروا إلى إن البنك الفيدرالي الأمريكي منح العراق مهلة قصيرة لكي يلتزم بمراقبة حركة أمواله، وفق المعايير الدولية والابتعاد عن غسل الأموال والتحويلات غير الرسمية.

وكشف الأكاديمي والخبير في الشؤون السياسية والإستراتيجية سمير عبيد، في سلسلة تغريدات على صفحته الشخصية في موقع تويتر «ان واشنطن فرضت عدداً من الشروط على العراق من أجل تجاوز أزمة الدولار وتهريبه إلى الخارج، وأن من الشروط الأمريكية التي وقعها الوفد العراقي بواشنطن فتح مكتب فيدرالي بعمان مهمته مراقبة حركة الأموال العراقية». وكشف أن «السوداني كسر حاجز التردد والمجاملة مع قادة الإطار (حلفاء إيران) وأخبرهم بالشروط الأمريكية الصارمة التي وقع عليها الوفد العراقي في واشنطن والتي باتت ملزمة» حسب قوله، وهو ما عده «فرض الوصاية الأمريكية على الاقتصاد العراقي بتوقيعهم بواشنطن».

انتقادات شيعية

ولعل أبرز مؤشرات فشل الوفد العراقي في تغيير الموقف الأمريكي هو ردود الأفعال الغاضبة من قوى الإطار التنسيقي الحليف لإيران الذي عبر عن عدم القناعة بنتائج تحرك وزير الخارجية في واشنطن وتعهد بارسال رئيس الحكومة محمد السوداني إلى واشنطن لهذه الغاية.

ووجهت قوى الإطار اتهامات متنوعة للولايات المتحدة، تارة بانها تسعى للسيطرة على العراق واقتصاده مع دعوات للتخلص من الهيمنة المالية الأمريكية على العراق. إضافة إلى مطالبات لحكومة السوداني بالتوجه لبيع النفط إلى الهند والصين ودول أخرى، بعملات غير الدولار، بعيدا عن النظام المالي الأمريكي الذي يتحكم باقتصاد العالم. وفيما ذكرت بعض مصادر الإطار ان واشنطن اتخذت من اتفاقية تصدير النفط إلى الأردن عبر أنبوب (بصرة ـ العقبة) أحد شروط حل أزمة الدولار، ادعى آخرون ان التحرك الروسي الصيني الفرنسي نحو العراق مؤخرا، دفع واشنطن إلى فرض قيود للضغط على الحكومة العراقية اقتصاديا.

وبعيدا عن النوايا والأهداف، فإن المراقبين يرون ان الإجراءات الأمريكية مرحب بها من أغلب العراقيين، كونها مفيدة لبلدهم وتحد من استنزاف أموال العراق من قبل الدول الأخرى، كما يرون ان قرارات البنك الفيدرالي الأمريكي ممنهجة ومدروسة لتوجيه الاقتصاد العراقي ومنع استغلاله من قبل إيران وحلفائها. أما حكومة بغداد، التي وقعت بين المطرقة الأمريكية والسندان الإيراني، فليس أمامها إلا الالتزام بالقيود الأمريكية، بالرغم من الضغوط التي تمارسها القوى الولائية العراقية عليها، والتي تعكس عدم استعداد إيران للتخلي عن البقرة العراقية الحلوب، وسط ترقب الخطوات الإيرانية القادمة للالتفاف على القرارات الأمريكية.

الاقتصاد التونسي: هل يصبح نادي باريس قدرا لا مفر منه؟

تونس-«القدس العربي»: روعة قاسم

سجل الاقتصاد التونسي نموا بنسبة 2.4 في المئة سنة 2022 مقابل 4.3 في المئة في 2021 وبلغت النسبة في الربع الأخير من سنة 2022 قرابة 1.6 في المئة. وهي نسب ضعيفة جدا، بإجماع كل الخبراء، ولا تحقق التنمية ولا تخلق مواطن الشغل ولا تساهم في تحسين معيشة التونسيين التواقين إلى تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية.

وتركز الحكومة جهودها الحثيثة على إقناع صندوق النقد الدولي بجديتها في القيام بالإصلاحات اللازمة التي طالبت بها هذه المؤسسة المالية الدولية كشرط أساسي للموافقة النهائية على منح تونس القرض الذي وافق عليه خبراؤها في وقت سابق. فقد كان من المفروض أن تحصل الموافقة النهائية مع نهاية العام الماضي لكن الصندوق أرجأ الملف التونسي بدون ذكر الأسباب التي رأى البعض أنها سياسية تتعلق بعدم رضا الدول الفاعلة في الصندوق على أداء الرئيس سعيد، فيما رأى البعض الآخر أن التأجيل سببه عدم استيفاء الملف للشروط المطلوبة.

والحقيقة أن المبلغ الذي خصصه صندوق النقد الدولي لتونس، زهيد ولا يتعدى 1.9 مليار دولار ولن يحل مشاكلها الاقتصادية لكنه سيمنحها ثقة مؤسسات مالية أخرى ودولا مانحة تنتظر موافقة الصندوق لتضخ أموالها في الخزينة التونسية. فموافقة خبراء الصندوق، تعني بالنسبة لباقي المانحين أن الاقتصاد التونسي سيتعافى وأن البلد قادر على سداد أقساط قروضه، وبالتالي يمكن النسج على منواله بدون خشية أو خوف من عدم السداد.

كما سيشجع هذا القرض وكالات التصنيف الائتماني السيادي على رفع تصنيف تونس الذي تدهور كثيرا في السنوات الأخيرة بعد أن كانت تحتل مراتب متقدمة تجعلها تقترض في أي وقت دون الحاجة إلى دولة ضامنة للسداد، وتقتني البضائع التي تشاء من الأسواق العالمية دون اشتراط السداد المسبق كما هو حاصل اليوم. فالتصنيفات الحالية اقتربت من الحضيض حتى وصل بعضها إلى CAA2 مع آفاق سلبية فبات الوضع خطيرا ولا يحتمل أي تخفيض جديد من أي من هذه الوكالات التي باتت مرآة عاكسة للأوضاع الاقتصادية للبلدان يعتمدها المستثمرون والمانحون الماليون والمتعاملون في المبادلات التجارية. وتحتاج تونس لقرض 12.6 مليار دينار أي ما يعادل 4.05 مليارات دولار لتغطية عجز ميزانية السنة المنقضية. ووفق قانون الميزانية لهذا العام، فإن البلاد بحاجة لتعبئة موارد خارجية بقيمة 14.8 مليار دينار أي ما يعادل 4.7 مليار دولار، وإلى قروض داخلية من البنوك المحلية بقيمة 9.5 مليار دينار أي ما يعادل 3 مليار دولار.

بدائل عديدة

ولعل السؤال الذي يطرح ماذا لو رفض صندوق النقد الدولي منح تونس هذا القرض أو ماطل فيه إلى أجل غير معلوم، ما هي البدائل الممكنة في هذه الحالة لبلد أهمل موارده الذاتية وتكاسل عن استخراج ثرواته الطبيعية وتراجعت صادراته وإنتاجه في كافة الميادين، وجنح إلى أسهل الحلول وهي التوريد والاقتراض؟ هل بات نادي باريس الذي يدفع إليه بعض خبراء الاقتصاد في البلاد قدرا لا مفر منه وهو الذي قد يملي على تونس شروطا جديدة منها ضرورة التطبيع مع الكيان الصهيوني كشرط للخروج بها من أزمتها الاقتصادية؟

يؤكد عديد الخبراء على أن الذهاب إلى نادي باريس ليس قدرا لا مفر بالنسبة لتونس، وأن هناك بدائل عديدة منها ماهو قريب ومنها ما هو بعيد المدى ويمكن العمل عليه للسنوات القليلة المقبلة. فالتكثيف من الصادرات ضرورة ملحة وخصوصا مادة الفوسفات، سواء تم تصديره خاما أو صنعا بالمجمع الكيميائي التونسي خاصة وأن الطلب متزايد على هذه المادة وارتفع سعرها بشكل خيالي مع أزمة الغذاء العالمية.

فحسب خبراء فإن عودة تونس إلى إنتاجها العادي من الفوسفات لسنة 2009 والذي توقف بعد الثورة بسبب كثرة الإضرابات في مراكز الإنتاج في الحوض المنجمي، وهو 10 مليون طن، والذي أهلها في ذلك الوقت لتحتل المرتبة الثانية عالميا، سيجعلها تستغني عن الاقتراض وتسدد تدريجيا ما يذمتها من ديون سابقة. والأمر ممكن حسب هؤلاء بسبب الطلب المتزايد على الأسمدة الفلاحية ووجود أسواق فعلية تطلب الفوسفات التونسي ذا الجودة العالية ولا تتمكن الدولة من تلبية الطلب ورفع الإنتاج.

وتذهب أصابع الاتهام إلى دول شقيقة، بعضها منافس لتونس وبعضها الآخر يرغب في الهيمنة على قرارها السياسي بالضلوع في تعطيل الإنتاج بعد أن تم اختراق البلد في غفلة من أهله مع بدايات الثورة وقاموا بتفكيك بعض الأجهزة. ونتيجة لهذه الاختراقات وشراء بائعي الذمم تم الدفع إلى كثرة الإضرابات وإلى عدم تجديد مراكز الإنتاج بالتجهيزات والآلات وقطع الغيار اللازمة لتطوير إنتاج الفوسفات طيلة العشرية الماضية.

التضخم والديون

ومن الحلول أيضا التخفيض في العجز في الميزان التجاري مع دول مثل الصين وتركيا والجزائر التي تستورد منها تونس سلعا كثيرة لا تحتاجها السوق وتحقق معها عجزا كبيرا ولافتا في الميزان التجاري استنزف مدخرات البلاد من العملة الصعبة في السنوات الأخيرة. ومن بين الإصلاحات التي يطالب بها صندوق النقد الدولي الخفض في نسبة العجز في الميزان التجاري، وفي هذا الإطار تتوقع الحكومة في قانون المالية لسنة 2023 أنه بإمكانها خفض عجزها إلى 5.5 في المئة.

ومن الحلول بعيدة المدى للنهوض بالاقتصاد التسريع في نسق إنتاج الطاقات البديلة ومسابقة الزمن في ذلك مع تطوير الإنتاج في بعض حقول النفط والغاز والعودة إلى التنقيب لاكتشاف غيرها. فتوريد المحروقات أهم ما يستنزف رصيد البلاد من العملة الصعبة ويحدث الخلل في الميزان التجاري في السنوات الأخيرة بعد أن تراجع الإنتاج المحلي من المحروقات مقابل ارتفاع الاستهلاك.

ولعل التحدي الأكبر فيما يتعلق بالاقتصاد هو الحد من نسبة التضخم التي وصلت مع نهاية العام الماضي إلى 10.1 في المئة، مع توقعات بأن تصل هذه النسبة إلى 11 في المئة في 2023. والسبب في ذلك هو رفع الأسعار من جهة بسبب الرفع التدريجي للدعم والتكلفة المرتفعة للمواد الاستهلاكية، مقابل الزيادة في الأجور من جهة أخرى استجابة للضغوط النقابية الممارسة على الحكومات.

ومن التحديات التي تواجه الاقتصاد التونسي هذا العام أيضا مسألة الارتفاع المتوقع في الدين العام والذي بلغ حجمه إلى حد الآن أكثر من 35.5 مليار دولار، ستون في المئة منه ديون خارجية. فمن المتوقع أن يرتفع هذا العام كل من الدين الخارجي والداخلي باعتبار عزم الحكومة الاقتراض من الخارج ومن البنوك التونسية على حد سواء وذلك رغم التحذيرات التي تتلقاها بعض هذه البنوك من بعض الجهات ومنها وكالة موديز للتصنيف والسبب في ذلك أن بعض البنوك التونسية تغلب إقراض الدولة على تمويل مشاريع الخواص من التونسيين وغيرهم وتتخلى بالتالي على دورها التنموي فتحقق أرباحا قياسية تبدو غريبة في دولة حكومتها عاجزة.

مدن وآثار

قصبة الجزائر معرض مفتوح على التاريخ وأحد معاقل الثورة الجزائرية

الجزائر – «القدس العربي»: محمد سيدمو

في كل بيت وركن وزقاق من حاضرة القصبة العريقة في العاصمة الجزائرية، يسكن جزء من تاريخ البلاد ضد المستعمر الفرنسي، فالمدينة رغم عوامل الزمن، لا تزال تحتفظ داخل أسوارها بتفاصيل وأسرار مذهلة، تداعب أخيلة الباحثين عن استنطاق المكان ليروي لهم شيئا من سيرة هؤلاء الأبطال الذين سكنوا هذه الأرض ولم يرتاحوا حتى رأوها شامخة محررة.

ليست القصبة مجرد مدينة عتيقة، فهي معرض مفتوح على التاريخ بكل حقباته التي مرت على العاصمة الجزائر أو «دزاير» كما ينطقها ساكنوها بهذه الرنة الموسيقية المحببة. فالمدينة التي بنيت على ربوة مرتفعة تنحدر إلى خليج العاصمة، يختلف المؤرخون إلى اليوم في تاريخ تشييدها، لكنهم يؤكدون أنها كانت دائما مركزا مهما في المتوسط، منها يتحصن السكان من الغزاة ويحتمون من الرياح وظواهر الطبيعة، وعبرها يخططون لتسيد البحر وفرض حمايتهم على السفن التي تمر عبره.

وأكثر الروايات رجاحة، أن القصبة بشكلها الحديث تأسست في القرن العاشر من قبل سلالة الزيريين وهم من القبائل الأمازيغ في الجزائر، وازدهرت بقدوم الأندلسيين الذين وجدوا فيها ملجأ بعد سقوط ممالكهم، لكنها في غمرة التكالب الصليبي على البلاد، احتمت بالعثمانيين من غزو إسباني وشيك في القرن السادس عشر ميلادي، فبدأ حكم إيالة الجزائر الذي عرفت فيه القصبة أزهى عصورها، حيث شيدت قصور فخمة لا تزال في كامل رونقها إلى اليوم وأقيمت منازل تسمى «الدويرات» بهندسة تراعي الطابع الإسلامي المحافظ، وعاش بين ظهراني المسلمين فيها حتى اليهود الذين كانت لهم بيوتهم الخاصة.

ويوجد في أسفل القصبة اليوم عدة قصور أهمها قصر «الداي» الذي يعرف أيضا بدار السلطان، وقصور «الرياس» و«خداوج العمية» و«دار عزيزة» وكل منها يروى حوله أساطير وروايات. وتمتاز هذه القصور، بأبوابها الحديدية العالية التي يوجد بها مقبضان للطرق، واحد في وسط الباب والآخر في الأعلى. ويقول المرشدون إن المقبض العلوي، كان يستعمله الأمراء والوجهاء عند عودتهم لبيوتهم، لأنهم كانوا يحرصون على عدم النزول من أحصنتهم عند دق الباب، حتى تبقى هيبتهم كبيرة بين الناس. وقصور القصبة وديارها، عبارة عن منازل مربعة مكونة من عدة طوابق يتوسطها فناء كبير مكشوف، تحيط به الغرف من كل مكان. ويخصص الطابق السفلي في العادة للخدم كما يوجد به حمام بخار وأماكن للوضوء تبرز تقديس المسلمين للنظافة.

كما تمتلئ المدينة بعدة مساجد، أبرزها جامع كتشاوة الذي أعيد ترميمه قبل سنوات بالتعاون مع السلطات التركية وهو من أجمل مساجد العاصمة ويحظى برمزية كبيرة فقد حوله الاستعمار الفرنسي إلى كنيسة سنوات الاستعمار وعاد لوظيفته الأولى عقب الاستقلال، ناهيك عن جوامع أخرى بينها الجامع الكبير الذي كان يؤدي الرؤساء فيه صلوات الأعياد قبل أن يبنى جامع الجزائر الأعظم. وتنتشر في أزقة القصبة جوامع صغيرة مخفية، تسهيلا على السكان لأداء صلاة الجماعة والالتقاء في المسجد الذي كان يقوم بأدوار اجتماعية وسياسية وتعليمية أساسية في إدارة المدينة في الحقب السابقة.

القصبة الثائرة في وجه فرنسا

وبعد الغزو الفرنسي على الجزائر سنة 1830 وسقوط حكم العثمانيين، بدأ تاريخ جديد للقصبة، فقد تحولت لمركز للجزائريين المسلمين في المدينة الباحثين عن الاحتفاظ بهويتهم وعدم الاختلاط مع المعمرين الذين شيدوا مساكن حديثة محاذية للقصبة وشوارع بعمران أوروبي مختلف تماما. وتغير بفعل حركة البناء الجديدة، جزء من واجهة القصبة السفلية، كما طمست بعض المعالم كما لو أن الاستعمار حاول إخفاء القصبة وجعلها في ظهر العاصمة الجزائرية بعد أن كانت على مدار قرون في الواجهة، لكنه لم يكن يعلم، وفق ما سارت إليه حركة التاريخ بعد ذلك، أن هذه المدينة التي لا تموت ستكون بعد قرن و20 سنة من احتلال البلاد، القلب النابض في

تأسست في القرن العاشر من قبل سلالة الزيريين

فيها جامع كتشاوة من أجمل مساجد العاصمة

معركة تحرير الجزائر وأنها ستدفع في سبيل ذلك من كل بيت شهيدا أو شهيدين.

وبالفعل، بدأ الوعي الوطني بالتحرر من المستعمر، باكرا في القصبة مع ظهور الحركة الوطنية التي ناضلت في البداية سلميا في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي وساهمت في بروز الشخصية الجزائرية بأبعادها ومقوماتها التي لا يمكنها الذوبان في الوعاء الفرنسي. ولما حان وقت الكفاح المسلح، كانت القصبة في الطليعة، وتحولت بسرعة فائقة إلى مركز عمليات، فقد احتضنت قيادة «معركة الجزائر» وهي سلسلة العمليات الفدائية التي عاشتها العاصمة الجزائرية من نهاية سنة 1956 إلى غاية أيلول/سبتمبر 1957 والتي أشرف عليها كبار قادة الثورة، في صورة العربي بن مهيدي وبن يوسف بن خدة وعبان رمضان وياسف سعدي وغيرهم، وبرزت فيها جميلات الثورة من الفدائيات وأشهرهن جميلة بوحيرد. وسمحت معركة الجزائر، التي تخللها إضراب الثمانية أيام من 28 كانون الثاني/يماير إلى 4 شباط/فبراير 1957 بنقل الثورة من الجبال والقرى، إلى قلب المدينة، على مرأى ومسمع من الصحافة العالمية، وهو ما سرّع من مسار عرض القضية الجزائرية أمام هيئة الأمم المتحدة.

وفي مقابل الوهج الثوري للقصبة، قابل الاستعمار الفرنسي سكانها بحملة قمع منقطعة النظير، مسلطا عليها عتاة الجنرالات المعروفين بدمويتهم يقودهم السفاح بيجار. فقد انتبهت السلطات الاستعمارية مبكرا إلى الخطورة التي تشكلها المدينة عليها، وعمدت لتقطيع أوصالها في البداية ووضع مراكز تعذيب للفدائيين داخلها، ولم تتورع عن تفجير منازل بأكملها بمن فيها من سكان، من أجل إخماد صوت الثورة، كما حدث في العملية الشهيرة التي استشهد فيها أبطال معركة الجزائر، علي لابوانت، حسيبة بن بوعلي، عمر الصغير ومحمود بوحاميدي، يوم 8 تشرين الأول/أكتوبر 1957 وهو المكان الذي أعيد ترميمه ووضعت فيه السلطات نصبا مخلدا لذكراهم التي يتم إحياؤها كل سنة.

وعي حديث بمعالم القصبة الثورية

وفي الفترة الأخيرة، برز وعي بإعادة توثيق الأحداث الثورية الكبرى بالقصبة والتعريف بأماكنها التي ساهمت بقوة في نصرة الثورة الجزائرية ونقلها للأجيال الجديدة عبر مواقع التواصل. يقود هذه الحركة عدد من أبناء القصبة المولوعين بالتاريخ، ومن أبرزهم المتحدث في تاريخ المدينة عثمان بوراس، الذي يصور باستمرار معالم القصبة ورجالاتها وينظم قعدات في الدويرات الشهيرة مع مجاهدين كبار ما زالوا على قيد الحياة.

وفي واحد من أكثر الفيديوهات انتشارا، يظهر مجموعة من سكان القصبة برفقة المجاهدة زهرة ظريف بيطاط الشهيرة بوضع قنبلة في حانة ميلك بار بالعاصمة، عند عتبة منزل عائلة بلحفاف التي قدمت 7 شهداء وكان منزلها يحتضن لقاءات قادة معركة الجزائر. كانت المجاهدة ضريف تروي رهبتها عند دخول المنزل أول مرة بعد أن طُلب منها الاحتماء داخله وكيف استقبلتها سيدة البيت التي كان يهابها الجميع. ثم عقّب عثمان بوراس، معرفا بالبيت الذي قال إنه احتضن أول اجتماع للشهيد العربي بن مهيدي، وتحدث عن المجاهد عبد الرزاق بلحفاف الذي بقي حيا من بين إخوته، مشيرا إلى أنه لم يتكلم منذ الاستقلال بحرف واحد ورفض أن تكون له بطاقة مجاهد رسمية التي يتقاضى حاملوها راتبا شهريا مجزيا في الجزائر.

ويرى مهدي براشد الكاتب المهتم بتاريخ القصبة وعمرانها، أنه كان طبيعيا أن يشكل حي القصبة معقلا من معاقل الثورة الجزائرية، ليس فقط بما اصطلح على تسميته «معركة الجزائر» بل منذ اندلاع الثورة التحريرية وحتى قبلها. وقد شكلت حسبه في بداية الثورة التحريرية ملجأ لكثير من المسؤولين في الثورة، وهناك من عاش فيها وتزوج أمثال كريم بلقاسم ومحمد بوضياف، كما شكلت ملجأ لكثير من الثوار الذين لجأوا إليها من مناطق أخرى قبل أن يلتحقوا بالجبل.

ويذكر براشد في حديثه مع «القدس العربي» عدة أسباب لذلك منها أن القصبة كانت تشكل أكبر تجمع سكاني للجزائريين في العاصمة، بكثافة سكانية عالية، وتضم عائلات من شتى مناطق البلاد، خاصة موجات الهجرة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

أما الأمر الآخر حسبه، فهو الطبيعة العمرانية للقصبة التي تشكل أزقة ملتوية ضيقة تتلاصق فيها الدويرات، بشكل دوامة يصعب الدخول والخروج والتجول فيها بسهولة على الغريب، إضافة إلى أسطحها الملتصقة والتي تشكل هي الأخرى درجات علوية تمكن من عبور القصبة دون أن يراك أحد، ووجود دويرات كثيرة لها مدخلان مختلفان، ناهيك عن قرب هذا التجمع السكاني للجزائريين من المدينة الأوروبية، ومن فحص الجزائر (الريف العاصمي).

وما يبرز متاهة القصبة للغرباء، وفق براشد، أن المخرج الفرنسي جوليان دو فيفييه حين أنجز فيلمه «بي بي لو موكو» بطولة جان غابان في سنة 1937 جاء للمدينة، لأن فكرة الفيلم كانت قائمة على هروب مجرم فرنسي من فرنسا إلى الجزائر والاختباء فيها حتى لا يطاله البوليس لصعوبة دخول هذه المدينة.

ويذكر المتحدث لقطة من الفيلم، وقف فيها المفتش مونييه أمام محافظ الشرطة لمدينة الجزائر ومساعديه، شارحا صعوبة القبض على بي بي الموكو وهو داخل القصبة، فيصفها قائلا: «مشهد من فوق يبين حي الجزائر الذي نسميه القصبة، عميق كما الغابة، يغلي كحجر النمل، ودرجات طويلة فوقها أسطح، كل سطح درج يفضي إلى البحر. وبين درجاتها أزقة ملتوية مظلمة، أزقة على شكل مصيدة، وأخرى تتقاطع، وأزقة فوق أخرى، وأزقة تتعانق بشكل فوضوي مشكلة متاهة متشعبة. أزقة بعضها ضيق وبعضها مسقف كأنها أقبية. وفي كل جنب وفي كل جهة درجات، وعقبات كأنها سلالم، ومنحدرات تفضي إلى هوات مظلمة بروائح كريهة، وأروقة أرهقتها الرطوبة، مظلمة، شوارع خالية يسكنها الصمت، شوارع بأسماء غريبة شارع العجز، شارع مدينة السمسم، شارع فندق العسل، شارع بوعقاشة. إنهم أربعون ألف في حيز لا يحتمل إلا 10 آلاف..».

بيوت القصبة التي احتضنت أبطال الثورة

رغم أن العديد من الديار انهارت بالقصبة إلا أنه ما زال هناك شواهد عنها يسرد أهمها مهدي براشد:

● منزل 6 شارع «rue de la gazel» والذي يسمى شارع علي لحمر حاليا. له مدخل على نهج «لافيكتوار» بباب جديد تحت رقم 12 وهو بيت علي تامغليت، أول بيت دخله البطل الشهير علي لابوانت، أتى به عمي علي معروف (توفي في 2022) واسمه الحركي موح دزيري، أطلقه عليه كريم بلقاسم، من الزغارة مع والدته. ومن كان وسيطا بين علي لابوانت وعمي معروف وبين ياسف سعدي هو أحمد الغراب (شهيد)، واسمه الحقيقي احمد روبيبي (أحمد شايب) الذي سمي على اسمه شارع طنجة. وحين نفذ علي لابوانت مع ياسف سعدي عملية قتل دركي آذى الجزائريين كثيرا، بمقهى بوكاس، فرا من بيت تامغليت من ناحية نهج لافيكتوار وخرجوا من شارع لاغازال. علي تامغليت حين قبض عليه أخذ إلى البيت الذي ولد فيه بـ 05 شارع هنيبال وقتل هناك في 28 تشرين الأول/أكتوبر 1958.

● في شارع «la rue des thebes» هناك البيت الذي فجره البوليس الفرنسي في السر. فبعد إعدام أحمد زبانة في 19 حزيران/يونيو 1956 خرج أبناء القصبة ثلاثة أيام، للرد، سقط عاشور مايدي الذي كان ملاكما في شارع ميزون، حين فتشوا في أوراقه وجدوا أنه يسكن في2 شارع تاب، فعادوا ومعهم محافظ شرطة الدائرة الخامسة بنفسه. بعد شهرين، وضعوا قنبلة في منتصف الليل، استشهد في الجريمة عدة أطفال ونساء ورجال، وفيه أصيب يحيى بن مبروك الذي يسكن في الحي. هناك قراءات تقول إن هذه القنبلة هي التي دفعت الجبهة إلى اتخاذ قرار المعاملة بالمثل ووضع القنابل في الأماكن التي فيها مدنيين فرنسيين.

● في مكان يدعى كوشة الخندق، أمام البناية رقم 02 يسقط غزوي قدور أول شهيد في القصبة، في 24 آب/أغسطس 1955 غير بعيد عن مسكن شامة بوفجي التي كانت تدرس البنات الصغار وكان من تلميذاتها جميلة بوباشا (إحدى جميلات الثورة).

في أسفل القصبة عدة قصور أهمها قصر الداي الذي يعرف أيضا بدار السلطان

● دار القبقاب أو دار مصطفى قماطي الحلاق، البيت الذي يسكنه محمود بوحاميدي. كان مأوى لجميلة بوحيرد زهرة ظريف حسيبة بن بوعلي الصغير عمر بوحاميدي علي لابوانت ياسف سعدي. انتقل ياسف وظريفة وبوحيرد إلى دار فتيحة أطالي زوجة مصطفى بوحيرد غير بعيد عن دار القبقاب، ثم ألقي عليهم القبض. بينما انتقل الأربعة الآخرون إلى دار أخرى فجرت عليهم بعد 15 يوما.

رياضة

عقم وخذلان في دوري أبطال أوروبا... وقروش تضيء الليالي المنسية!

نجم سان جيرمان ميسي أخفق امام البايرن

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور:

على غير العادة، لم تف الجولة الافتتاحية لدور الـ16 لدوري أبطال أوروبا، بكامل وعودها، بتلك الجرعات أو الوجبات الكروية الخفيفة، التي أحبطت الملايين من عشاق كرة القدم الجميلة، بحصيلة تهديفية أقل ما يُقال عنها «فقيرة جدا»، بمعدل يلامس نصف هدف في كل شوط، أو هدف في كل مباراة، باستثناء مباراة واحدة انتهت بأكثر من هدف، وهي الأضعف والأقل مشاهدة بفوز بنفيكا على كلوب بروج بنتيجة 2–0، بينما الأسوأ، كان غياب المتعة والإثارة والجنون وتلك الأشياء المعروفة عن ليالي الثلاثاء والأربعاء، ما تسبب في ضرب نسبة المشاهدة في مقتل، بعد توجه أنظار الأغلبية الكاسحة للملاذ الآمن، بمتابعة مؤجلات البريميرليغ والليغا في نفس التوقيت، والجديد هذه المرة، الإقبال التاريخي على المشاهدة في ليالي الخميس المنسية، من أجل عيون من وصفهم طيب الذكر جوزيه مورينيو، بالقروش الفاشلة القادمة من ذات الأذنين إلى غياهب اليوروبا ليغ، أبرزهم كما تابعنا لقاء السحاب بين برشلونة ومانشستر يونايتد.

آفة الأثرياء

ظهرت مؤشرات الخذلان الكروي في معركة تكسير العظام بين باريس سان جيرمان وبايرن ميونيخ، بداية أقل ما يُقال عنها صادمة للمشجع المحايد، الذي رسم في خياله مباراة من زمن العمالقة، بذكريات نهائي نسخة كورونا الصامت في العام 2020، والحرب الشعواء في ربع نهائي النسخة قبل الأخيرة، بيد أنه في الأخير، استيقظ على مباراة تندرج تحت مسمى «متوسط المستوى»، وبالنسبة للبعض، كانت أقل من ذلك، خاصة في الشوط الأول، الذي جاء بآخر وأسوأ سيناريو كان ينتظره الجميع، بعودة آفة النادي الباريسي في هكذا مواعيد، وتجلى ذلك في توتر وسرحان جُل اللاعبين، بنفس السيناريو المحفور في أذهان مشجعيه في إقصائيات الأبطال. الفارق هذه المرة، أنهم كانوا محظوظين بما فيه الكفاية، بسماع أجراس الخطر مبكرا، وليس بعد فوات الأوان، على غرار صدمة مانشستر يونايتد في إياب نفس المرحلة عام 2019، وسرقة العام الماضي أمام كريم بنزيمة وباقي رفاقه في ريال مدريد. ويكفي أن المدرب كريستوف غالتيه، الذي تسلح بالثنائي الذهبي ليونيل ميسي ونيمار جونيور في التشكيل الأساسي، لم يهدد مرمى حامي عرين الضيوف يان سومر، إلا مرة واحدة على مدار 45 دقيقة، مقابل 10 محاولات لنظيره يوليان ناغلزمان، منها فرصتان مؤكدتان داخل الإطار الخشبي، وهذا في حد ذاته، لم يكن بالأمر المفاجئ بالنسبة للمتابعين الجيدين لمسار كلا العملاقين في الأسابيع القليلة الماضية، ولنا أن نتخيل أن فريق الأحلام المدجج بالأساطير والميغا ستارز، دخل الاختبار البافاري بعد انتصارين وهزيمتين وتعادل في آخر 5 مباريات في مختلف المسابقات، اكتملت بالخسارة المرجحة أمام موناكو بنتيجة 3–1 في عطلة نهاية الأسبوع، بعد أيام تعد على أصابع اليد الواحدة من الخروج من كأس فرنسا على يد الغريم الكلاسيكي الآخر مارسيليا. وفي المقابل، عرف البايرن طعم الانتصارات 3 مرات في آخر 5 مباريات، من دون أن يتجرع من مرارة الهزيمة، آخرها الاستعراض على بوخوم بالثلاثة، في نفس توقيت سقوط الباريسيين أمام ممثل الإمارة المستقلة، ليجني الفريق البافاري ثمار الصحوة المتأخرة، بتحقيق الهدف المنشود، بوضع قدم في الدور ربع النهائي، قبل ملحمة إياب «آليانز آرينا» المقررة في الثامن من مارس / آذار المقبل.

هدوء ما قبل العاصفة

بإلقاء نظرة عامة على أحداث قمة باريس والبايرن، والأسباب الجوهرية التي قادت كبير الألمان لأخذ الأسبقية قبل موقعة الحسم، سنجد منها الاستغلال المثالي للتفاصيل البسيطة والقراءة الموفقة من قبل المدرب ناغلزمان. ولعل من شاهد المباراة في النقل المباشر، لاحظ كيف حافظ الفريق الألماني على تفوقه وسيطرته شبه المطلقة على مجريات الأمور مع بداية الشوط الثاني، كرسالة مزدوجة لأصحاب الأرض، بأنه لم ولن يكتفي بما قدمه في الشوط الأول، وأيضا رفع مستوى التحذير، في ما كانت أشبه بصافرات الإنذار التي لا يحمد عقباها، وهذا ما حدث، بعد دقائق قليلة من لمسة المدرب الشاب، بإقحام الكندي ألفونسو ديفيز في مكانه في مركز الظهير الأيسر، على حساب الوافد الجديد جواو كانسيلو مع بداية الحصة الثانية، ليرسل هدية العمر للباريسي المولد والهوى كينغسلي كومان، ليذيق نادي الطفولة والمراهقة من نفس مرارة نهائي 2020، بتسديدة ثعبانية غادرة في شباك المغلوب على أمره جانلويجي دوناروما، الذي اكتفى بمحاولة خجولة مع الكرة، لحفظ ماء وجهه أمام المشجعين، في ثاني تجسيد من قبل كومان للمقولة المأثورة «علمته الرماية... ولما اشتد ساعده رماني»، والدليل على ذلك، أنه لم يسجل مرتين في إقصائيات الكأس ذات الأذنين في فريق واحد، سوى في شباك الفريق الذي اكتشف موهبته في الطفولة. كل هذا ولم يكن النادي الباريسي، قد سجل حضوره في المباراة، بمعاناة انطبعت على ملامح وجه البرغوث وصديقه البرازيلي، لصعوبة اختراق ثلاثي الدفاع البافاري، ونفس الأمر بالنسبة لفيراتي وسولر وبدرجة أقل الموهوب الصغير وارين زايير إيمري، الذي خطف الأضواء بحضوره الطاغي ومكره الكروي في تحدياته المباشرة مع لاعبين أكثر منه خبرة، مثل كيميتش وغوريتسكا، أما غير ذلك، بالأحرى في المعركة الجماعية على دائرة الوسط، فكانت في قبضة بايرن ميونيخ، تارة بالاندفاع البدني الهائل على أول مدافع باريسي، وتارة أخرى بهيمنة مطلقة على الكرة مع تنوع في شن الغارات على مرمى أفضل حارس مرمى في يورو 2020، الذي لولا تألقه في أكثر من اختبار محرج، لكانت موقعة إياب «آليانز آرينا»، مجرد 90 دقيقة تحصيل حاصل، إلى جانب الطاقة الإيجابية التي بعثها الفتى المدلل كيليان مبابي، بعد مشاركته في الشوط الثاني على حساب الصغير إيمري في آخر نصف ساعة، تلك الفترة التي تحركت خلالها المياه الراكدة، بوضوح جريئة على حامي عرين الضيوف، كادت واحدة منهم أن تسفر عن هدف العودة إلى الحياة في آخر ربع ساعة، لولا وقوع نونو ميندير في مصيدة التسلل قبل أن يرسل تمريرة الهدف الأبيض لمبابي، بالإضافة إلى فرصة ميسي الضائعة بغرابة في الدقائق الأخيرة، الأمر الذي اعتبره المدرب غالتيه، مبررا لتحفيز اللاعبين والرأي العام قبل رحلة بافاري، معتقدا أن صحوة رجاله في آخر 25 دقيقة، تعطيه مؤشرا إيجابيا يمكن البناء عليه في الاختبار الفارق، الذي يعرف جيدا أن نتيجته ستكون مصيرية بالنسبة لمستقبله في «حديقة الأمراء»، فهل سينجح في فك شفرة البايرن وينجو من مقصلة الإقالة؟ هذا ما سنعرفه الشهر المقبل.

تعثر الإنكليز

في نفس توقيت القمة الفرنسية الألمانية، كان ميلان العظيم، على موعد مع استعادة، ولو جزء بسيط من أمجاده ومغامراته، في بطولته المفضلة في عصر الرئيس الأسطوري برلوسكوني، محققا أول انتصار في مراحل خروج المغلوب في دوري أبطال أوروبا، منذ عقد من الزمان، على حساب ضيفه الإنكليزي المتربع توتنهام، بهدف نظيف حمل توقيع المهاجم المديدي إبراهيم دياز في أول سبع دقائق، ولولا التفنن في باقي الفرص التي أتيحت لجيرو وليانو على وجه التحديد، لعاد كونتي وفريقه إلى عاصمة الضباب بأكثر من هدف، لكن في الأخير، اتفق الجميع على أحقية الروزونيري في الفوز المعنوي، الذي جاء في توقيت مثالي بالنسبة للمدرب ستيفانو بيولي، للتغلب على أحزانه المحلية، بتلك السلسلة الكارثية، التي توقفت بالفوز الشاق على تورينو في عطلة نهاية الأسبوع، بنفس نتيجة ملحمة السبيزر، في المقابل، أخذ على مواطنه أنتونيو كونتي، مبالغته في تحفظه الدفاعي، وإصراره على ما تُعرف على «كرة القدم القبيحة»، بحصر تركيز لاعبيه على فكرة البحث عن ركلة ثابتة بالقرب من مربع العمليات، كما وضح في مشاهد سقوط هاري كاين ورفاقه في المواجهات المباشرة مع سايمون كايير وباقي المدافعين ولاعبي الوسط، وذلك بحثا عن المخالفات المباشرة وغير المباشرة والركنيات، وليس لتهديد الحارس سيبريان تاتاروسانو من خلال اللعب المباشر والمفتوح، وهذا يعدنا إلى مربط الفرس، حول فقر محتوى مباريات الجولة الافتتاحية للدور ثمن النهائي لأم البطولات، والدليل على ذلك، أن أكثر مشجعي السبيزر تفاؤلا، كانوا على يقين، أن فريقهم لن يسجل إلا من خلال هدية من دفاع الخصم أو بضربة حظ من كرة ثابتة، للنسخة الباهتة التي بدا عليها الفريق، حتى بعد تأخره بهدف مبكر، بإصرار غريب من قبل المدرب، على الرسم التكتيكي 3–4–3، مع تعليمات صارمة للظهيرين بيريسيتش وإيمرسون، بالبقاء في وسط ملعبهم، واحد لإيقاف انطلاقات دياز المفاجئة من اليمين، والآخر لمجاراة ليانو وثيو هيرنانديز، في الجهة اليسرى النارية للميلان، حتى تدخلاته في آخر 20 دقيقة، باعتماده على ريشارليسون وأرنوت غرونفيلد على حساب هيونغ مين سون وكولوسيفسكي، وقبلهما حل بن ديفز محل كليمون لينغليه في الدفاع، لكن الأمر كان تطبيقا للمقولة الشهيرة «كأن شيئا لم يكن»، بنفس الإستراتيجية المتجحرة، التي كانت واضحة وضوح الشمس بالنسبة لبيولي، الذي عرف كيف يفرض أفكاره على كونتي، بحرمانه بامتياز من رفاهية الهجمات المعاكسة، التي يراهن عليها الميستر كونتي في هكذا مواعيد، لكن هذه المرة، أسفرت عن واحدة من أسوأ مبارياته الأوروبية مع الديوك، استكمالا لحالة التخبط، التي بدأت تهدد كونتي ومشروعه أكثر من أي وقت مضى، بعد فضيحة عطلة نهاية الأسبوع، بالسقوط أمام ليستر سيتي بالأربعة.

ولم يكن ممثل الإنكليز الثاني في هذه الجولة، أوفر حظا من جاره اللندني، والحديث عن تشلسي، الذي واصل عروضه ونتائجه المحطمة لآمال المشجعين تحت قيادة المدرب غراهام بوتر، بالانحناء أمام بوروسيا دورتموند بهدف مارادوني من إمضاء كريم أديمي، في مباراة كانت كاشفة لوضعية واستعداد كل فريق، أحدهما لم يعرف سوى طعم الفوز في 6 مباريات، منها 5 مباريات على التوالي في حملة البوندسليغا، بينما الآخر الأزرق، فلم يحقق سوى انتصارين في آخر 13 مباراة في كل البطولات، والمثير للقلق، أن الهزيمة جاءت بصورة كربونية من الانتكاسات المحلية، باستقبال أهداف سهلة، مقابل التفنن في إهدار الفرصة السهلة تلو الأخرى، كما شاهدنا القادم من أتلتيكو مدريد على سبيل الإعارة جواو فيليكس، وهو يهدر بمفرده فرصتين منهما هدية لا ترفض من كاي هافرتز، بخلاف الفرصة التي أنقذها الحارس ولامست القائم الأيمن في نهاية المباراة، ليبقى بوتر وفريقه في تلك الدائرة المفرغة، التي يعرفها الصغير قبل خبراء التحليل، باللغز الكبير في الثلث الأخير من الملعب، تلك الإشكالية التي تكشفها لغة الأرقام، على الأقل في حملة البريميرليغ، بالاكتفاء بتسجيل 23 هدفا في أول 22 جولة، ما يعني أنه في حال فشل المدرب في العثور على طريقة أو آلية لحل هذا الصداع، فلن تقوم للبلوز قائمة في ما تبقى من الموسم، بالعربي الفصيح، لن يعود لدائرة المنافسة على المراكز الأربعة المؤهلة لدوري الأبطال الموسم المقبل، وسيعاني كثيرا للإبقاء على آماله في تخطي بوروسيا دورتموند والذهاب بعيدا في ذات الأذنين، ولو أن هذا لا يمنع حقيقة، أن الأداء الجماعي لتشلسي كان مقبولا أمام أسود الفيستيفاليا، وكان الأمر اللافت، هو عودة أسد التيرانغا كاليدو كوليبالي، إلى شيء من مستواه الذي كان عليه مع نابولي في الدوري الإيطالي، بعد تعرضه لانتقادات قاسية في الأشهر الماضية، لفشل ثنائيته برفقة تياغو سيلفا، والسؤال الذي يفرض نفسه: هل سينجح بوتر في تدارك أخطاء مباراة الذهاب ويقلب الطاولة على دورتموند في إياب «ستامفورد بريدج» الشهر المقبل؟ هذا ما سنعرفه في السابع من مارس / آذار المقبل.

نجم دورتموند أدييمي يحتفل بهدف الفوز في مرمى تشلسي

إثارة القروش الفاشلة

على النقيض من مباريات الكبار في ليالي الثلاثاء والأربعاء، وجد عشاق اللعب الجميل، ضالتهم في قمة اليوروبا ليغ، التي جمعت برشلونة بمانشستر يونايتد على ملعب «كامب نو»، وانتهت بهدفين في كل شبكة، ضمن مواجهات ذهاب دور خروج المغلوب الإقصائي، وكان من الممكن أن تنتهي بتعادل أو فوز تاريخي لأحد الفريقين، بعد هذا الكم الهائل من المحاولات الجريئة والفرص المؤكدة التي أتيحت للعملاقين، بما في ذلك الشوط الأول الذي انتهى على نتيجة البياض، قبل أن يحدث الانفجار الكبير في الـ45 دقيقة الثانية، بأسبقية لأصحاب الأرض، برأسية من القادم من تشلسي ماركوس ألونسو، إثر ركلة ركنية نفذت من الجهة اليمنى، ليأتي الرد السريع من المتوهج في فترة ما بعد كأس العالم ماركوس راشفورد، ثم بهدية بالنيران الصديقة من المدافع الفرنسي كوندي في شباك زميله الألماني تير شتيغن، واكتملت الإثارة بعودة البارسا في النتيجة، بلمسة إبداعية من البرازيلي رافينيا، شارك فيها جلاد الجلادين روبرت ليفاندوسكي. وما أثار إعجاب المشاهد المحايد، بالأحرى ما عوض خذلان وضعف مباريات الأبطال، تلك التنافسية والرغبة الجامحة في تحقيق الفوز من كلا الفريقين، ناهيك عن الجودة الفائقة والتقارب الكبير في مستواهما سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وإلا لما ظلت معلقة وقابلة لكل الاحتمالات حتى اللحظات الأخيرة من الوقت المحتسب بدلا من الضائع، وهو السيناريو المتوقع والمنتظر في إياب «أولد ترافورد» المقررة يوم الخميس، لكن السؤال هنا: هل ستكون المواجهة بمثابة الملاذ الآمن مرة أخرى وتكتسح مواجهات كبار الأبطال في ختام مرحلة ذهاب دور الـ16 وعلى رأسهم النهائي المكرر للنسخة الأخيرة بين ليفربول وريال مدريد؟

دعونا ننتظر ونأمل بأن نحظى بمشاهدة ممتعة في الأسبوع الأوروبي الجديد.

صراع برشلونة يونايتد الرائع انتهى بالتعادل

كيف اغتال غواردیولا حلم تلميذه آرتيتا؟

غواردیولا (يمين) الى جانب أرتيتا

لندن – «القدس العربي»:

ضرب الأصلع الكتالوني بيب غواردیولا، بيد من حديد، ملحقا بتلميذه ومواطنه ميكيل آرتيتا، كل معاني الألم والقهر النفسي، بعد انقضاضه على صدارة الدوري الإنكليزي الممتاز، للمرة الأولى في حملة الدفاع عن اللقب للموسم الثالث على التوالي، بفضل الانتصار المظفر، الذي حققه مانشستر سيتي على حساب آرسنال بثلاثية مقابل هدف، في القمة التي جمعتهما على ملعب «الإمارات» مساء الأربعاء الماضي، ضمن مؤجلات الجولة الثانية عشرة للبريميرليغ.

توابع الفخ

لمحاولة فهم أو تفسير ما يحدث مع مدفعجية الشمال منذ بداية شهر عيد الحب، علينا أن نتذكر ما حدث في مباراة الفخ الكبير، التي استضافها ملعب «الاتحاد» أواخر الشهر الماضي لحساب الدور الرابع لكأس الاتحاد الإنكليزي، وآنذاك كانت جُل التوقعات والمراهنات تصب في مصلحة فريق المدرب آرتيتا، المنتشي باثنين من أهم انتصاراته هذا الموسم، على حساب عدو الحي توتنهام والمنافس الكلاسيكي آرسنال على التوالي، لكن في الأخير، لم يجد الفيلسوف صعوبة في ممارسة هوايته المفضلة، باستعراض طغيانه على ضحيته المفضلة في لندن، ذاك الفريق الذي لم يعرف سوى طعم الهزيمة في آخر 10 مباريات أمام المان سيتي على مستوى البريميرليغ، منهم 6 انتصارات في معقل الغانرز، من دون أن يتمكن ميكيل آرتيتا من تحقيق ولو انتصار واحد على حساب أستاذه، مكتفيا بمشاهدة السجل المروع لفريقه، بهز الشباك السماوية مرتين في تسع مباريات، أضيف لهم الهدف الثالث، الذي سجله بوكايو ساكا من علامة الجزاء في سهرة الأربعاء العاشرة، ما تسبب في إحداث هزة عنيفة في مشروع آرتيتا، أسفرت عن ذاك النزيف الحاد في النقط، بداية من الهزيمة المفاجئة أمام إيفرتون في الأسبوع الـ22، مرورا بالسقوط في فخ التعادل أمام بريتنفورد بهدف لمثله في عطلة نهاية الأسبوع الماضي، نهاية بالضربة القاضية أمام دابته السوداء، التي كبدته فاتورة باهظة الثمن، بالتخلي طواعية عن صدارة الدوري، بفارق الأهداف عن السيتيزنز، ومباراة أقل نتيجتها في علم الغيب، والمقررة مطلع الشهر المقبل ضد إيفرتون، ضمن مؤجلات الأسبوع السابع.

واقعية الفيلسوف

«قمة آرسنال ومانشستر سيتي أثبتت أن آرتيتا أمامه مسار طويل ليصبح مثل غواردیولا»، بهذه الكلمات، لخصت صحيفة «ميرور»، حال آرسنال ومدربه الإسباني، حتى يكون مؤهلا للسير على خطى بيب، وهذا وضح في فارق الخبرة وطريقة إدارته لقمة الأربعاء، مقارنة بدهاء وخبث مُعلمه، الذي عرف كيف يسير الأمور في الشوط الأول، وتحديدا الربع ساعة الأول، الذي نجح خلاله في امتصاص حماس الجماهير اللندنية، إلى أن سرق الأسبقية بهفوة دفاعية استغلها كيفن دي بروين على أكمل وجه، ورغم استفاقة صاحب الأرض، ووقوفه الند للند أمام الضيف في ما تبقى من الشوط، حتى تمكن من إدراك هدف التعديل قبل الذهاب إلى غرفة خلع الملابس بين الشوطين، إلا أن الأوضاع تبدلت 180 درجة في الشوط الثاني، بتفوق سماوي مرعب.

والتفوق لم يكن على مستوى الاستحواذ والسيطرة على الكرة، بتلك الثقافة المحفورة في الأذهان عن غواردیولا، بل في التهديد الحقيقي والمباشر على حامي عرين آرون رامسديل، بعد انكشاف الفوارق الفردية بين خبرة المدربين وجودة اللاعبين، وشاهدنا كيف أحكم السيتي قبضته على أم المعارك، مع ارتفاع وتيرة الضغط على جورجينيو وتشاكا وأوديغارد، وعدم قدرتهم على الخروج السلس بالكرة، كما كان الوضع في الشوط الأول المتكافئ فنيا وبدنيا، على عكس ما حدث في الشوط الثاني، من انهيار بدني للاعبي آرسنال، مقابل انفجار سماوي، بقيادة المدمر الاسكتلندافي إيرلينغ براوت هالاند، الذي جسد المقولة الدارجة بين المدربين والمعلقين «صنع الفارق»، بمساهمته في الهدف الثاني، وقتل المباراة إكلينيكيا برصاصة الرحمة الثالثة، بعد إبداع وتفوق على ثنائي قلب دفاع المدفعجية ساليبا وغابرييل، ظهر في تحركاته المرعبة بين الخطوط، التي فتحت مساحات شاغرة لدي بروين وفودن بعد مشاركته بدلا من غريليش على الأطراف، مقدما محاضرة مجانيا للمهاجمين، في كيفية تطويع إمكاناته وقدراته لمصلحة المنظومة الجماعية، أو ما يُعرف بالمهاجم المحطة، التي يبني عليه المدرب كل إستراتيجيته في الثلث الأخير من الملعب، وهذا تقريبا ما جاء من أجله الشاب العشريني، كما قال بنفسه في بداية الموسم «جئت من أجل اللحظات الصعبة».

تاريخ مروع

صحيح كل المؤشرات والتوقعات كانت تصب في مصلحة آرسنال حتى وقت قصير، باعتباره البطل المفضل والمحتمل للدوري الإنكليزي الممتاز، لكن المدفعجي الأصيل، مثل الزملكاوي القديم في مصر، لا ينسى أبدا، باع ناديه وفصوله الباردة في التخلي عن الصدارة، والتدهور في الأمتار الأخيرة، بذكريات حملة 2002–2003، عندما هيمن رجال آرسين فينغر على الصدارة حتى بداية مارس / آذار، بفارق ثماني نقاط عن مانشستر يونايتد، وفي الأخير تركوا اللقب للشياطين الحمر، وتكرر الأمر في حملة 2007–2008، حين تسيد الفريق اللندني الصدارة منذ سبتمبر / أيلول وحتى مارس / آذار، وفي نهاية المطاف، ذهب اللقب إلى السير أليكس فيرغسون ورجاله. ومؤخرا تخلى الغانرز عن مقعدهم في دوري أبطال أوروبا، بعد الحفاظ على مسافة آمنة في المركز الرابع، إلى أن وقعت الواقعة في آخر 3 جولات، بالتحطم على يد توتنهام ثم نيوكاسل يونايتد، لينتهي بهم المطاف في المركز الخامس مع إطلاق صافرة نهاية الموسم، والعكس 180 درجة بالنسبة للمان سيتي، الذي يتمتع بتاريخ حافل من الاستفادة القصوى من عثرات خصومه، أشهرها خطف لقب ازلزاقة ستيفن جيرارد، ومرتين مع ليفربول في حقبة يورغن كلوب بفارق نقطة واحدة، وهذا الأمر في حد ذاته، يضع غواردیولا وفريقه في وضع أفضل في السباق على اللقب.

الرفاهية والجودة

واحدة من الأمور التي تصب في مصلحة مانشستر سيتي، وتجعله في الوقت الراهن، المرشح المفضل للاحتفاظ بلقب البريميرليغ، الفارق الهائل في جودة اللاعبين في جُل المراكز، وخاصة في الدفاع والهجوم، ويظهر ذلك في التأثير الإيجابي الهائل لعودة صخرة الدفاع روبن دياز، الذي أثبت بشكل عملي، أنه يمثل 50% من قوة الدفاع السماوي، بعد تدهور أوضاع الدفاع في فترة غيابه في بداية الموسم، مقارنة بالنسخة التي يبدو عليها في وجوده، مقدما نسخة تحاكي عجائب فيرجيل فان دايك في سنوات ذروته مع ليفربول قبل انتكاسته بقطع في الرباط الصليبي، وبدون مبالغة، أشبه بالقادة الذين ساهموا في تعظيم دور قلب الدفاع في الألفية الجديدة، أمثال جون تيري في تشلسي وريو فرديناند مع اليونايتد ورامos في سنوات المجد مع ريال مدريد وإلخ. وكذا الأمر بالنسبة للفوارق الهائلة على مستوى الهجوم، في ظل وجود هالاند، مقابل معاناة آرتيتا في العثور على بديل للزجاجي غابريل جيزوس في مركز رقم (9)، فضلا عن التنوع في الأسلحة الهجومية، المتمثل في الوفرة العددية الهائلة في الثلث الأخير من الملعب، في جواهر ومواهب بحجم فخر العرب النسخة الجزائرية رياض محرز، وبرناردو سيلفا، وفل فودن، وجوليان ألفاريز، من دون أن نتحدث عن الهدايا المتوقعة من خبثاء من طينة دي بروين وإلكاي غندوغان وكالفن فيليبس من الوسط، وهي أشبه بالرفاهية التي لا يتمتع بها المدرب آرتيتا في تشكيلته، بجانب صداع الاختيارات المعقدة التي تنتظر آرسنال خارج قواعده أمام منافسين بحجم ليفربول والمنافس المباشر مانشستر سيتي ونيوكاسل يونايتد، مقارنة بـ«السيتيزينز»، الذي تخلص نهائيا من اختباراته أمام الستة الكبار خارج ملعبه، من دون أن ننسى ناقوس الخطر الأكثر وضوحا، بالانخفاض الملموس في منحنى أداء ونتائج آرسنال والعكس بالنسبة للسيتي مع بدء العد التنازلي لما تعرف بأسابيع وأشهر الحسم في دوريات أوروبا الكبرى، فهل سينجح آرتيتا في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح؟ أم يواجه مصير يورغن كلوب ويتحسر على ضياع اللقب في الأمتار الأخيرة؟ هذا ما ستجيب عنه أقدام اللاعبين في أسابيع الحسم.

كيف تحول حلم الصينيين بصنع قوة كروية عالمية الى كابوس!

لندن – «القدس العربي»:

لطالما أصبحت كرة القدم القوة الناعمة الجديدة في عالم الدول العظمى والواعدة، بل الوسيلة المثالية لتلطيف الصورة وتنظيف ما تفسده وتوسخه القرارات السياسية، حتى انها تجلب المداخيل والأرباح، لكن يبدو حلم الرئيس الصيني شي جينبينغ بأن يرى بلاده تصبح قوّة عالمية في اللعبة الشعبية، أبعد من أي وقت مضى، في وقت تستهدف تحقيقات بشبهات فساد شخصيات كبرى في كرة القدم الصينية.

ولا يُخفي الرئيس شي وهو من مشجّعي كرة القدم، رغبته بأن يرى الصين، الدولة العملاقة اقتصاديا وديموغرافيا، تستضيف بطولة كأس العالم وحتى الفوز بها يوما ما. وقبل سنوات، احتلّت الأندية الصينية العناوين العريضة في الصحافة بسبب المبالغ الباهظة التي أنفقتها بهدف التعاقد مع لاعبين أجانب. لكن منذ ذلك الحين، اختفت عشرات الفرق بسبب صعوبات مادية وأيضا بسبب سياسة «صفر كوفيد» التي عزلت الصين عن العالم لقرابة ثلاث سنوات.

وحملة مكافحة الفساد التي أطلقها الرئيس تشمل أيضا أوساط كرة القدم المحلية التي واجه أربعة مسؤولين معنيين فيها على الأقل ملاحقات قضائية منذ تشرين الثاني/نوفمبر. أبرزهم رئيس الاتحاد الصيني لكرة القدم تشن شويان الذي يواجه تحقيقا بشبهة «انتهاكات خطيرة لقواعد السلوك والقانون» بحسب إعلان الهيئة الحكومية المعنية بالشؤون الرياضية هذا الأسبوع. وفي العام الماضي استهدف تحقيق أيضا لي تي، المدرب السابق للمنتخب الوطني ولاعب كرة القدم في الدوري الممتاز في سنوات عقد الـ2000.

ويؤكّد المستشار الرياضي وليام بي ومقرّه بكين: «أنه على الأرجح أكبر تحقيق بشبهة فساد على الإطلاق أجري في كرة القدم الصينية» معتبرا أنه أهمّ من ذلك الذي كشف تلاعبا بنتائج مباريات ورشى ومراهنات محظورة قبل عشر سنوات. وترشح تشن الذي كان موظفا في ميناء شنغهاي، لرئاسة الاتحاد الصيني واعدا بتغيير وجه الكرة المحلية وكبح جماح الدوري المعروف بإنفاقه المفرط وسوء الإدارة المالية. لكن التغيير كان بطيئا، وفشلت الصين في التأهّل الى مونديال 2022 في قطر، ما كلّف المدرّب لي منصبه. ولم تتأهل الصين المصنّفة 79 عالميا، سوى مرة واحدة لكأس العالم في 2002. وخسر المنتخب الصيني المباريات الثلاث التي خاضها ولم يسجل أي هدف خلالها.

ويُعتبر لي البالغ 45 عاماً، أحد أكثر اللاعبين الصينيين خوضا للمباريات الدولية واشتُهر مع نادي ايفرتون الانكليزي في مطلع الألفية الثالثة. وبعد لي وتشن، خضع مسؤولان كبيران آخران في الاتحاد الصيني، هما تشن يونغلينغ وليو يي، لتحقيقات في كانون الثاني/يناير. ولم يُكشف رسميا عن أي من المخالفات المنسوبة إلى المسؤولين الأربعة ولم تردّ الإدارة العامة للرياضات على طلب الاعلاميين التعليق على المسألة.

وتشرح بينغ وو، وهي أستاذة محاضرة بارزة في علم الاجتماع الرياضي والدراسات الإعلامية في جامعة بيدفورد شاير البريطانية أن التسويق المبكر لكرة القدم النخبوية في الصين جعلها «غنية جدا مقارنة بالرياضات الأخرى» في البلاد. وتذكر أن «حيثما تبرز أموال بكثرة، يكون الفساد شائعا. هذه ظاهرة عالمية». لكن حتى قبل حملة مكافحة الفساد الحالية، تخلّت الأندية الصينية عن الإنفاق المفرط الذي كان يستقطب لاعبين معروفين على غرار البرازيليَين أوسكار وهالك إضافة إلى الأرجنتيني كارلوس تيفيز. ومنذ 2020، أحدثت سياسة «صفر كوفيد» اضطرابا في المباريات، وأفرغت الملاعب وتسببت بإلغاء أحداث رياضية عالمية مثل كأس آسيا التي كان يُفترض أن تستضيفها البلاد. ويشرح بي أن «الكثير من الفرق تعاني من صعوبات مالية ومعظمها لديها مدفوعات متأخرة» مضيفا أن ذلك يشكل «تناقضا صارخا مع سباق البحث عن الذهب قبل سبع أو ثماني سنوات». ويقول إن «لا شكّ في أن الصين متخلفة في طموحها بأن يصبح منتخبها لكرة قدم فريقا أساسيا على المستوى العالمي، مضيفا «لقد بلغ تطوّر كرة القدم الصينية مستوى متدنيا جديدا».

ويرى سايمون تشادويك الأستاذ المحاضر في الرياضة والاقتصاد الجيوسياسي في كلية سكيما للأعمال في باريس، أن الفساد ليس سوى عنصر من «مشكلة هيكلية ومنهجية أكبر بكثير» من كرة القدم الصينية. ويعتبر أن هذه المشكلة هي «مزيج سام من دولة استبدادية ورجال أعمال ومستثمرين مضاربين» حاولوا الضغط من أجل تطوير كرة القدم في الصين. ويذكّر أن «الدول تستغرق عادة عقودا لإرساء أسس النجاح على مستوى النخبة» واصفا الضجة التي أثيرت على خلفية شبهات بفساد باعتباره «رد فعل غريزياً على الفشل على المدیين القصير والمتوسط».

غير أن بينغ وو متفائلة. وتقول إن رغم كل شيء «أصبحت الصين قوة عظمى في (عقود) رعاية كرة القدم»، متوقعةً أن تقوم بكين بحملة تطهير القطاع وأن تضاعف جهودها على التأهل الى مونديال 2026، الذي سيتنافس فيه للمرة الأولى 48 منتخباً، مقابل 32 سابقاً، وذلك قبل أن تأمل باستضافة البطولة. وتشير إلى أن «تنظيم الألعاب الأولمبية الصيفية في بكين عام 2008 وتلك الشتوية في 2022 سمح للصين بإحراز تقدم في العديد من الرياضات التي لم تكن تُعتبر قوية فيها». وتضيف: «كذلك، استضافة نهائيات كأس العالم ستكرّس التطوّر السليم لكرة القدم للرجال في الصين».

لي تي مدرب المنتخب الصيني حالياً

خلدون الشيخ

ماذا قد يحول دون تملك القطريين لمانشستر يونايتد؟

أقفل باب تقديم العطاءات الأولية لتملك نادي مانشستر يونايتد، في نهاية يوم الجمعة، مع الاعلان عن أن أبرز العروض مقدم من الشيخ القطري جاسم بن حمد آل ثاني، مع توقع الاعلان عن هوية المالك الجديد في غضون 6 أسابيع، لكن هل ستكون هناك أي عقبات في وجه اتمام هذه الصفقة؟

لا شك أن فكرة تملك ناد انكليزي أصبحت تراود رجال الاعمال واصحاب المال بسبب المغريات التي يمثلها الدوري الانكليزي، الأكثر دخلاً ومشاهدة في عالم كرة القدم. وعلى عكس المعتقد السائد بأن المستثمرين وأصحاب المال هم من اقحموا أنفسهم في «لعبة الفقراء»، فان الشواهد التاريخية تؤكد ان البداية في نهاية القرن التاسع عشر كانت بلجوء اللاعبين الى أثرياء القرية أو المدينة للمساهمة في دعم الفريق والنادي، بشراء لوازم اللعب من قمصان متطابقة وكرات وتأمين وجود ملاعب تدريبية بل حتى انشاء بنى تحتية بينها استاد بيتي، قبل ان تتحول في مطلع الـ1900 الى تجارة مربحة في انكلترا مع اكتساب اللعبة شعبية متزايدة، فآثر التجار والأثرياء الاستفادة من هذه الشعبية والحضور العالمي، وصولا الى يومنا هذا بتملك الاندية من مجموعات استثمارية وأيضا صناديق سيادية، بسبب الفوائد الكبيرة على المدیين المتوسط والبعيد، وهي فوائد ليست بالضرورة مادية فقط.

لطالما كان مانشستر يونايتد هدفاً مغرياً للمستثمرين، فهو من الاعلى دخلا، ومن الاكثر شعبية في العالم، وصاحب تاريخ حافل بالألقاب والانجازات، وبالتالي أرباحه عادة ما تكون مضمونة، وخير دليل على ذلك، ما فعلته عائلة غليزر الامريكية، التي اشترت النادي عبر قروض طويلة الأجل ضمانتها النادي نفسه، عندما دفعت 760 مليون جنيه استرليني في 2005، ليس بينها جنيه واحد من جيبها، ولهذا هي لا تحظى بشعبية كبيرة بين المشجعين منذ أرهقت النادي بديون و«حلبته» من مداخيله الطبيعية، واليوم هم يتطلعون الى الحصول على نحو خمسة الى ستة مليارات جنيه إسترليني لبيعه، ما سيحطم الرقم القياسي لسعر نادي كرة قدم، الذي سجّله تشلسي العام الماضي عندما دفع «كونسورتيوم» بقيادة تود بويلي 2.5 مليار جنيه إسترليني لشراء الـ«بلوز» مع وعد بقيمة 1.75 مليار إضافية في استثمارات مستقبلية بالبنية التحتية واللاعبين.

تفاجأت من تبادل التهاني والتبريكات بين القطريين والعرب منذ فجر يوم الجمعة على تملك مانشستر يونايتد، ومن هذا الاندفاع نحو الثقة في نجاح العطاء، بل ان المتحفظ منهم اعتبر ان الأمر يحتاج الى «خطوة بسيطة» قبل الاعلان الرسمي، بل فعلا هناك من أشاع أن الأمر حسم رسمياً، لكن الواقع غير ذلك تماماً. فمع اغلاق باب العطاءات، واعتبار العرض القطري الأكبر قيمة من بين مهتمين يعتقد انهم الملياردير البريطاني جيم راتكليف ومجموعتان سعوديتان ومثلهما أمريكيتان، فهل تضمن القيمة الكبيرة للعرض القطري الحصول على الملكية، ام انه قد يواجه عوائق تمنعه من ذلك؟

أول مشكلة هي عملية انتقاء الفائز بالصفقة، لانها تمر عبر أكثر من مفتش ومدقق، بدءاً بشركة «راين» المالية، التي تدير عمليات بيع النادي لصلحة عائلة غليزر، ففي ستديو اللقاءات الفردية مع المهتمين لمعرفة نواياهم، والاهم توافر قيمة العرض المقدم وكيفية الدفع، وبعدها سينتقل المهتمون الى المرحلة الثانية، وهي اختيار عائلة غليزر للعرض المناسب، وأقول المناسب وليس بالضرورة الأكبر قيمة، لأن العلاقات تلعب دوراً في تلميع مظهر العرض، من حيث منح اغراءات بأسهم في شركات أخرى، أو تسهيلات هنا وهناك في مشاريع في هذا البلد أو ذاك. وبعد الاختيار ينقل الطلب الى مكاتب الحكومة البريطانية التي عليها منح توصيات بالموافقة او الرفض او ابداء ملاحظات، قبل ان ينتقل الطلب الى المحطة الاخيرة، وهي رابطة الدوري الانكليزي الممتاز، التي عليها اجراء اختبار «المالك الجديد»، للبحث في خلفيته ومعرفة من سيدير شؤون النادي ومن يتحمل المسؤولية، وضمان أن الأمور ستكون قائمة على أرض صلبة، ونحن نعلم ان هذه الرابطة هي التي ماطلت في الموافقة على عرض صندوق الاستثمار السعودي الأول لتملك نيوكاسل، قبل انسحاب الأخير من الصفقة، رغم موافقة المالك السابق لنيوكاسل على العرض.

عائق آخر، هو ما واجهته قطر خلال استضافة مونديال 2022، من نشاط الجمعيات الحقوقية في الحديث عن حقوق العمال والمثليين، وأن هذا يمثل سبباً في رفض الصفقة في حال اكتسبت زخماً برلمانياً واعلامياً. كما يتعين على الشيخ جاسم الاقرار بان ملكية النادي لن تكون جزءاً من أملاك الحكومة، على غرار ما تعهدت به الادارة السعودية لنيوكاسل، وهو أيضاً سيساهم اقناع الاتحاد الأوروبي لكرة القدم أن ملكية باريس سان جيرمان ومانشستر يونايتد ليست لادارة واحدة، على غرار مع حصل مع سالزبورغ النمساوي ولايبزيغ الألماني المملوكين لشركة مشروبات الطاقة «ريد بول»، والتهديد بحرمانهما من المشاركة في المسابقات الأوروبية في حال تأهلهما.

التفاؤل يعم الكثيرين في المنطقة العربية، لكن الأمور تحتاج الى بعض الوقت والكثير من الصبر والأمل قبل الاعلان الرسمي وتبادل التهاني.

@KhaldounElcheik

مجتمع

قلق لاستمرار تشغيل أطفال موريتانيا رغم إقرار خطة وطنية لتحريرهم وإنقاذهم

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

أثبتت تحقيقات لهيئات دولية ارتفاعا كبيرا لنسب تشغيل الأطفال الموريتانيين دون سن الثانية عشرة، وهو ما أثار ويثير قلقا واسعا داخل موريتانيا وخارجها، كما أنه استدعى اتخاذ إجراءات سريعة لإنقاذ الأطفال الموريتانيين وتحريرهم وضمان توجههم الطبيعي نحو مدارس تؤمن مستقبلهم.

وفي هذا المضمار، صادقت ورشة وطنية نظمتها الحكومة الموريتانية قبل أيام بالتعاون مع منظمة العمل الدولية، على الخطة الوطنية للقضاء على عمل الأطفال الممتدة ما بين 2023 و2026 والمقسمة على خمسة محاور أساسية، أولها تعزيز الإطار القانوني والمؤسسية للقضاء على عمل الأطفال؛ والثاني تعزيز القدرات الفنية والعملية للمتدخلين؛ والثالث التحسيس وتحسين المعارف حول عمل الأطفال؛ والرابع تنفيذ نشاطات مباشرة للقضاء على الأشكال الخطيرة لعمل الأطفال؛ والخامس التنسيق والتعاون والشراكة.

خطر محدق

وسبق للحكومة الموريتانية أن أقرت قبل وضعها لخطة القضاء على عمل الأطفال، إصلاحات بينها إصدار القرار المتضمن لائحة الأعمال الأكثر خطورة على الأطفال تحت سن الثامنة عشرة؛ ورفع المخصصات العائلية المدفوعة من طرف نظام الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي.

وكانت وزارة العمل الموريتانية قد حذرت في الذكرى الأخيرة لليوم العالمي للقضاء على عمل الأطفال مما سمته «تجذر ظاهرة تشغيل الأطفال في موريتانيا» مؤكدة «أن نتائج الإحصائيات التي قيم بها 2011 و2015 تظهر أن نسبة تشغيل الأطفال في الريف الموريتاني زادت على 36 في المئة، وأن ثلث الجيل الحالي معرض لخطر الظاهرة».

إعلان ومطالب

وأصدرت النقابات الموريتانية في تموز/ يوليو الماضي بمناسبة اليوم العالمي لمنع تشغيل الأطفال «إعلان نواذيبو حول خطورة تشغيل الأطفال» طالبت فيه «الحكومة الموريتانية بالقضاء على عمالة الأطفال، وتوجيه الضحايا نحو المدرسة وفق توصيات النظام الوطني وملاءمة التشريعات الوطنية مع المعايير الدولية للشغل وضمان تطبيقها الفعلي ولا سيما القانون 054–2001 المتعلق بإجبارية التعليم الأساسي والقانون المتعلق بالعمالة المنزلية».

وطالب الإعلان «بتطبيق المقرر المتعلق بتحريم الأعمال الضارة المحظورة على الأطفال، وتوعية الآباء وأرباب العمل المشغلين للأطفال وزيادة معارفهم حول عمالة الأطفال وأسوأ أشكالها».

ودعا الإعلان إلى «وضع حد لممارسة عمل الأطفال وخصوصا في قطاعات الصيد والزراعة والمعادن والقطاع غير المصنف ودعم الحماية الاجتماعية للأسر الضعيفة من خلال توفير الإعانات العائلية للأطفال، وتعزيز التغطية الصحية خاصة في المناطق الأكثر تضررا بالفقر».

وحث الإعلان السلطات على «تقديم علاوات لجميع الأسر ودعم الدمج الاقتصادي والاجتماعي للأطفال المتسربين من المدرسة وحماية الأطفال من الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية من خلال تحسين أوضاعهم، مع تحديث إحصائيات عمل الأطفال في موريتانيا».

قلق لجنة الحقوق

وسبق للجنة الموريتانية لحقوق الإنسان، أن أكدت في تقريرها السنوي «أن نسبة عمالة الأطفال ما زالت مرتفعة، رغم القوانين التي صدرت لمنع عمل الأطفال».

وأوضح التقرير «أن الأطفال المحتاجين بموريتانيا ما زالوا يعانون بوجه خاص من مشاكل النفاذ للخدمات الاجتماعية الأساسية كالتعليم والصحة، كما أنهم يعانون من الاستغلال في الأعمال الشاقة والخطرة، ومن التنقل وانعدام الرعاية والإقصاء الاجتماعي.»

وأوضح التقرير «أن أكثر من ربع أطفال موريتانيا يعملون في مختلف القطاعات، خاصة في الوسط الريفي، وأضاف أن «أزيد من ربع الأطفال 26 في المئة بين سن 15 و17 سنة يعملون، وأن نسبة الأطفال بين سن 12 و14 المشاركين في عمل تصل إلى 22 في المئة». وأشار إلى أن استغلال البنات أكثر في العمل المنزلي، مؤكداً أن مستوى تعلم الأم حاسم في توجه الأطفال إلى العمالة.

وأكدت اللجنة في تقريرها «أن نحو 300 ألف طفل دون سن 15 بموريتانيا معرضون لمخاطر العنف والاستغلال والتمييز والتجاوزات أو الإهمال» داعية «إلى حماية وترقية الأطفال المعاقين ودمج الأطفال المتنازعين مع القانون ودعم تمدرس البنات (أي إدخالهن المدارس) ومحاربة الممارسات الضارة بصحة القاصرات».

استنتاجات خطيرة

وأكدت وزارة العمل الأمريكية في تقرير تناول الاستنتاجات المستخلصة بشأن أسوأ أشكال عمالة الأطفال لعام 2019 «أن الأطفال الصغار في سن 12 عاما لا يستطيعون الالتحاق بالتعليم، مما يجعلهم أكثر عرضة لأسوأ أشكال عمالة الأطفال، كما ينخرط الأطفال في موريتانيا في أسوأ أشكال».

واقترح التقرير على حكومة موريتانيا القيام بإجراءات لتعزيز القضاء على عمالة الأطفال في موريتانيا، بينها الانضمام إلى البروتوكول الاختياري للنزاع المسلح الصادر عن لجنة حقوق الطفل التابعة للأمم المتحدة، وضمان الحظر الشامل لكافة أشكال المهن والأنشطة التي تشكل خطرا، وإطلاق عمليات تفتيش روتينية واستهدافية، وزيادة الجهود لضمان التحقيق والملاحقة القضائية في قضايا أسوأ أشكال عمالة الأطفال، بما في ذلك العبودية المتوارثة والتسول القسري.

قضية عالية

وتعتبر قضية تشغيل الأطفال مشكلة عالية وخاصة داخل مجتمعات الدول الفقيرة، وهو ما أكدته تقارير وتحقيقات منظمة العمل الدولية.

وفي بداية عام 2020، أكدت المنظمة شارك طفل واحد من بين كل 10 أطفال بعمر 5 سنوات فأكثر في عمالة الأطفال في جميع أنحاء العالم، بما يعادل 160 مليون طفل، أو 63 مليون فتاة و97 مليون فتى.

وعلى الصعيد العالمي، تم إحراز تقدم كبير في الحد من عمالة الأطفال في العقدين الماضيين (منظمة العمل الدولية واليونيسيف 2021) حيث انخفض عدد الأطفال في عمالة الأطفال بمقدار 85.5 مليون بين عامي 2000 و2020 من 16 إلى 9.6 في المئة.

ويتلقى 26.4 في المئة فقط من الأطفال في جميع أنحاء العالم مزايا نقدية للحماية الاجتماعية.

وعلى المستوى العالمي، يبلغ الإنفاق الوطني على الحماية الاجتماعية للأطفال 1.1 في المئة فقط من الناتج المحلي الإجمالي.

أفريقيا البؤرة

وفي أفريقيا، المنطقة التي بها أكبر نسبة من الأطفال بين السكان، وأعلى معدل لانتشار عمالة الأطفال والحاجة الأكبر للحماية الاجتماعية، يتم إنفاق ما يعادل 0.4 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي على الحماية الاجتماعية للأطفال.

وتشير التقديرات إلى أنه بدون استراتيجيات التخفيف، يمكن أن يرتفع عدد الأطفال في عمالة الأطفال بمقدار 8.9 مليون مع نهاية عام 2023 بسبب ارتفاع الفقر وزيادة الضعف.

حساء البرغل مع اللحم

المكونات

نصف كيلو لحم مفروم
كوب برغل أبيض خشن مغسول ومنقوع
4 أكواب مرق دجاج
نصف كوب بقدونس مفروم
3 عود كرفس مفروم
3 فصوص ثوم مفروم ناعم
2 حبة جزر مقشرة ومقطعة دوائر
2 حبة كوسا مقطعة مكعبات
2 حبة طماطم مفرومة
بصلة مفرومة
2 ملعقة كبيرة زبدة
ملح
فلفل أسود
نعناع ناشف

طريقة التحضير

نضع اللحم المفروم، والبقدونس، والنعناع المجفف، في وعاء عميق، ونتبل بالملح، والفلفل الأسود، ثم نعجن جيداً، ونشكل كرات صغيرة الحجم من العجين.

نذيب ملعقة من الزبدة في مقلاة على النار، ثم نضيف كرات اللحم، ونقلب حتى يحمر لونها ثم نرفعها عن النار.

في قدر على النار، نضع ملعقة كبيرة من الزبدة، ثم نضيف البصل ونشوح حتى يذبل، ثم نضيف الثوم ونقلب الخليط.

نضيف الجزر، والكرفس، ثم الكوسا، والطماطم المبشورة، ثم البرغل ونستمر في التقليب.

نصُب مرق الدجاج، ونتبل بالملح والفلفل الأسود، ونترك القدر حتى يغلي، نخفف النار ونغطي القدر ونتركه لحوالي 20 دقيقة، ثم نضيف كرات اللحم ونتركها لمدة 10 دقائق.

نسكب الحساء في طبق التقديم، ونقدمه ساخناً.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

أطعمة تساعد الكبد في التخلص من السموم والدهون

بسبب عدم توفر علاج ضد مرض الكبد الدهني، ينصح خبراء التغذية بتغيير نمط الحياة والنظام الغذائي. ولهذا هناك بعض الأطعمة تساعد بشكل خاص في إزالة السموم والدهون من الكبد.

ويعاني كثيرون مما يُعرف بمرض الكبد الدهني غير الكحولي، حيث تكون 50 في المئة من خلايا الكبد دهنية لديهم وقد يتسبب في عواقب صحية خطيرة قد تؤدي إلى سرطان الكبد.

وبسبب عدم توفر أدوية ضد المرض لحد الآن، يُنصح بتغيير نمط الحياة والنظام الغذائي. إذ إن بعض الأطعمة تساعد في إزالة السموم والدهون من الكبد، وفق المجلة العلمية «Vita24».

الثوم: يحتوي على مركبات نشطة مثل الأليسين والسيلينيوم ومركبات الكبريت، وهي مفيدة لصحة الكبد ويمكن أن تعالج الكبد الدهني. كما يعزز الثوم عملية إزالة السموم من خلال تنشيط إنزيمات الكبد.

الغريب فروت: هذا النوع من الفاكهة يمكن أن يعزز إزالة السموم من الكبد لاحتوائه على نسبة عالية من مضادات الأكسدة. كما تساهم هذه الفاكهة في تجديد الكبد الدهني وتحسين وظائف الكبد بشكل عام.

الملفوف (الكرنب): بكل أصنافه مثل البروكلي، الملفوف الأحمر، وكرنب بروكسل لا ينبغي أن يغيب عن المائدة إذا كنت تعاني من الكبد الدهني وترغب في علاجه. الملفوف له تأثير تطهير مكثف ويمكنه تحييد السموم.

الشاي الأخضر: ينبغي على أي شخص يعاني من الكبد الدهني شرب الكثير من الماء أو الشاي غير المحلى. الشاي الأخضر على وجه الخصوص مناسب بشكل خاص في إزالة السموم من العضو. وبفضل مضادات الأكسدة التي يحتوي عليها، يمكن للشاي الأخضر إذابة الدهون المتراكمة والتخلص منها بشكل أفضل. كما يساعد أيضاً في إنقاص الوزن.

الأفوكادو: من حسن الحظ، يتمتع الكبد بالقدرة على التجدد ويمكن حتى علاجه من خلال تغيير نمط الحياة والنظام الغذائي. ويمكن أن يدعم الأفوكادو صحة الكبد.

لأن هذه الفاكهة لا تحمي العضو من السموم فحسب، بل تساعده أيضاً على التجدد.

الطماطم: تساعد في التخلص من دهون الكبد. لأنها تحتوي على نسبة عالية من الماء وغنية بـ «الغلوتاثيون» ثلاثي البيتيد. مما يساعد في تنقية ودعم عمل العضو وشفاء المريض من الكبد الدهني.

الشمندر: يساعد على تصفية المعادن الثقيلة من الدم ويزيل السموم من الجسم وبالتالي الوقاية من الكبد الدهني وينبغي ألّا يغيب من أي مائدة طعام.

الخضروات الورقية: مثل السبانخ ، تساعد على تحييد المعادن الثقيلة وتصفية مبيدات الأعشاب والمبيدات الحشرية. كما أنها تحفز إنتاج سوائل المرارة أو ما يعرف بـ «الأحماض الصفراوية».

عصير الليمون: يساعد في إزالة السموم من الكبد الدهني. تحتوي الثمار على الكثير من فيتامين سي. كوب من عصير الليمون الساخن في الصباح لا يزيل القلق فحسب، بل يحفز أيضًا نشاط الأمعاء ووظيفة الصفراء.

الكركم: يساعد أيضاً في إزالة السموم من الكبد. ويمكن إضافة الجذر الطازج المقشر والمبشور أو التوابل الصفراء إلى العديد من الأطباق. يدعم الكركم عملية إزالة السموم من الكبد الدهني. كما أنه يحمي أيضاً من العديد من أنواع السرطان. (DW)

الحمل

تفكر في خطواتك القادمة بحرص

الثور

كن حاسماً في المواقف التي تواجهها

الجوزاء

مسؤولياتك الكبيرة تسلط الأضواء عليك

السرطان

كن واعياً لوضعك الصحي

الاسد

شعارك اليوم هو النجاح في العمل

العذراء

تكثر المسؤوليات الملقاة على عاتقك

الميزان

العمل بالنصائح الطبّية ضروري

العقرب

لا تدع أحدا يستغل طيبة قلبك

القوس

تعرض عليك فرص عمل مميزة

الجدي

جاء وقت حصاد ثمرة تعبك

الدلو

تجتمع مع الحبيب وتتفاهمان

الحوت

يوم جيد للاستثمارات والمفاوضات

جديد الطب

ثلث البالغين الأوروبيين لا يمارسون نشاطا بدنيا كافياً

أظهر تقرير صادر الجمعة عن منظمة الصحة العالمية ومنظمة التنمية والتعاون في الميدان الاقتصادي، أن أكثر من ثلث البالغين في الاتحاد لا يمارسون الرياضة بشكل كافٍ، وهو اتجاه تفاقم بسبب جائحة كوفيد التي كانت لها تبعات سلبية على الصحة.

في عام 2016 كان 35.4 في المئة من البالغين في الدول الأعضاء الـ27 في الاتحاد الأوروبي، غير نشيطين بشكل كافٍ، حسب معايير منظمة الصحة العالمية التي توصي بممارسة 150 دقيقة من النشاط البدني المعتدل الشدة في الأسبوع.

وأفاد نصف الأشخاص المستطلعة آراؤهم تقريباً (45 في المئة) أنهم لا يمارسون الرياضة أو التمارين البدنية، وفق هذا التقرير.

كما أن المستويات المنخفضة من النشاط البدني شائعة أيضاً بين المراهقين، وخصوصاً الفتيات، إذ إن ما لا يزيد عن 17.6 في المئة من الفتيان و9.6 في المئة من الفتيات أفادوا بأنهم يلتزمون بتوصية منظمة الصحة العالمية بممارسة نشاط بدني متوسط إلى قوي لساعة واحدة يومياً على الأقل.

ولا يتحسن الوضع مع تقدم العمر، إذ إنّ ربع البالغين الذين تزيد أعمارهم عن 55 عاماً يمارسون نوعاً من الرياضة أو التمرين البدني لساعة واحدة أسبوعياً على الأقل.

كما بيّن التقرير أن النساء أقل نشاطا من الرجال، مع فرق واضح بين الجنسين في الفئة العمرية بين 15 و24 سنة، والتي تبيّن فيها أن 73 في المئة من الرجال يمارسون الرياضة أو التمارين البدنية مرة واحدة على الأقل في الأسبوع، مقابل 58 في المئة من النساء.

وللحالة الاجتماعية والاقتصادية تأثير أيضاً في هذا المجال، إذ إنّ 24 في المئة فقط من الأشخاص الذين يصنفون أنفسهم من طبقة العمّال يقولون إنهم يمارسون الرياضة مرة واحدة على الأقل في الأسبوع، مقارنة بـ51 في المئة من الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم من فئة اجتماعية أيسر حالاً.

وقد زادت جائحة كوفيد-19 الوضع سوءاً: ففيما دفعت إجراءات الإغلاق بعض البالغين إلى ممارسة مزيد من الرياضة، سُجل العكس بالنسبة لمعظم الناس. وتشير الدراسة إلى أن أكثر من نصف الأوروبيين قللوا من نشاطهم الجسدي، وقال 7 في المئة منهم فقط إنهم يعتزمون ممارسة مزيد من النشاط البدني بمجرد انتهاء الجائحة.

ومع ذلك، إذا احترم الجميع مستويات النشاط التي توصي بها منظمة الصحة العالمية، يمكن تجنب أكثر من 10 آلاف حالة وفاة مبكرة للأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 30 و70 عاماً كل عام. وسيزيد متوسط العمر المتوقع 7.5 شهر للأشخاص الذين لا يمارسون نشاطاً كافياً.

بالإضافة إلى ذلك، ستوفر الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي 0.6 في المئة من ميزانيتها الصحية، وفق التقرير. (أف ب)

غزة: معدلات الانفصال المرتفعة بين الأزواج تدق ناقوس الخطر

إسماعيل عبدالهادي

يشهد قطاع غزة تصاعدا غير مسبوق في معدلات الانفصال بين الأزواج، إلى جانب تراجع إقبال الشباب على الزواج نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية، التي انعكست سلباً على الواقع المعيشي للسكان الذين باتوا غير قادرين على توفير متطلبات حياتهم، لانعدام الدخل المالي نتيجة غياب فرص العمل أمام فئة الشباب وخاصة الخريجين منهم، ما أدى إلى توجه الكثير من الشباب وخاصة المتزوجين للانفصال، وذلك لتخفيف الأعباء والمسؤولية الواقعة عليهم.

وتسببت العادات والتقاليد الاجتماعية الخاطئة في غزة في عزوف الشباب عن الزواج، إذ تفرض العادات أن يدفع الشاب المقبل على الزواج مهراً يتراوح ما بين أربعة آلاف وسبعة آلاف دولار، كذلك يتوجب عليه توفير منزل ومستلزماته، فضلاً عن تكاليف حفل الزفاف التي تبلغ نحو 20 ألف دولار، وهذه الالتزامات تدفع الشباب للتراجع عن فكرة الزواج، في المقابل يضطر بعض الشبان الزواج من خلال مؤسسات تيسير الزواج، التي توفر مستلزمات الفرح في مقابل الدفع بالتقسيط لمن يرغب، وهذه الفكرة تستند إلى توقيع الزوج على ورقة دفع مالي، تلزمه بدفع الأقساط المتفق عليها مع المؤسسة وفي حال عدم الدفع يدخل السجن.

وقال رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي في غزة الشيخ حسن الجوجو في تصريحات صحافية، إن هناك تراجعا كبيرا في إبرام عقود الزواج لدى محاكم قطاع غزة مقارنة بتصاعد معدلات الطلاق، حيث سجل القضاء الشرعي منذ العام المنصرم حتى مطلع العام الجاري أكثر من 4500 معاملة طلاق، ويعود السبب الرئيسي للأوضاع المعيشية المترتبة على الواقع الاقتصادي المتدهور، وارتفاع معدلات الفقر المدقع الناتج عن الحصار الإسرائيلي والانقسام الفلسطيني، متوقعاً تصاعد هذه المؤشرات وتحولها لأزمة كبيرة إذا ما استمر التدهور المتواصل منذ سنوات. وفقاً لجهاز الإحصاء الفلسطيني، فإن الشباب من الفئة العمرية بين 20 إلى 29 عاماً يشكلون نحو 30 في المئة من المجتمع ويعزف نحو 75 في المئة منهم عن الزواج، بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة وارتفاع تكاليف المهور، فيما يشكل الشباب من الفئة العمرية بين30 إلى 45 عاماً نحو 21 في المئة من المجتمع، من بينهم 46 ألف شخص غير متزوج في مقابل 41 ألف متزوج، وحسب استطلاع أجراه مركز مختص للمرأة في غزة حول أسباب العزوف عن الزواج، فإن 72 في المئة من الشباب، يرون أن عدم القدرة على تحمل النفقات والتكاليف هي السبب، بينما يرى 18 في المئة أن السبب هو عدم قدرة الشاب على إيجاد زوجة تقبل بالوضع المالي الصعب، في حين أن 10 في المئة يرون أن عدم وجود مسكن مناسب للشاب يدفعه إلى العزوف عن الزواج.

بدوره يقول الشاب صبحي أحمد 29 عاماً لـ«القدس العربي»: تزوجت في عام 2019 وكنت في ذلك الوقت أعمل في أحد المطاعم، وأحصل على راتب شهري ميسور يوفر لي ولزوجتي حياة كريمة، ولكن خلال أزمة كورونا التي عصفت بقطاع غزة وأدت إلى إغلاق كافة المرافق، لم أعد قادرا على توفير مستلزمات بيتي، وبدأت المشاكل داخل الأسرة على مدار عام حتى وصلت إلى قرار الانفصال. ووفق الشاب أحمد فإن الفتيات في غزة في هذه الأوقات لا يراعين ما يمر به الأزواج من أزمات مالية، وهذا هو الحال الذي يصل إليه الغالبية العظمى من الشباب المنفصلين.

وفي تعليقه على ذلك يقول أستاذ علم النفس الدكتور درداح الشاعر إن الواقع الاقتصادي الصعب الذي يعصف بقطاع غزة، يشكل تهديدا كبيرا على الأمن المجتمعي، ومن أبرز سلبيات تردي الوضع الاقتصادي، تفشي ظاهرة الطلاق بين الأزواج والتي تتصاعد بشكل خطير محدثة مشاكل اجتماعية كبيرة، إلى جانب تفشي ظاهرة الانحلال الأخلاقي بين الشباب غير القادرين على الزواج مرة أخرى.

وقال لـ«القدس العربي»: إن المشاكل الأسرية بين الأزواج التي تصل في النهاية إلى الطلاق، ناتجة عن مسببات ومنها انتشار ظاهرة الزواج المبكر، الذي يصاحبه تدني في المستوى التعليمي للزوجين، وغياب الجانب الثقافي وعدم الوعي بضرورة إنشاء أسرة، إضافة إلى عدم توفر الإمكانيات المادية التي تسمح بإنشاء منزل للأسرة، ما يضطر الزوجين إلى السكن مع العائلة، وهنا تبدأ الخلافات المؤدية إلى الانفصال.

ولفت إلى أن العادات والتقاليد الاجتماعية السيئة التي لا تزال تتمسك بها الكثير من العائلات، تتسبب في تراجع إقبال الشباب على الزواج، ومن أبرزها ارتفاع المهور بحجة أن الفتاة حاصلة على مستوى تعليمي، إلى جانب اشتراط بعض الأهالي على الزوج إكمال تعليم ابنتهم، ما يجد الزوج نفسه عاجزا عن ذلك ويتراجع عن فكرة الزواج، وإذا وافق فقد يجد نفسه في نصف الطريق غير قادر على إكمال تعليم زوجته، فتبدأ الخلافات المؤدية إلى الطلاق.

ويرى أن الشباب في غزة باتوا مصدومين من الواقع، نتيجة تأثرهم بالقصص التي تدور من حولهم عن المشاكل الزوجية وارتفاع حالات الطلاق، حيث يلجأ الكثير للهجرة إلى أوروبا، في محاولة للحصول على حياة معيشية آمنة بعد فقدانها داخل القطاع، وهذا حال الآلاف من الشباب الذين غادروا على مدار السنوات الماضية، ووصلوا وتمكنوا من الزواج بأقل التكاليف المادية.

ووفق مركز الميزان لحقوق الإنسان (مكتب غزة) فإن نحو مليون ونصف مليون هو فرد من سكان غزة البالغ عددهم مليونين و300 ألف نسمة، يعيشون حالة من الفقر بسبب القيود الإسرائيلية المفروضة على القطاع لأكثر من 16 عاماً، في حين يحصل أكثر من مليون فرد على المعونات التي تقدمها المؤسسات الدولية والإغاثية.

منوعات

تهاوت المنازل على ساكنيها وملايين المشردين تلازمهم الصدمة فكيف نمد لهم يد العون؟

غريس نخّول: لبعضنا مرونة في التعامل مع الصدمات

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

تُطوى الليالي والنهارات ومعها يتضاعف هول ما حلّ بالبشر والحجر فجر السادس من شباط/فبراير 2023. وكل يوم مضاف يحمل المزيد من الأسئلة، عن الذين ما زالوا يتنفسون تحت الركام، وعن المشردين دون سقف وفي برد قارس.

بين تركيا وسوريا بشر جمعهتم الكارثة، ينظرون إلى المجهول الذي ينتظرهم بعد أن قضى الآلاف تحت الأنقاض. وبين تركيا وسوريا بشر في صدمة واضحة من تلك الكارثة. والسؤال كيف ومتى ولمن يجب تقديم الدعم النفسي؟

مع المعالجة النفسية والأخصائية في الدعم النفسي الاجتماعي غريس نخّول هذا الحوار:

○ كيف يُعبّر الناس عن معاناتهم في وضع كما الزلزال؟ وما هي مظاهر الإضطراب أو الصدمة؟

● مظاهر التعبير المشتركة تتمثّل بمشاكل في النوم، والقلق. منهم من ينام ولا يرغب بالاستيقاظ. بعضهم ينام بمساعدة الدواء. نلمس بالعين المجردة كثيراً من الحزن والاكتئاب، وحركة زائدة، وغضباً، وعدم قدرة على التحكم بالمشاعر والبكاء الفجائي. بعضهم تعطي عيونهم انطباع الضياع، أو نلمس منها المشاعر المسطحة. نسألهم عن مشاعرهم فيعبرون بأنهم يعيشون اللاشعور. وثمة أعراض تتمثل بالتعب. وأخرى بفقدان الشهية أو الإفراط في الطعام، أو صعوبة التركيز، والإنعزال عن الآخرين وتخفيف النشاط. منهم من يعاني من آلام في الرأس، أو غيره من الجسد. إلى آلام البطن، ولا يُدركون أن الصدمة هي التي سببتها. والألم البطن غالباً ما تصيب الأطفال. وهذه الأعراض مشتركة لدى البالغين والأطفال.

○ وصلني من اجابتك أن المرونة في مواجهة الكوارث ناتجة من تأهيل وتربية أكثر منها جينات نورثها؟

● بل نحن نتيجة الإثنين معاً. مرونة متلازمة مع شخصية الفرد، يضاف إليها آليات التكيُّف مع الصدمة. وفي مواجهة الصدمة نحن حيال مستويات ثلاثة من الأشخاص. منهم من يواجه خلال الصدمة. سأتخذ من نفسي مثالاً، بعد الصدمة سأتوجه لمساعدة من يحتاج للدعم النفسي. آخرون قد تجمدهم الصدمة، يختبؤون وينتظرون. والمستوى الثالث هو الهروب عبر النوم أو تناول الكثير من الطعام، بهدف نسيان الصدمة. وهنا أشدد على دور الأهل في التنشئة على المرونة النفسية في التعامل مع أمور الحياة. ونؤكد على التنشئة كون الأطفال سيكبرون ويصبحون فيما بعد مسؤولين وأهل.

○ كيف يُعبّر الناس عن معاناتهم في وضع كما الزلزال؟ وما هي مظاهر الإضطراب أو الصدمة؟

● مظاهر التعبير المشتركة تتمثّل بمشاكل في النوم، والقلق. منهم من ينام ولا يرغب بالاستيقاظ. بعضهم ينام بمساعدة الدواء. نلمس بالعين المجردة كثيراً من الحزن والاكتئاب، وحركة زائدة، وغضباً، وعدم قدرة على التحكم بالمشاعر والبكاء الفجائي. بعضهم تعطي عيونهم انطباع الضياع، أو نلمس منها المشاعر المسطحة. نسألهم عن مشاعرهم فيعبرون بأنهم يعيشون اللاشعور. وثمة أعراض تتمثل بالتعب. وأخرى بفقدان الشهية أو الإفراط في الطعام، أو صعوبة التركيز، والإنعزال عن الآخرين وتخفيف النشاط. منهم من يعاني من آلام في الرأس، أو غيره من الجسد. إلى آلام البطن، ولا يُدركون أن الصدمة هي التي سببتها. والألم البطن غالباً ما تصيب الأطفال. وهذه الأعراض مشتركة لدى البالغين والأطفال.

○ وما هي نسبة الناس الذين يعيشون نوعاً من الاضطرابات أو أكثر؟

● لا شك بأن دراسات عدة سيكون لها دورها في المرحلة ا لتالية

غريس نخّول

○ هل من آثار تصيب الأطفال دون البالغين؟

● الأطفال دون السبع سنوات يتمسكون بذويهم بقوة. كما يعبرون عبر نوبات بكاء دون سبب مباشر ومهم. ومنهم من يعيش تبولاً لا إرادياً ليلاً، أو يعودون لمص الأصابع بعد توقف. وفي المدرسة قد يتشاجرون مع زملائهم، أو لا يركزون، أو ينعزلون. وقد يلجأ المراهقون للدخان أو الكحول، أو الأدوية المساعدة على النوم. وهؤلاء الأطفال أو المراهقين يعتقدون أنهم يمرون بما هم فيه وحدهم.

○ عندما تعمُّ الصدمة هذا العدد الهائل من البشر هل يختلف وقعها عليهم؟

● إنه أحد جوانب التكيف. كمعالجين وخلال العمل على الأرض بعد الصدمات نستعمل هذا الأسلوب، ونقول لمن نعالجهم «في كتير غيركم يمرون بالظروف نفسها». لكن في كارثة الزلزال نحن حيال مشاهد مؤلمة للغاية. انما قد نقول حمد لله الضرر علينا أقل. وقد نرتاح لهذا. وطبيعي أن يردد الإنسان البالغ هذا القول.

○ وماذا عن عقدة الذنب التي يعيشها البعض لماذا مات هؤلاء وليس أنا؟

● هذا ما يحدث مع البشر أصحاب المشاعر الإنسانية العالية جداً. وهذا الإحساس التعاطفي يدفع البعض للسفر والوصول إلى العون. وهذا ما شاهدناه في حالة سوريا على شاشات التلفزيون ووسائل التواصل الإجتماعي. إنها وسيلة للتكيف قد يتميز بها البعض.

○ ما هي أولويات الدعم التي يحتاجها هؤلاء الناس؟

● إن كنّا حيال المنتشرين في مكان الكارثة فهؤلاء يحتاجون ما يُسمى بالإسعافات النفسية الأولية. وهذه الإسعافات تتمثل بالتعاطف والإستماع لهم، واتاحة الفرصة لهم كي يتكلموا ويعبروا. ليس لنا أن نتكلم ونرشد في هذه المرحلة، فالأشخاص الذين نقف إلى جانبهم لا يملكون قدرة التركيز، ولا قدرة الاستماع. لذلك يكفيهم أن نجالسهم بتعاطف، ونشعرهم بوجودنا. وبمجرد شعورهم بالاطمئنان قد يحكون ما يشعرون به. في علم النفس نرى أن نصف العلاج قد تمّ عند الكلام عن ما يزعج الإنسان. مع التأكيد وبين هلالين أننا لم نبدأ بعد مرحلة العلاج. ومع الإشارة بأن من يتكلّم يكون في وضع أفضل من الذي يصمت ويخفي مشاعره داخله. أما العلاج فقد يخصص لمن يعيش اعراضاً بعد شهر من وقوع الكارثة. إضطراب ما بعد الصدمة يبدأ بعد شهر ويعرف بـ PTSD وتتمثل هذه الأعراض بالكوابيس، وباستعادة الحدث وكأنه يحصل للتو، ويترافق ذلك مع دقّات قلب متسارعة، وارتجاف وتعرّق. عندها من الصعب على المرء التعامل فردياً مع تلك الأعراض، ولا نقول باستحالة ذلك، انما من الأفضل ذهابه نحو العلاج.

○ مع فقدان الأحبة والنوم في العراء ألا يصبح البحث في صحة الناس النفسية ترفاً؟ وهل هو سؤال مشروع إنسانياً؟

● إن فعلنا وذهبنا للناس لنقول لهم أنتم تحتاجون لعلاج فهذا غير مقبول. من يحتاج لعلاج هو من سيقرر. ولدى العيش مع أعراض PTSD والعذاب الذي يعانيه الإنسان بشكل يومي، عندها لن يكون اختيار العلاج ترفاً على الإطلاق. من يقصد العلاج النفسي يهدف للتخفيف من عذابه، بعد فشله في مساعدة ذاته. ثمة جمعيات تؤمن العلاج النفسي لغير القادرين على تحمّل تكاليفه. العلاج النفسي لم ولن يكون ترفاً في يوم. وليس عدلاً وجود قادرين على العلاج النفسي وتحمّل تكاليفه، ووجود عاجزين عن الوصول إليه نظراً لكلفته.

○ بحثاً عن المستقبل هل يتمكن هؤلاء الناس الذين فقدوا غالبية أحبائهم من بناء حياة جديدة لهم في الأمكنة نفسها؟

● وهذا أيضاً ما يعتمد على شخصية الإنسان ومدى مرونته. وإن كانت لديه القدرة النفسية على مواجهة الصدمات التي عاشها. نعم من يستطيعون بناء حياة جديدة في الأمكنة نفسها هم اشخاص مرنون جداً. وهذه المرونة أمدتهم بالصلابة النفسية، ولهذا هم قادرون على الوقوف مجدداً واستعادة الحياة وحتى مد يد المساعدة. ومن يتمكن من المساعدة في مثل ظروف الزلازل هم قادرون على مواجهة الصدمات النفسية وتجاوزها أكثر من سواهم. أن نكون في قلب الحدث ونمد يد المساعدة حتى وإن كان عبر اتصال هاتفي، فهذا جزء من مواجهة للصدمة. الإحساس بمد يد المساعدة يساهم برفع مستوى هرمون الإندورفين والدوبامين والسيروتونين الذي نحتاجه لنشعر بأننا فاعلون. إنها آلية تكيف يمكن إعتمادها للخروج من الصدمة.

○ وماذا عن التعافي من الصدمة والعودة للحياة الطبيعية أو شبه الطبيعية؟

● ثمة طرقاً معتمدة من قبل المعالجين للدعم النفسي. على سبيل المثال بعد تتالي الهزات الصغيرة الإرتدادية جميعنا كنّا في ترقب. شعر البعض أحياناً بإرتجاج وهمي. عبّر البعض عن احساسهم بضربات قلب سريعة وبرجفة. ما يلي تلك الهزة الخفيفة يتمثّل بإتقان التنفس العلمي والصحي وبخاصة تعليمه للأطفال. التنفس العلمي يساعد بإدخال الأوكسيجين إلى الدم وتالياً إلى الدماغ. فالكورتيزول «هرمون التوتر والقلق» الذي رُمي بكميات كبيرة في الجهاز العصبي خلال لحظات الخوف، يجب أن يتراجع من خلال التنفس الصحي والعلمي. إذاً للتنفس تقنية خاصة، كأن نعد للخمسة خلال الشهيق مع جعل البطن يمتلئ، وفي الزفير نعد للسبعة مع ابتلاع البطن للداخل. تمرين التنفس هذا يخفف من القلق والتوتر لدى البالغين والأطفال بعد لحظات من الصدمة. وهذا بالطبع ليس مطروحاً في حال الزلزال الكبير كما حدث في تركيا وسوريا. بل يمكن اعتماده بعد توتر وقلق متوسط كما كان حال الزلزال في البلدان المحيطة بسوريا كلبنان. كذلك تكون مجالسة من نرتاح لهم في ظروف مماثلة مهمة، والبوح أمامهم بمشاعرنا. وننصح الأهل بالتواصل الدائم مع الأطفال والصدق الكلّي. أي أن لا نعدهم بما لا نعرفه، ويكون الرد على اسئلتهم بما يتناسب مع اعمارهم. الأطفال يحتاجون للإطمئنان. والقلقون منهم يحتاجون لخطة يتدربون عليها. نخبرهم بأن الهزات يمكن أن تتكرر، ونحن مستعدون للوقاية ومغادرة المنزل حيث لدينا بعض ما نحتاجه في السيارة. وهذا ما يُشعر الطفل بالراحة نسبياً.

مهرجان الإسكندرية الدولي للفيلم القصير يتحدى الظروف الصعبة ويفتتح فعالياته بمشاركة 46 دولة

القاهرة – «القدس العربي»: فايزة هنداوي

رغم كل التحديات والظروف الصعبة التي يواجهها مهرجان الإسكندرية الدولي للفيلم القصير، نجح القائمون عليه في الخروج بالدورة التاسعة للنور، بمشاركة 46 دولة، بعد أن أثبت المهرجان وجوده على المستوى الدولي، ولذلك حرص عدد من مخرجي العالم على الحضور لهذه الدورة على نفقتهم الخاصة، حيث لم يتمكن المهرجان في هذه الدورة من تغطية تكاليف سفر جميع الضيوف، بسبب الظروف الاقتصادية وارتفاع سعر الدولار، خاصة مع ثبات الميزانية التي ترصدها الدولة لإقامة المهرجان.

افتتحت فعاليات المهرجان بمسرح سيد درويش بدار أوبرا الإسكندرية بحضور عدد كبير من الفنانين والإعلاميين. بدأ الحفل باستعراض راقص قدمته فرقة هندية، وهو إهداء من السفارة الهندية بمصر، ووجه محمد محمود رئيس المهرجان، الشكر لكل الداعمين له، مشيرا إلى انهم بدأوا العمل على المهرجان عام 2015 وكل عام يتطور إلى الأفضل، بعد التعاون مع مهرجانات ومؤسسات دولية، ساهمت كثيرا في تطويره.

وفي كلمته قال المنتج السينمائي محمد العدل، رئيس شرف المهرجان، إنه فخور وسعيد بما حققه الشباب القائمون على المهرجان، مشيرا إلى ان إعجابه يزداد بهم دورة بعد دورة حتى وصلوا إلى الدورة التاسعة.

ونقل الدكتور خالد عبد الجليل مستشار وزيرة الثقافة لشؤون السينما تحية الوزيرة نيفين الكيلاني واعتذارها عن الحضور بسبب ظروف العمل التي منعتها.

وأضاف عبد الجليل أن مهرجان الإسكندرية للفيلم القصير هو الوحيد الذي يقدمه المجتمع المدني ويسير على الطريق الصحيح منذ انطلاقه، مشيرا إلى إن هذه الدورة علامة على أن هؤلاء الشباب أصابوا الهدف.

وفي كلمته قال محمد سعدون مدير المهرجان إنه على مدار 9 سنوات من السعي وراء حلم السينما ومشاهدة الأفلام زادت قيمة المهرجان وبريق النجوم والأعمال المشاركة به.

ثم أعلن عن أعضاء لجان التحكيم، وصعد الأعضاء إلى المسرح لتحية الجمهور، وكانت البداية بلجنة تحكيم جمعية نقاد السينما المصريين، التي تتشكل من زين العابدين خيري، محمد كمال، وضحى الورداني.

أما لجنة التحكيم الثانية، فتختص بأفلام مسابقتي الفيلم العربي، ومسابقة أفلام الطلبة، وتضم كلا من الممثلة المصرية سامية أسعد، والمخرج التونسي يونس بن حجرية، الناقد الموسيقي المصري د. وليد شوشة، والإعلامية المصرية رجاء الغمراوي، والمنتج والإعلامي السعودي خالد المجرشي.

وتضم لجان التحكيم الدولية، كلا من المخرجة المصرية ساندرا نشأت التي غابت عن الحفل، والمخرجة والمنتجة المغربية مليكة ماء العينين، والناقد الإيطالي ماسيمو ليتشي، ومنسقة المناظر ومديرة التسويق السينمائي بجنوب أفريقيا وكندا فالما فاف، والمونتيرة والممثلة المصرية دعاء عريقات.

درع هيباتيا الذهبي

بعد ذلك صعد إلى المسرح كل من المنتج صفي الدين محمود، ومصمم المناظر انسي ابو سيف، والمنتج محمد العدل، لتكريم منذ الملابس السينمائي رفعت عبد الحكيم، بمنحه درع «هيباتيا الذهبي» تقديرا لمساهماته الكبيرة في دعم صناع السينما المصرية بشكل عام والأفلام القصيرة بشكل خاص.

ثم سلم المنتج محمد العدل درع التكريم للممثلة سما ابراهيم تقديرا لعطائها ومسيرتها الطويلة ودعمها لصناع السينما القصيرة.

واختتم الحفل بعرض الفيلم الاسترالي «سمك القرش». وتشهد فعاليات المهرجان عرض مجموعة متميزة من الأفلام الدولية، في خمس مسابقات هي «الروائية» و«الوثائقية» و«العربية» و«الطلبة المصريين» و«أفلام التحريك».

يتنافس في قائمة المسابقة الروائية الدولية، 20 عملا تعرض عربيا وأفريقيا لأول مرة، وهي «آفا» من «الولايات المتحدة الأمريكية، و«ثلاث حبات ملح» من فرنسا، و«ريموت تليفزيون» و«فيما وراء البحيرة» من انكلترا، و«النهضة » من روسيا و«منطقة صامتة» من ألمانيا، و«جبار» من بلجيكا و«راقد» من بولندا، وتشارك استراليا بفيلمين هما «رفيق» لجوزف ليكس، و«سمك القرش» لناش إدجيرتون، ومن السويد تشارك المخرجة شارون كلاينبرغ بفيلم «طريقك طريقي» وتشارك السويد بفيلم «صورة المدرسة» لجوناثان نوربرغ، ومن قبرص يشارك أندرياس شيتانيس، «ليلة أعمال الشغب» ويشارك المخرج الصربي لوكا بوباديتش «أخبار حقيقية» والمخرجة الكرواتية لانا باريتش، بفيلم «سنو وايت» ويشارك في المسابقة أيضا فيلم «تندرا» من كوبا للمخرج خوسيه لويس، و«طاولة القبر» من كوسوفو للمخرج ميراك زيمبيراغ، و«شياتورا» إنتاج فرنسي جورجي مشترك للمخرج توبى أندريس، والفيلم اللبناني «أبواب» للمخرج ريبال شديد، و«شخصية فينة» للمخرج فاسيلى تشوبرينا.

الفيلم الوثائقي

وتضم مسابقة الفيلم الوثائقي ثمانية أعمال، وهي «ما نتركه خلفنا» من هولندا، و«اختفاء بيل موراي» في برلينالة من صربيا، و«أوبرا الشارع» من أندونيسيا، و«علمان» من قيرغستان، و«رحلة جوية على عربة بأجنحة» من سويسرا، و«أوان الخير» من مصر، و«إلى جدو، مع حبي» من لبنان، و«مساكنة» من اليونان.

أما مسابقة أفلام التحريك «الأنيميشن» فتضم 13 عملًا، وهي «أرقد في سلام» من فرنسا، و«المدينة المربعة» و«أرواح تكمل بعضها» من هونغ كونغ، و«ليلة في المقبرة» من اليونان، و«حواء أيضًا» من إسبانيا و«أوليفيا» من الجزائر، و«مقعد بجوار النافذة» من الهند، و«الأرانب والأبوسومات» من البرازيل، و«في شيء» من مصر، و«ريتا اللطيفة» من سويسرا، و«خيال الفراشات» من المغرب وفرنسا.

ويشارك في مسابقة الأفلام العربية، فيلم «اتصال» من تونس لكريم اليعقوبى، في عرضه العالمي الأول، ومن الأردن يشارك فيلم «حي» إخراج روان وليد، في عرضه الأول بشمال أفريقيا، ويشارك العراق بفيلمين، هما «وحيدا أفضل» إخراج ريكار برزان، في عرضه الأول بشمال أفريقيا، و«الصافرة» للمخرج عادل عبد المجيد في عرضه العالمي الأول.

ويشارك المخرج الجزائري يازيد باطو بفيلمه «بوملة» في عرضه الأول بمصر، ومن السعودية يشارك فيلم «سر برسيم العظيم» للمخرج سلطان ربيع، في عرضه الأول بشمال أفريقيا، ويشارك المخرج المغربي الحسين حنين بفيلمه «شرعة» في عرضه الأول بشمال أفريقيا، ومن مصر يشارك فيلم «ما يحدث في حياة نادين» للمخرج عمرو فكري، في عرضه العالمي الأول.

ويشارك في مسابقة أفلام الطلبة المصريين، 9 أفلام هي، «ساحر الاكورديون» و«وعد ماض» و«توافق ممتاز» و«ذاكرة لا أحتمل ثقلها» و«مقاسات وبعد الصورة في المرأة غير حقيقية» و«بعد برهة» و«تذكرة للجحيم» و«دخول مفاجئ» و«يليشن تشيب» و«علاقة».

وتقام ضمن الفعاليات ندوة خاصة للمخرج محمد ياسين، يتحدث فيها عن طريقة تحضير المخرج لفيلمه قبل التصوير، وآليات التنسيق مع جميع الأقسام الرئيسية مثل التصوير، الديكور، الموسيقى، الملابس. كما يتطرق إلى كيفية قراءة السيناريو، وتوجيه الممثلين قبل بدء التصوير.

وتشهد الفعاليات أيضا «ماستر كلاس» لمنسق المناظر أنسي أبوسيف عن كيفية توظيف الديكور دراميا.

كما تعقد ورشتين لصناع الأفلام بالإسكندرية، الأولى للمخرج خالد الحجر مع عشرة طلاب لمواصلة ورشة الدورة الماضية، لتنفيذ مشاريع قصيرة لا تتعدى 5 دقائق، والورشة الثانية مخصصة للأطفال، حول كيفية التعبير وصنع فيلم قصير لا يتعدى 5 دقائق باستخدام الهاتف.

نجوم الفن بين الهوايات المُفضلة واحتراف الغناء والتمثيل

كمال القاضي

الهواية جزء أصيل من تكوين الفنان قد تأخذه أحياناً من عمله الأساسي كمهلٍ أو مُطرب فهي بمثابة الترفيه الذي يجدد نشاطه فيُمكنه من الاستمرار في العمل لساعات طويلة. عدد كبير من النجوم السابقين واللاحقين تميزوا بهوايات وميول تختلف عن طبيعة عملهم والمهن التي يحترفونها، فالفنان يحتاج في أوقات فراغه إلى ما يُشبع رغبته المزاجية ويُحقق له الارتياح النفسي، وهناك من المشاهير من يهتم بممارسة هوايته بانتظام ويخصص لها وقتاً كافياً ليُحقق المُعادلة السيكولوجية بداخله فيُقلل من توتره وانفعالاته السلبية والضارة.

من أشهر أصحاب الهوايات في الوسط الفني بالفترات السابقة، المُطرب الراحل الكبير عبد الحليم حافظ فقد كان يحرص على الذهاب للنادي كلما أتيحت له الفرصة ليلتقي بأصدقائه المُقربين ويشاركهم لُعبة تنس الطاولة التي كان يجيدها ويسعد بممارستها مع مُحترفيها من أعضاء النادي، ولأن عبد الحليم كان من الظرفاء ويتمتع بخفة الظل فاللعب معه كان يُمثل متعة له وللغير أيضاً، وقد ظل النجم الكبير يُمارس هوايته لفترة غير قليلة إلى أن منعه المرض العُضال من الاستمرار في الممارسة فاكتفى بالفُرجة والمُراقبة من مقاعد المُتفرجين.

أما أحمد رمزي فكانت هوايته المُفضلة هي رياضة المُلاكمة، تلك التي تفوق فيها بشكل كبير وبرز كأحد أمهر اللاعبين وكاد أن يحترفها لولا ارتباطه بالسينما والفن وانشغاله بمسؤوليات النجومية.

وللفنان العالمي الكبير عُمر الشريف هواية لعب الكوتشينة والقمار وهي الهواية التي أثرت سلباً فيما بعد على حالته المادية والاقتصادية والعائلية وأدت إلى انفصال فاتن حمامة عنه بعد فترة من الزواج لشعورها بعدم الاستقرار.

كما اشتهر رشدي أباظة بحبه للعب البلياردو واحترافه له كلاعب فائق القُدرات ولعل من أسباب شهرته قبل دخوله عالم السينما واحترافه التمثيل ذيوع صيته في هذه اللعبة الفريدة والمُمتعة.

أما النجم الراحل شكري سرحان فكان من هواة الزراعة والعناية بالورود والأزهار، فقد امتلك سرحان حديقة غناء مُلحقة بمنزله كان يقضي فيها مُعظم أوقات فراغه لحبه الشديد لهذا النشاط وثراء معلوماته في الزراعة والنباتات.

أما الفنان الراحل محمود عبد العزيز فقد اهتم طوال حياته بالنحل الذي حصل فيه على درجة الماجستير باعتباره خريج كلية الزراعة وخبير بأصول تربيته وفوائده وإنتاجه من العسل والشمع.

ويأتي الفنان الراحل الكبير نور الشريف من بين المواهب الاستثنائية في التصوير الفوتوغرافي الذي كان يهواه بشده ويوفر له الوقت والجهد للاستمتاع بممارسته، ولنور فيلم مهم بعنوان «ضربة شمس» من إخراج محمد خان قام فيه بدور مصور صحافي يقتفي أثر عصابة لتهريب الآثار ويلتقط لهم صورا أثناء قيامهم بنشاطهم المحظور، وقد اعتبر الفنان هذا الفيلم بمثابة فرصة للتعبير عن هوايته بشكل تسجيلي وتوثيقي لموهبته الثانية بعد التمثيل.

ويشترك أكثر من نجم من نجوم السينما المصرية في حبهم للخيول والفروسية، فقديما كان الفنان أحمد مظهر هو الأشهر على الإطلاق في إجادته لركوب الخيل بوصفة ضابط جيش سابق من سلاح الفرسان، ولهذا السبب بالتحديد اختاره المخرج إبراهيم عز الدين لبطولة فيلم «ظهور الإسلام» ثم توالت بعدها أدواره في الأفلام الدينية والتاريخية فقام ببطولة فيلم «الشيماء» وفيلمي «وإسلاماه» و«الناصر صلاح الدين».

وكذلك الفنان أحمد ماهر فهو من هواة ركوب الخيل وممارسة رياضة الفروسية وله أدوار تاريخية كثيرة ظهرت فيها قُدراته كفارس، ومن أهم أدواره دور هولاكو ودور سليمان الحلبي ودوره في مُسلسل «الطارق والسُلطان والشاة» و«تحت ظلال السيوف».

وبنفس مقاييس التفوق والإجادة تأتي مهارات أحمد السقا في ركوب الخيل وعشقه لتربيتها، ولهذا لُقب السقا بفارس السينما المصرية الجديد بعد أحمد مظهر كونه مُماثلاً له في الهواية والقُدرة والإمكانية واللياقة البدنية العالية.

ومن هوايات النجوم الرجال إلى هوايات النجمات والبطلات، ومن أشهرهن سامية جمال التي كانت تهوى صناعة الحلويات وتتميز فيها بشكل بارع، ولكن لحرصها على رشاقتها لم تكن نهمة في أكلها وإنما كانت مُقلة في تناولها ومُقتصدة فيها إلى حد كبير.

ومن جانبها حرصت الراحلة مديحه يسري على ممارسة هواية الرسم خلال مسيرتها الفنية وبشكل مُستمر بلا انقطاع، اللهم في فترات انشغالها بتصوير أفلامها، واللافت أن زوجها المُلحن والمُطرب محمد فوزي كان يشجعها على ممارسة الهواية ويحفزها على تطوير أدواتها التشكيلية.

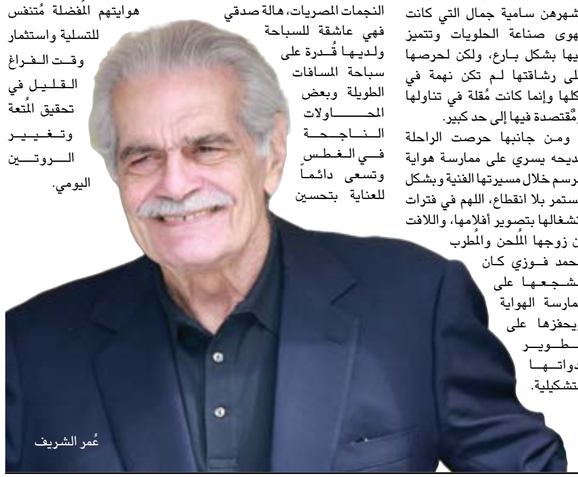
عُمر الشريف

ومثلها كانت الفنانة الراحلة أيضاً معالي زايد، خريجة كلية التربية الفنية التي ظلت تمارس هواية الرسم والتشكيل منذ طفولتها وحتى رحيلها في عام 2014 ولم تكن معالي مجرد هاوية ومُحبة للرسم، ولكنها بحُكم دراستها ارتقت إلى مستوى الاحتراف على الرغم من عدم تخصصها في مجال الدراسة واتجاهها إلى الالتحاق بالمعهد العالي للسينما واحترافها التمثيل.

ومن بين أصحاب الهوايات من النجمات المصريات، هالة صدقي فهي عاشقة للسباحة ولديها قُدرة على سباحة المسافات الطويلة وبعض المحاولات الناجحة في الغطس وتسعى دائماً للعناية بتحسين مستواها والاستفادة من لياقتها البدنية وإمكانياتها كسباحة في مجال عملها كممثلة مُحترفة إذا اقتضت الضرورة الفنية ذلك.

وهناك أكثر من فنان مُشتركين في هواية لُعبة كرة القدم ومشاهدة المُباريات وهم كُثر ولكن يبرز من بينهم المُطرب هاني شاكر ومحمد فؤاد ويوسف الشريف وتامر حسني وآخرين، حيث يجدون في هواياتهم المُفضلة مُتنفس للتسلية واستثمار وقت الفراغ القليل في تحقيق المُتعة وتغيير الروتين اليومي.

موردوك وفوكس نيوز اعتبرا فريق ترامب «مجنونا» لتنديده بتزوير انتخابي

ندد قطب الإعلام المحافظ روبرت موردوك وشبكته فوكس نيوز بفريق دونالد ترامب باعتباره «مجنونا» و«غير مسؤول» و«كاذب» لادعائه بأن الانتخابات سُرقت» من الرئيس الأمريكي السابق لصالح جو بايدن منذ الانتخابات الرئاسية في 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2020 وحتى الهجوم على الكابيتول في 6 كانون الثاني/يناير 2021 ولكن فقط في الأحاديث الخاصة.

الواقع أن شهر العسل انتهى منذ سنوات بين أنصار ترامب وفوكس نيوز الواسعة الشعبية بين المحافظين وفي أوساط اليمين في الولايات المتحدة.

وتعتبر الشبكة التلفزيونية جوهرة إمبراطورية «نيوز كوربوريشن» التي أسسها الملياردير الأسترالي الأمريكي البالغ 91 عاما روبرت موردوك.

غير أن شكوى قدمتها شركة «دومينيون فوتينغ سيستمز» المصنعة لآلات التصويت الإلكتروني في آذار/مارس 2021 ضد فوكس نيوز بتهمة التشهير، كشفت بكثير من التفاصيل والشهادات عن حقيقة العلاقة بين ترامب وموردوك، مسلطة الضوء على تدهورها منذ الانتخابات الرئاسية الأخيرة.

وحسب هذه الوثيقة القضائية من 192 صفحة التي نشرها القضاء في ولاية ديلاوير (شمال شرق) ليل الخميس الجمعة، فإن روبرت موردوك ومدراء فوكس نيوز ومقدّمي برامجها انتقدوا معسكر ترامب وسخروا منه لا بل شتموه منذ هزيمة الرئيس الجمهوري السابق.

غير أنّهم لم يعبروا عن هذه المواقف إلا في أحاديثهم الخاصة، في حين ظلت الأكاذيب والادعاءات التي تطعن في فوز الديموقراطي جو بايدن في الانتخابات هي المسيطرة على الشبكة.

وهذه المعلومات مستخرجة من الملف الضخم المقدم في الشكوى التي رفعت في آذار/مارس 2021 واستكملت في كانون الثاني/يناير 2022 وتطالب «دومينيون» في سياقها بتعويضات قدرها 1.6 مليار دولار.

وتعتبر الشركة أنها كانت ضحية تشهير من جانب فوكس نيوز التي أكدت أن آلاتها للتصويت الإلكتروني استخدمت لتزوير النتائج في عدد من المناطق في الولايات المتحدة، وحتى في فنزويلا في الماضي لصالح الرئيس الراحل هوغو تشافيز.

لكن حين ندد مستشارا ترامب رودي جولياني وسيدني باول بعمليات تزوير واسعة النطاق، كتب روبرت موردوك على الفور إلى رئيسة «فوكس نيوز ميديا» سوزان سكوت منتقدا هذه الادعاءات.

وفي الرسالة الإلكترونية التي حملت عنوان «بصدد مشاهدة جولياني» اعتبر موردوك أن اتهامات أنصار ترامب «أمر مجنون حقا، ومضرّ»، وفق ما جاء في الشكوى القضائية، وأضاف «إنه أمر رهيب، أخشى أن يضرّ بالجميع».

كما عكست رسالات نصية تبادلها مقدمو البرامج ومنتجو فوكس في تشرين الثاني/نوفمبر 2020 نبرة مماثلة.

وكتب مقدم البرامج تاكر كارلسون لزميلته لورا إنغرام أن «سيدني باول كاذبة».

وأضاف «ضبطتها بالجرم المشهود، هذا جنون»، فأجابته لورا إنغرام «سيدني معتوهة تماما» و«لن يعمل أحد معها» بعد ذلك الحين.

وكتب المنتج جاستن ويلز في 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2020 لكارلسون أن «سيدني باول ورودي (جولياني) كاذبان لعينان» حاملا على الادعاءات حول سرقة الانتخابات باعتبارها تنم عن سلوك «يائس ومخبول».

وشهدت العلاقة بين فوكس نيوز وترامب المزيد من التدهور في 6 كانون الثاني/يناير 2021 يوم هاجم أنصار للرئيس المهزوم مبنى الكونغرس في واشنطن، فكتب تاكر كارلسون في رسالة نصية إلى المنتج ايكس فايفر أن ترامب «قوة جهنمية، مدمّرة، لكنه لن يدمرنا».

في ذلك اليوم، حاول ترامب الذي تبقى له 15 يوما في البيت الأبيض، الاتصال ببرنامج لو دوبز اليميني المتطرف للقيام بمداخلة مباشرة على الهواء، لكن الشبكة رفضت الاتصال لأنه «لكان من غير المسؤول التحدث إليه مباشرة على ما أوضحت رئيسة «فوكس بيزنس نتوورك» لورن بيتزسون، بحسب ما جاء في الشكوى.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، حملت صحيفتا وول ستريت جورنال ونيويورك بوست التابعتان لمجموعة نيوز كوربوريشن على ترامب باعتباره مسؤولا عن «فشل» الجمهوريين في الانتخابات التشريعية في منتصف الولاية الرئاسية.

واتهمت متحدثة باسم فوكس نيوز الجمعة دومنيون بأنها «اختارت استشهادات وأخرجتها من سياقها» في الشكوى التي رفعتها.

وكتبت في رسالة إلكترونية «دومينيون ستثير ضجة كبيرة وتولد الفوضى لكن جوهر المسألة يبقى حرية الصحافة والتعبير، وهي حقوق أساسية ينص عليها الدستور».

تبقى الدعاوى في قضايا التشهير محدودة في الولايات المتحدة بفعل حرية التعبير المدرجة في التعديل الأول للدستور، وتنتهي الخلافات في غالب الأحيان بتسوية ودية، ولو أن هذه القضية تهدد بالتأثير على سمعة ومالية فوكس، إحدى شبكات التلفزيون الوطنية الخمس مع سي إن إن وإن بي سي وأيه بي سي وسي بي إس.

(أ ف ب)

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العاول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 34 - Issue 10901 Sunday 19 February 2023
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10901 الأحد 19 شباط (فبراير) 2023 – 28 رجب 1444 هـ

رقم قياسي عالمي جديد لمونديال قطر بتسجيل أعلى نسبة حجوزات

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان الحاج ابراهيم

تتواصل سلسلة الأرقام القياسية التي حققها مونديال قطر الذي اعتبر أنه أفضل بطولة كأس عالم، مع الإعلان عن تسجيل رقم جديد.

فبعد مرور شهر على ختام منافسات المونديال، وكشف الاتحاد الدولي لكرة القدم «فيفا» عن حقائق وأرقام تؤكد استضافة قطر لأفضل نسخة في تاريخ كأس العالم، أعلن المنظمون عن تحقيق أعلى مبيعات في تاريخ برامج الضيافة الرياضية بإجمالي 257 ألف باقة ضيافة.

ومؤخراً نشرت اللجنة العليا للمشاريع والإرث تقرير الفيفا الذي كشف أن أكثر من 1.5 مليار مشاهد عبر العالم تابعوا مباراة نهائية حافلة بالإثارة جمعت بين منتخبي الأرجنتين وفرنسا، واستعرض حقائق وأرقام تعكس الحجم الهائل لأكبر بطولة رياضية على الإطلاق.

وكشفت شركة «ماتش للضيافة» وكيل برنامج الضيافة الرسمي لبطولة كأس العالم FIFA قطر 2022™ عن حصاد تجربتها واصفة المونديال بأنه الأفضل والأنجح على الإطلاق. وأعلنت الشركة في بيان حصلت «القدس العربي» نسخة منه، أنها باعت ربع مليون باقة ضيافة خلال البطولة لتسجّل بذلك أعلى حجم مبيعات في تاريخ جميع برامج الضيافة على مستوى مختلف الرياضات في العالم، متجاوزة الرقم القياسي الذي حققه مونديال البرازيل 2014.

وصرحت الجهة المسؤولة عن الخدمات والضيافة، أن عدد الموظفين الذين قدموا خدمات الضيافة الشاملة لعملاء البرنامج داخل الاستادات بلغ حوالي 8600 موظف، بالإضافة إلى استخدام أكثر من 37.000 متر مربع من تجهيزات الخيام و35.000 قطعة أثاث، و300.000 هدية و331 طناً من الأطعمة لخدمة مئات الآلاف من المشجعين والضيوف من 140 دولة.

وقال خايمي بيروم، الرئيس التنفيذي لشركة ماتش للضيافة: «لقد كررنا مراراً بأن مونديال قطر سيكون سبَّاقاً في نواح عديدة».

كما أعلن المسؤول عن تسجيل أعلى معدل إيرادات في تاريخ برامج الضيافة الرياضية، ورفع السقف عالياً بالخدمة الفائقة التي قدمت.

وبدا واضحاً قبل انطلاق مونديال قطر بعامين تقريباً أنه سيحطم الأرقام القياسية، حيث وصلت المبيعات المسبقة لبرنامج الضيافة إلى رقم غير مسبوق وهو 90 مليون دولار أمريكي. كما أتاح برنامج الحجز المبكر، الذي أطلقته «ماتش للضيافة» بالشراكة مع الخطوط الجوية القطرية، لعملاء برنامج الضيافة حجز رحلاتهم قبل 16 شهراً من السفر في سابقة هي الأولى من نوعها.

وشهد برنامج الضيافة الرسمي إقبالاً كبيراً، لاسيما من قطر وبعض الدول الأخرى مثل المكسيك والولايات المتحدة، حيث حطمت مبيعات برنامج الضيافة الرقم القياسي المسجل باسم مونديال البرازيل 2014 بنسبة تجاوزت 10 في المئة قبل أسابيع من انطلاق المباراة الافتتاحية، ووصلت مع نهاية المونديال إلى 257.000 باقة تقريباً، لتحقق أعلى مبيعات على الإطلاق في تاريخ برامج الضيافة الرياضية.

آيا ناكامورا الوجه العالمي الجديد لـ«لانكوم»

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

بعد جوليا روبرتس أو تايلور هيل أو جولييت بينوش، جاء الدور على المغنية الفرنسية آيا ناكامورا لتصبح ملهمة علامة Lancôme «لانكوم» العالمية، لتصبح المغنية الفرنسية–المالية، الشخصية السوداء الثانية التي تجسد العلامة التجارية، بعد الممثلة المكسيكية الكينية لوبيتا نيونغو.

آيا ناكامورا، البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً، والمولودة في العاصمة المالية باماكو، تعد شخصية مُوحِّدة وملهمة وجريئة. وهي أشهر مغنية فرنسية في الخارج، ومعروفة بأسلوبها الخاص وصراحتها.

تواصل إغواء العلامات التجارية الفاخرة، فبعد أن ظهرت آيا ناكامورا على غلاف مجلة Vogue Paris ثم تعاونت مع الماركة العالمية Balenciaga وملأت القاعات خلال حفلاتها الموسيقية الأخيرة؛ هاهي اليوم تنضم إلى مجموعة مستحضرات التجميل والعطور Lancôme المملوكة لمجموعة L'Oreal .

وتخلف آيا ناكامورا بذلك جمهورًا من السفراء المرموقين لمجموعة Lancôme في مقدمتهم الممثلة العالمية جوليا روبرتس التي جسدت العطر «La vie est belle» في عام 2012. وقد استطاعت الممثلة الأمريكية، عبر حملات–الصور والأفلام والدعائية، اغراء الجمهور الواسع، لأن هذا العطر ما يزال حتى يومنا هذا هو الأكثر مبيعًا في العالم.

كما مثّلت الممثلة الفرنسية جوليت بينوش مجموعة Lancôme للعطور في الفترة من عام 1995 إلى عام2000 وعادت إلى الواجهة بعد13 عامًا لتجسد Rénergie للعناية بالبشرة. ومن المستحيل عدم ذكر الممثلة الإسبانية العالمية بينلوبي كروز، التي كانت وجهاً لعطر «La Nuit Trésor» ثم مؤخراً عطر «La Nuit Trésor la Folie» . وتسعى المجموعة، من خلال اختياراتها للوجه النسائية المرجوة لمنتجاتها، أن ترمز إلى امرأة حرة وقوية وطبيعية للغاية. ويفترض أن تكشف ماركة مستحضرات التجميل قريبًا عن مقطع فيديو إعلاني يعرض سرد القصص المصمم خصيصًا للنجمة الفرنسية آيا ناكامورا.

متحف مخصص لمغني الأوبرا الشهير انريكو كاروسو سيُفتتح في نابولي

يُفتتح في نابولي متحف مخصص لمغني الأوبرا الشهير انريكو كاروسو الذي كان أوّل نجم إيطالي يحظى بشهرة عالمية، على ما أعلن وزير الثقافة.

ومن المقرر افتتاح متحف كاروسو الذي سيقع داخل القصر الملكي في نابولي، بتاريخ 20 تموز/يوليو، لمناسبة الذكرى الـ150 على ولادة مغني الأوبرا.

وقال وزير الثقافة جينارو سانجوليانو خلال مؤ تمر صحافي في روما إنّ إنريكو كاروسو (1873–1921) هو «أول مغن في تاريخ الموسيقى العالمية يفهم الإمكانات الهائلة لمجال التسجيلات ويستخدمها».

وأنجز كاروسو الذي دُعي إلى أرقى دور الأوبرا في العالم بينها لا سكالا في ميلانو وأوبرا متروبوليتان في نيويورك، مئات التسجيلات في أولى أيام الغراموفون.

وأشارت أمينة المتحف لورا فالينتيه إلى أنّ كاروسو كان أيضاً «أول شخص في مجال التسجيلات يُباع مليون تسجيل له» مما جعله واحدا من أكثر الأصوات شعبية في تاريخ الموسيقى.

وسيضم المتحف مجموعة من الأزياء والملصقات والصور والغراموفون التابعة لكاروسو، بالإضافة إلى تسجيلات صوتية له.

وكاروسو المولود لعائلة فقيرة في نابولي، كانت علاقته مضطربة مع مدينته هذه حيث تلقى آراء متباينة عام 1901. وتعهد بالتوقف عن الغناء فيها حتى وفاته عن 48 عاماً. (أ ف ب)